لغة العربية

نموذج رقم (٨)

«إجازة اطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات»

الاسم «رباعي»: سحور غازي محمد الجدري كلية: اللغة العربية قسم: الدراسات العليا – فرع:

الاطروحة مقدمة لنيل درجة: «الدكتوراه في اللغة العربية وادابها» في تخصص: الأدب

عنوان الاطروحة «شعر ابن الأبار البلنسي / دراسة في تشكيل الخطاب ومكونات النص»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٦/١١/١٤٢٣هـ، بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

والله الموفق...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: أ.د. محمد عبدالكريم الحوارطي	الاسم: أ.د. محمود حسن زيني	الاسم: أ.د. ناصر رشيد الر...
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:

يعتمد: رئيس قسم الدراسات العليا العربية

أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة في كل نسخة من الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
أدب

شعر ابن الأبار البلنسي القضاعي
(٥٩٥ ـ ٦٥٩)

دراسة في مضامين الخطاب ومكونات المتن

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الأدب العربي

إعداد
سعود غازي محمد الجودي

بإشراف
الأستاذ الدكتور / حسن الوراكلي

١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كـــل الأحبـــة الذيـــن أسهموا معـــي في إنجـــاز هـــذا البحث ، بإشـــراف أو توجيـــهٍ أوحض على العمل ، أهدي هذا الجهد المتواضع ...

= ملخص الرسالة =

هـذه دراسـة في شعر ابن الأبّار الأندلسي المتوفى عام ٦٥٩هـ ، وقد قسمت إلى مقدمة ومدخل وبـابين ، أوضحت في المقدمـة سبب اختياري للموضوع ، وتناولت في المدخل الرجل في تكوينه الـثقافي والأدبـي ، ونـتاجه الأدبي والشعري ، والعصر في بعده السياسي والاجتماعي وفي بعده الثقافي والأدبي .

ودرست في الباب الأول مضامين الخطاب الشعري عنده في أربعة فصول :

الفصل الأول : في الصراع والمواجهة .

الفصل الثاني : في الغربة والحنين .

الفصل الثالث : في التأريخ والتوثيق .

الفصل الرابع : في المذهب والمعتقد .

ودرست في الباب الثاني مكونات متنه الشعري في أربعة فصول :

الفصل الأول : في البنية الهيكلية .

الفصل الثاني : في البنية الإيقاعية .

الفصل الثالث : في الصورة .

الفصل الرابع : في التناص .

وعملتُ في آخر الأطـروحة خاتمـة بنـتائج الـبحث ، ثم ملحقاً بقصائد الديوان فالمراجع ثم الفهرس .

ولعـل هـذه الأطروحة تستكمل حلقةً من حلقات الشعر في الأندلس في القرن السابع الهجري خاصـة ، وتصـحح كـثيراً مـن الأحكـام الـنقدية التي أصدرت حول شاعرية ابن الأبّار في غياب ديوانـه ، وتكشـف عـن جـانبٍ جديـدٍ مـن جوانب شخصيته الفذة ، هو الجانب الشعري ، إذ نجده شاعراً مبدعاً يستحق الدراسة والإشادة والتنويه .

الطالب
[illegible]نان بن محمد الجوري

المشرف
أ.د. حسن عبد الكريم الوراكلي

عميد الكلية
أ.د. صالح جمال بدوي

** تقديم الأطروحة **

موضوعها . مادتها . منهجها

— ١ —

— تقديم —

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، من أهل بلنسية في شرق الأندلس ، على البحر الأبيض المتوسط ، ولد سنة ٥٩٥هـ ، ١١٩٩م ، وقد عمل كاتباً للسلطان أبي عبد الله بن حفص بن عبد المؤمن ببلنسية ، ثم لابنه السيد أبي زيد ، ومعه فرّ إلى ملك أرجونة ، و هناك تنصر أبو زيد — كما ذكر المؤرخون — وعاد ابن الأبار إلى موطنه بلنسية ليعمل وزيراً لأبي جميل مدافع بن مردنيش ، و رحل عن بلنسية حين احتلها الإفرنج عام ٦٣٦هـ ، واستقر بتونس كاتباً لدى سلطانها المرتضى أبي زكريا يحيى بن الناصر الموحدي ، غير أن الحاسدين مازالوا يوقعون بينه وبين السلطان حتى جفاه وأبعده إلى بجاية ، ومن هناك تشفع بابني السلطان ، وعفا عنه ، وعاد لخدمته حتى توفي أبو زكريا ، ثم كتب لابنه المستنصر من بعده ، وحصلت بينهما جفوة أخرى ، فنفي ثانية ، وعاد ليحضر مجلس السلطان بعد العفو عنه ، غير أنه لم يكن يعمل حينئذٍ ، وقيل إنه ألف كتاباً في التاريخ تطاول فيه على الدولة الموحدية ، فأمر السلطان بقتله ، فقتل قصعاً بالرماح وأحرقت جثته وكثير من مصنفاته .

وابن الأبار فقيهٌ ومحدثٌ وراوية ٌومؤرخٌ ، له عدة كتب في التراجم والتاريخ وعلمي الرواية والدراية ، وهو فضلاً عن عن ذلك أديبٌ بارعٌ ، له نثرٌ فائقٌ ، وشعرٌ رائقٌ ، قرأه الناس فيما انتهى إليهم من تراثه ، وقرأوه في كتب الاختيارات والأدب الأندلسية .

ولقد ترجم لابن الأبار كثيرٌ من الكتاب القدامى والمحدثين ، مــن المغــرب والمشــرق ، كالغبريني في عنوان الدراية ، وابن الخطيب في القدح المعلىٰ والإحاطة ، والمقّــري في نفــح الطيب وأزهار الرياض ، والصفدي في الوافي بالوفيات ، والكتــبي في فــوات الوفيــات ، وشكيب أرسلان في الحلل السندسية ، وبطرس البستاني في دائرة المعارف ، وأفرام البســتاني في دائرة معارفه ، والزركلي في الأعلام ، وغيرهم .

وتراجمهم في أكثرها موجزة ، تعرف بحياة الرجل ، ورحلته إلى تونس ، وتشير إلى بعــض شعره ، ووفاته ، وأكثرهم ينقل عمن سبقه .

....

وممن أشار إلى ابن الأبار وشعره الدكتور فوزي سعد عيسى في كتابه : (الشعر في عصــر الموحدين) الذي صدر عام ١٩٧٩م (١) ، وقد عرض لابن الأبار في معرض حديثــه عــن الشعر الذي قيل في رثاء المدن ، ونقل قطعاً من قصيدة ابن الأبار الشهيرة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا　　إن الطريق إلى منجاتهــا درســا

غير أنه لم يعلق عليها إلا بعبارات خاطفة ، كقوله : " ورثاها بقصيــــدة مؤثــرة ضمنــها استصراخاً حاراً " (٢)

وممن أشار إلى شعره أيضاً الدكتور محمد مجيد السعيد في كتابه (الشعر في عهد المرابطــين والموحدين) الذي صدر بالعراق عام ١٩٨٠م ، وقد عرض المؤلف فيه لابن الأبار من خلال قصيدته السالفة الذكر ، وعلق عليها بقولهٰ : " ونتوقع أن يكون الشاعر قــد حشد طاقاته

---

(١) هو بحثٌ لنيل درجة الدكتوراة في الأدب من جامعة الإسكندرية .

(٢) الشعر في عصر الموحدين ص ٢٥٤

الفنية والشعرية من أجل تحقيق المهمة التي هو بسبيلها " (١)

وفي مواضع أخرى من الكتاب إشارات متفرقة وسريعة عن شعر ابن الأبار عند الحديث عن الأغراض في شعر تلك الفترة (٢)

وهاتان الدراستان لكونهما شاملتين للشعر في عصرٍ كامل ، أو في عصورٍ مختلفة ، وليستا منحصرتين في دراسة شعر ابن الأبار نجدهما لا تعطيان الصورة الكاملة والدقيقة والمركزة عن شعره ، بل يعد ما فيهما عنه لمحات سريعة يبرهن فقط على أنه كان شاعراً من شعراء ذلك العصر ، فضلاً عن أنه من أبرز كتابه .

....

وتحدث بعض من حققوا تراث ابن الأبار عن أدبه وشعره في مقدماتهم لأعماله التي حققوها ، فمن ذلك عزت العطار الذي نشر كتاب التكملة لكتاب الصلة ، عام ١٩٥٦م وفي حديثه رصد لحياة ابن الأبار ونشأته ونسبه وشيوخه ومؤلفاته ، وخصص جزءاً يسيراً للحديث عن أدبه ، وقال عنه : " كان ابن الأبار مع كونه راوياً مؤرخاً ، وعالماً محدثا ، أديباً كبيراً ، وكاتباً خطيراً ، وشاعرا مجيدا " (٣)

---

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ص ٣١٣

(٢) انظر السابق ص ٤٢ ، ١٤٤

(٣) التكملة لكتاب الصلة ، مقدمة الناشر ص ١٣

وفي مقدمة تحقيق كتاب (المقتضب للبلفيقي) الذي حققه الأستاذ إبراهيم الأبياري ونشره عام ١٩٥٦م ، وهو تلخيصٌ لكتاب تحفة القادم ، في تراجم شعراء الأندلس لابن الأبـــار ، خصص المحقق جزءاً للتعريف بابن الأبار تحدث فيه عن حياته ، واستعرض بإيجاز أهم كتبــه ، ثم أشار إلى شعره ، ونوه بإحدى قصائده الذائعة الصيت ، في قوله : " ثم لعل خير ما يذكـــر لابن الأبار من شعر هو سينيته التي تبلغ الثمانين بيتاً " (١)

وحقق عام ١٩٦١م الدكتور صالح الأشتر كتاب (إعتاب الكتـــاب) لابـــن الأبـــار ، وتحدث في مقدمته عن حياته ، وآثاره المطبوعة والمخطوطة ، ولم يذكر شيئاً عن ابن الأبـــــار الشاعر ، غير إشارةٍ قال فيها : " مؤرخ محدثٌ أديبٌ شاعر " (٢)

وفي عام ١٩٦٣م حقق الدكتور حسين مؤنس كتاب (الحلة السيراء) وقدم للتحقيـــق بمقدمة مهمةٍ وطويلة ، تحدث فيها عن حياة ابن الأبار ، واستعرض ما كتب عنه في القـــديم والحديث ، غير أن حسّ المحقق التاريخي ظهر جلياً في هذه المقدمة ، فقد خلت أو كادت ممـــا يتصل بالجانب الأدبي في شخصية ابن الأبار ، فيما عدا إشاراتٍ سريعة وعابرة ، مثل قولـه في معرض الحديث عن كتاب الحلة السيراء : " وجديرٌ بالملاحظة أن شعر الكتاب ليـــس كلـــه لأمراء ، بل فيه الكثير من شعر الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلم ... وهذا الشـــعر كله جيد مما يدل على ملكة ابن الأبار كناقدٍ للشعر عارفٍ بالجيد منه وغير الجيد " (٣)

---

(١) المقتضب من تحفة القادم ص ٣٣

(٢) إعتاب الكتاب ص ٧

(٣) الحلة السيراء ص ٥٣

و في عام ١٩٦٧م صدر عن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة كتاب (المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصفدي) وعملت فيه مقدمة مجهولة الكاتب ، فيها حديثٌ عن نسب ابن الأبار وحياته و مكانته وشيوخه ، وفيها نقلٌ واضح من تقديم الدكتور حسين مؤنس للحلة السيراء . (١)

وفي عام ١٩٧٢م حقق كلٌ من الدكتور عبد السلام الهراس والأستاذ سعيد أعراب كتاب (درر السمط في خبر السبط) لابن الأبار ، ولم يذكر المحققان في مقدمة التحقيق شيئاً عن شاعريته ، علما بأن أحد المحققيق وهو الدكتور عبد السلام الهراس هو محقق ديوان ابن الأبار عام ١٩٨٥م (٢) ولعل السبب أن تحقيق الديوان جاء بعد تحقيق درر السمط .

ولما حقق الدكتور الهراس الديوان عمل له مقدمة موجزة تحدث فيها عن نسب ابن الأبار وحياته ونشأته وهجرته إلى تونس ووفاته وتلاميذه ومؤلفاته ، وتحدث عن الديوان ، وأوضح أن كثيرين نصّوا على أن ابن الأبار لم يترك ديوان شعر مجموع فيما عدا ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة) ، وعبد الواحد بن طواح في كتابه (سبك المقال في فك العقال) ، حيث بيّنا أن ابن الأبار خلّف ديوان شعرٍ ضخماً وأنه أي ابن طواح قد طالعه بنفسه ، غير أنه قليل بأيدي الناس ، ثم يشير الدكتور الهراس إلى أنه لما حظيت الخزانة الملكية (بالمغرب) بالتنظيم اكتشفت كثيرٌ من نوادر المخطوطات ، ومنها ديوان ابن الأبار (٣)

....

(١) انظر : المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصفدي ، مقدمة التحقيق

(٢) انظر : درر السمط في خبر السبط ، مقدمة التحقيق

(٣) انظر مقدمة تحقيق الديوان

وقبل صدور الديوان عمل الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد كتاب (ابن الأبار حياته وكتبه)(١) وقد خصص المؤلف فيه فصلاً عن شاعرية ابن الأبار ، وإذ يسجل للمؤلف أسبقيته في هذا المجال إلا أن هذه الدراسة — مع ريادتها وأهميتها في الفترة التي أنجزت فيها — تعتبر جزئية محدودة ، وتصبح متجاوزة بعد نشر الديوان ، وظهور نصوص شعرية أخرى لابن الأبار ويشار هنا إلى عدم اطلاع الدكتور عبد العزيز على ديوان ابن الأبار ، بل وعدم علمه بوجوده ، حيث نصّ على أن ابن الأبار لم يترك ديوان شعرٍ مجموع ، واكتفاء المؤلف في فصله المشار إليه بالنظر في نصوص شعرية محدودة العدد ، مما روي لابن الأبار في كتب الاختيارات والأدب ، جعلته يصدر أحكاما نقدية لا تقوم للبحث العلمي ، بعد ظهور المتن الشعري كاملا (٢).

وقبل صدور الديوان أيضا أعدّ الدكتور عبد الله أنيس الطباع بحثا لنيل درجة الدكتوراة بجامعة مدريد المركزية ، عنوانه (ابن الأبار ومؤلفه الحلة السيراء) ، وقد أفرد فصلاً خاصاً عن ابن الأبار الشاعر ، غير أنه يمكن القول أن الدكتور الطباع في حديثه عن شعر ابن الأبار اعتمد كثيرا على دراسة عبد العزيز عبد المجيد السالفة الذكر ، بل إنه كان — في كثير من الأحيان — ينقل عنه نقلاً واضحًا ، وكرر ما قاله من أن ابن الأبار لم يترك ديوان شعرٍ أو مجموعة قصائد (٣) ، وأصدر أحكاماً كثيرةً يقلل فيها من قيمة ابن الأبار الشاعر ، وبطبيعة الحال فإن دراسته لشعر ابن الأبار لا تفي بالغرض فهي كسابقتها تمت في غياب الديوان .

---

(١) صدر عام ١٩٥١م عن معهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان المغرب .

(٢) راجع : ابن الأبار حياته وكتبه ص٣٥٣.

(٣) راجع : ابن الأبار ومؤلفه الحلة السيراء ص ١٣٣

ومن خلال ما تقدم عرضه يتضح لنا أن كثيراً من ترجموا لابن الأبار أشادوا بفضله وأدبه وعلمه بالتاريخ والحديث ، غير أن قليلاً منهم أشاروا إلى شعره إشاراتٍ سريعة وعابرة ، ولعل أحسن وصف وأوفاه لأدبه ، وشعره خاصة ، عند المترجمين به من القدماء ، ما ورد عند ابن عبد الملك المراكشي ، وهو من المعرفة بالأدب والشعر بالمكانة الملحوظة المجمع عليها ، وذلك حين قال عنه في (الذيل والتكملة) : " كان آخر رجال الأندلس براعةً وإتقاناً ، وتوسعاً في المعارف وافتناناً ، محدثاً مكثراً ، ضابطاً عدلاً ، ثقةً يقظاً ، ذاكراً للتواريخ ، على تباين أغراضها ، مستبحراً في علوم اللسان ، نحواً ولغةً وأدباً ، كاتباً بليغاً ، وشاعراً مفلقاً جيداً " (١)

كما يتضح ــ من خلال ما تقدم عرضه ــ أن نتاج ابن الأبار قد درس من المعاصرين ، غير أنهم ركزوا اهتمامهم على تصوير حياته في مختلف أطوارها ، واستعراض مؤلفاته في التاريخ والتراجم والاختيارات الأدبية ، ولذا لم يظفر شعره ، على جودته وبراعته ــ في حدود علمي ــ بدراسةٍ شاملةٍ مستفيضة ، سواء قبل نشر ديوانه ، أو بعد ذلك .

وهذا كان باعثاً لي لدراسة هذا الشعر ، اعتماداً على نصه الكامل ، المنشور بين دفتي الديوان ، للتعرف على جانب مهم من جوانب ابن الأبار ، وهو شاعريته ، بالنظر إلى محتويات خطابه ، ومكونات متنه .

وطبيعة الدراسة ــ عادةً ــ هي التي تفرض المنهج الملائم لها ، ولأن شعر ابن الأبار يتسم بغناء خطابه ، وثراء مكوناته فقد استلزم ذلك درسه وفق منهج تكاملي ، يسترشد بأساليب

(١) الذيل والتكملة ، السفر السادس ص ٢٥٨

التأريخ والوصف والتحليل ، ويقبس بما يوسع أفق البحث ، ويعمق مجراه من فوائد المناهج النقدية الحديثة في درس النص الأدبي وعوائدها ، كل ذلك وفق رؤية عقدية وفكرية تستند في أحكامها وتقويمها إلى الثوابت المقدسة ، وآثار الفكر النقدي والبلاغي عند المسلمين .

وقد قسمت الأطروحة إلى بابين :

الباب الأول في مضامين الخطاب عند ابن الأبار ، وقسمته إلى أربعة فصول ، هي :

الفصل الأول : في الصراع والمواجهة .

الفصل الثاني : في الغربة و الحنين .

الفصل الثالث : في التأريخ والتوثيق .

الفصل الرابع : في المذهب والمعتقد .

والباب الثاني في مكونات المتن ، و قسمته إلى أربعة فصول ، أيضا ، هي :

الفصل الأول : في البنية الهيكلية .

الفصل الثاني : في البنية الإيقاعية .

الفصل الثالث : في الصورة .

الفصل الرابع : في التناص .

وعملت في آخر الأطروحة ، خاتمة بنتائج البحث ، ثم أضفت ملحلقا بقصائده بحورها ورويها وأغراضها .

وابن الأبار لم يكن صاحب مدرسة في الشعر ، كما كان المتنبي أو بشار أو أبـــو العــلاء المعري أو غيرهم من مشاهير الشعراء ، ولم يدرس شعره كما درس شعر أولئـــك ، ولهـــذا السبب كان الديوان هو المرجع الأساس والوحيد لدراسة شعــر الرجـــل ، بالإضافـــة إلى المراجع والكتب النقدية الأخرى التي تدرس الشعر بعامة .

وإنني لأرجو من الله العلي القدير ، أن أكون بهذا الجهد قد استكملت حلقة من حلقـــات الشعر في الأندلس في القرن السابع الهجري خاصـــة ، وصححت بعض الأحكـــام النقديـــة التي أصدرها بعض الدارسين حول شاعرية ابن الأبار في غياب الديوان ، وكشفت عن بعـــد من أبعاد شخصية فذة في التراث الأندلسي ارتبطت حياتها بالحياة في العدوتـــين ، المغـــرب والأندلس .

****

****

****

****

... المدخل ...

= الرجل والعصر =

(١)

أولا : الرجل :

أ ـــ في تكوينه الثقافي والأدبـــي

ب ـــ في نتاجه الأدبي والشعـــري

(٢)

ثانيا : العصر :

أ ـــ في بعد السياسي والاجتماعي

ب ـــ في بعده الأدبـــي والثقافـــي

المدخل

الرجل والعصر

(١)

أولاً : الرجل

أ ـ في تكوينه الثقافي والأدبي

أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي المشهور بابن الأبار (١) (٥٩٥ ـ ٦٥٨) شاعرٌ وأديبٌ ومؤرخٌ ونحويٌ وفقيهٌ ومحدثٌ ومقريء . (٢)

ولد ببلنسية بالأندلس ، وبها نشأ و ترعرع ، ودرس وحصّل ، واستوزره سلاطينها حتى

---

(١)اختلف في كنيته ، فممن ترجموا به من يرى أنها قديمة في آبائه ، كما ذهب إلى ذلك محققا درر السمط ، (انظر مقدمة التحقيق) ، ومنهم من يرى أنه كني بها مسبة له ، وذلك لأنه سليط اللسان إذا هجا ، كما يرى الأبياري في مقدمة المقتضب ص١٤ وما بعدها ، والراجح الأول .

(٢) انظر ترجمته في عنوان الدراية للغبريني رقم (٩٥) ص ٣٠٩ ، والوافي بالوفيات ج٣ص٤٥٠ والحلل السندسية ج٣ ص ٥٢٨ ودائرة المعارف لبطرس مج ١ ص ٣٤٥ والأعلام للزركلي مج ٦ ص ٢٣٣ ، وفي مقدمات الكتب التالية : التكملة لكتاب الصلة ، المقتضب ، إعتاب الكتاب ، الحلة السيراء ، المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي ، ودرر السمط ، وديوان ابن الأبار .

سقطت بلنسية عام ٦٣٦ هـ وعمره آنذاك إحدى وأربعون سنة ، فارتحل إلى تونس في نفس العام ، والتحق ببلاط سلطانها أبي زكريا ابن حفص الموحدي .

ومن هنا يمكن القول بأن حياة ابن الأبار تنقسم إلى مرحلتين :
الأولى : حياته قبل سقوط بلنسية أي منذ ولادته إلى عام ٦٣٦هـ .
الثانية : حياته بعد سقوط بلنسية أي منذ عام ٦٣٦هـ إلى وفاته عام ٦٥٨هـ .

وبدهيٌّ فإن أكثر تحصيله العلمي كان في المرحلة الأولى من حياته ، وقد ترجم في كتابه التكملة لكثيرٍ من العلماء الذين كان لهم الأثر الواضح في تكوينه الثقافي والأدبي ، وأهمهم :
١ـ والده عبد الله ت ٦١٩هـ ، وكان له اهتمامٌ كبيرٌ بالأدب مع فضلٍ وعلم يقول عنه ابن الأبار :" كان رحمه الله ـ ولا أزكيه مقبلاً على ما يعنيه ، ... آخذاً فيما يُستحسن من الأدب " (١)

ولقد اهتم والده بتربيته وتعليمه ، يقول ابن الأبار : " تلوت عليه القرآن ـ بقراءة نافع ـ مراراً ، وسمعت منه أخباراً وأشعاراً ، واستظهرت عليه كثيراً ـ أيام أخذي من الشيوخ ـ يمتحن بذلك حفظي ، وناولني جميع كتبه وشاركته في أكثر من روى عنه . " (٢)

---

(١) التكملة ج ٢ ص ٨٨٩
(٢) السابق والصفحة

وظهر اهتمام هذا الوالد بتعليم ابنه جلياً في استجازته العلماء له وهو ابن عامين إذ نجد ابن الأبار يقول عن هذا : " وكتب إليه القاضي أبو بكر ابن أبي جمرة ، يجيز له ولي معه جميع رواياته مرتين ، إحداهما في غرة رجب عام ٥٩٧هـ ، والثانية في منتصف ذي القعدة من العام المذكور ، وأنا إذ ذاك ابن عامين " (١)

وصفوة القول فإن هذه الإجازة ليست إلا إجازة تشريف ، ولكن فيها دلالة على الاهتمام الكبير الذي لقيه ابن الأبار من والده . (٢)

٢ـ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي استشهد في ٦٣٤ هـ ، وهو من أهم شيوخ ابن الأبار ، وقد لازمه حوالي ثلاثاً وعشرين سنة .

وكان أبو الربيع مع علمه الجم شاعراً وأديباً ، سمع عن كثيرٍ من الأدباء وأخذ عنهم ، ومنهم ابن مرج الكحل ، و " كان شاعراً مفلقاً غزلاً بارعَ التوليد ، رقيقَ الغزل ، وقد أخذ عنه كثيرٌ من علماء الأندلس " (٣)

ومنهم محمد بن رشد ت ٥٩٥هـ : " وكان يفزع إلى فتواه في الطب كما يفزع إلى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب ، حكى عنه أبو القاسم ابن الطيلسان أنه كان يحفظ شعري حبيب والمتنبي ، ويكثر التمثل بهما في مجلسه ويورد ذلك أحسن إيراد " (٤)

(١) التكملة ج٢ ص ٨٨٩
(٢) راجع المقتضب ص ١٦
(٣) نفح الطيب مج٥ ص ٥١
(٤) التكملة ترجمة رقم ١٤٩٧ ص ٥٥٤

ومـــما يدل على اهتمامات أبي الربيع الأدبية قول ابن الأبار : " قرأت شعر حبيـب (أبي تمام) علي أبي الربيع سالم " (١)

وأورد المقري بعد ذلك بعضاً من أشعار أبي الربيع ، ثم قال عنـــه : " وكـــان رحمـــه الله حافظاً للحديث ، ... ، ريانٌ من الأدب " (٢)

وقد صنف الكلاعي أكثر من عشرين كتاباً منها ديوان رسائله في سفر ، وديوان شـعره في سفر .

والملاحظ أن لهذا الرجل في تكوين ابن الأبار الثقافي والأدبي دوراً بارزاً ، يظهر في تنويـــه ابن الأبار الكبير به ، كما يظهر في كثرة رواياته عنه في التكملة .

٣ــ ابن نوح الغافقي البلنسي ت ٦٠٨هــ ، و كان له أيضاً أثر واضح في تكويـــن ابـــن الأبار الثقافي والأدبي ، وقد ترجم به ابن الأبار في التكملة ، وقال عنه : " تلوت عليه القرآن بالسبع ، وأجاز لي ، وسمعت منه بعد والدي رحمه الله ومعه ، وهو أغزر من لقيـــت علمـــاً وأبعدهم صيتاً " (٣) .

---

(١) التكملة ترجمة رقم ١٤٩٧ ص ٥٥٤

(٢)نفح الطيب مج ٣ ص ١٣٥

(٣) السابق مج ٤ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥

(٤) التكملة ترجمة رقم ١٥٥٦ ج٢ ص ٥٨٤

ونوه بفضله وعلمه وأدبه ، وقال : " برع في علوم اللسان ، ... ، واطّلع على الآداب ، ... ... ، مع حسن الخط وبراعة الضبط ، ... ، والإخبار والإيضاح لما استغلق من معاني الأشعار الجاهلية والإسلامية . " (١)

وقال عنه في موضع آخر : " وكان على سعة علمه مزجي البضاعة في نظمه ، ونثرُه أصلح منه . "(٢)

٤ــ أبو سليمان ابن حوط الله ، ت ٦١٤ هـ ، وهو لا يقل عن أبي الربيع ابن سالم أثراً في تكوين ابن الأبار الثقافي والأدبي ، وقد ترجم له ابن الأبار في التكملة ، وأشاد بفضله وأدبه وعلمه ، ونقل عنه فيها كثيراً من الأشعار والأخبار .

٥ ــ محمد ابن هارون الغساني ، من شيوخ ابن الأبار ومن أصحابه ، ترجم له في التكملة ، وقال عنه : " كان .. حافظاً بليغاً ، مشاركاً في العربية وقرض الشعر ... أجاز لنا بخطه ما رواه وما جمعه " (٣)

٦ ــ أبو الخطاب ابن واجب القيسي البلنسي ، ت ٦١٤هـ ، وهو حامل راية الرواية بشرق الأندلس ، ولي القضاء ببلنسية وشاطبة ، وقد أخذ عنه ابن الأبار الحديث واللغة والتاريخ والأدب ، وترجم له في التكملة ونوه بعلمه وفضله وأدبه (٤).

---

(١) التكملة ج٢ ص ٥٨٣

(٢) السابق والصفحة .

(٣)السابق ترجمة رقم ١٦٦١ ص ٦٢٤

(٤) انظر التكملة ج/٢ ص ٤٢٥

٧ــ أبو الحسن ابن خيرة ، ت ٦٠٤هــ ، خطيب بلنسية وفقيهها ومحدثها ، ترجم له ابــن الأبار في التكملة (١)

٨ــ أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة ، ت ٦١٤هــ ، كان مجــوداً للقــرآت ، ترجم له ابن الأبار في التكملة وأكثر عنه . (٢)

وقد أجاز ابن الأبار كثيرٌ من علماء عصره بالأندلس ، منهم :

١ــ أبو بكر ابن جمرة ، ت ٥٩٩ هــ ، وهو إمامٌ كبير ، وفقيه شهير ، وهو الذي أجــاز لابن الأبار وهو ابن سنتين ، وأجاز لوالده ، وقد ترجم له ابن الأبار ترجمة واسعة ، وأفــاض في الحديث عن فضله وعلمه وأدبه ، وقال عنه : " كان فقيهاً حافظاً ، ... ، فصيح اللسان ، حسن البيان ، عدلاً في أحكامه ، ... ، لقيته وأنا صغير مع أبي بمرسية وجالسته ، ثم لقيتــه بعد ذلك بزمن وحضرت مجلسه ، وتدريسه ، واستجزته فأجازني جميع رواياته ، وكتــب لي بذلك بخط يده في سنة ٥٨٢ "(٣)

٢ــ ابن عات الشاطبي ، قال عنه الحافظ الذهبي : " كان عجباً في سرد المتــون ، ومعرفــة الرجال والأدب ، زاهداً سلفياً متعففاً ، عُدم في موقعة العقاب " (٤)

---

(١)انظر التكملة ج/٢ ص ٣٢٥

(٢) انظر التكملة ج/٢ ص ٥٠١

(٣)التكملة مج ٢ ص ٥٦١ ترجمة رقم ١٥١٤

(٤) عنوان الدراية هامش ص٣١٠

كما أجازه بعضٌ من علماء المشرق ، منهم عبد القوي بن الحباب ، وأبو الحسن ابن يوسف ، وأبو الطاهر القلعي ، وغيرهم . (١)

ولقد " ظهر على ابن الأبار نبوغٌ مبكرٌ ، وكان منذ صباه ـ بتوجيهٍ من والده ـ يجالس العلماء ويستجيزهم " (٢)

يقول عنه ابن عبد الملك المراكشي : " ولم يزل يسمع العلم ويتلقاه عن الكبير والنظير والصغير شغفاً به وحرصاً عليه إلى منتهى عمره . " (٣)

ويقول عنه الغبريني : " ولا يكاد كتابٌ من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا وله فيه روايةٌ إما بعمومٍ أو بخصوص " (٤)

والحق أن ابن الأبار لم يكتفِ " بالدراسة على علماء بلنسية ، بل قام برحلةٍ طويلة جاب بها الأندلس ، وأصبح يجمع إلى تضلعه في الحديث ثقافةً جامعةً لعلوم عصره ، ثم عاد أخيراً ، ولما يبلغ الثلاثين من عمره إلى بلنسية " (٥)

---

(١) انظر عنوان الدراية ص ٣١٠ الهامش

(٢) درر السمط ص ١ المقدمة

(٣) السابق عن الذيل والتكملة

(٤) عنوان الدراية ص ٣١١

(٥) إعتاب الكتاب المقدمة ص ٩

وكتب ابن الأبار ومؤلفاته تدل على أنه أمضى زمناً ليس بالقصير في التحصيل والدرس قبل أن يكتمل تكوينه الثقافي والأدبي ، وقبل أن ينشط إلى التأليف . (١)

ويضاف إلى هذا كله عامل رئيس في تكوين ابن الأبار الثقافي والأدبي ، وهو عمله في الكتابة للسلاطين فقد كتب للسلطان محمد بن أبي حفص صاحب بلنسية ، ثم لابنه من بعده أبي زيد ابن محمد ، كما كتب لأبي جميل مدافع بن مردنيش أمير بلنسية .

وفي المرحلة الثانية من حياته ، أي بعد سقوط بلنسية عام ٦٣٦ ، هاجر إلى تونس فكتب لسلطانها أبي زكريا ابن أبي حفص ، ثم لابنه المستنصر من بعده .

وإذا أمعنا النظر في حياة ابن الأبار منذ ولادته إلى وفاته أمكننا القول بأن هناك عدة عوامل تظافرت في جعل ابن الأبار يعيش في مناخٍ علمي وأدبي منذ ولادته إلى آخر لحظة من حياته ، منها :

١ــ استعداده الذاتي ، ورغبته في النبوغ والنجاح .

٢ــ اهتمام والده بتثقيفه وتأديبه .

٣ــ كثرة الشيوخ الذين تلقى العلم والأدب على أيديهم ، وسمع وحفظ منهم ، واستجازهم .

٤ــ عمله بالكتابة لدى السلاطين ، إذ أن من أهم أساسيات من يتولى هذا المنصب وقتئذ أن يكون ذا علم وأدب جم .

٥ــ مجالسته العلماء والأدباء والشعراء ، سواء في فترة تحصيله ، أو في الفترة التي عمل فيها لدى السلاطين .

---

(١) انظر إعتاب الكتاب ، مقدمة المؤلف ص ٩

كل تلك العوامل مجتمعة كانت وراء تكوين شخصية ابن الأبار الثقافية والأدبية الفذة .

واستخلاصاً من معارف شيوخه ومما ألف في المجالات المعرفية المختلفة في التاريخ والحديث والأدب يمكن أن تتحدد ملامح الصورة الثقافية له ، إذ نجده مؤرخاً ومقرئاً وحافظاً ومحدثاً وفقيهاً وأديباً ونحوياً ، كما نجده شاعراً بارعاً مكثرا .

****

ب ــ في إنتاجه الشعري والأدبي

مؤلفات ابن الأبار ومصنفاته كثيرة (١) ، وقد أحرق كثيرٌ منها وضاع بعضها خلال القرون ، ولا يعرف منه اليوم إلا اسمه ، مما ذكره ابن الأبار في تضاعيف كتبه التي وصلت إلينا ، أو مما يشير إليها بعض من اقتبسوا منها من مؤرخي الأندلس . (٢)

والكتب التي وصلت إلينا خمسة هي :

١ــ إعتاب الكتاب ، وقد طبع بتحقيق الدكتور صالح الأشتر

٢ــ التكملة لكتاب الصلة ، وقد طبع بعناية السيد عزت العطار .

---

(١) من كتبه (الأربعون حديثا من أربعين شيخا) ذكره المراكشي في الذيل والتكملة ، و (إعتاب الكتاب) ، و (إفادة الوفادة في الوافدين على الأندلس من المشرق) ذكره المقري ، و (إيماض البرق في أدباء الشرق) ذكره ابن شاكر في فوات الوفيات ، و (كتاب التاريخ) وهو الذي قتل بسببه ، ذكره المقري ، و (تحفة القادم) وعليه عمل المقتضب الذي حققه الأبياري ، و (التكملة لكتاب الصلة) ، و (الحلة السيراء في أشعار الأمراء) ، و (خضراء السندس من شعراء الأندلس) من أول فتحها إلى آخر عمره ، و (درر السمط في أخبار السبط) ، و (الغصون اليانعة في محاسن المائة السابعة) وهو غير كتاب ابن سعيد على حد زعم محقق التكملة ، و (قطع الرياض) كتاب في متخير الأشعار ذكره المقري ، و (معجم أصحاب أبي داود الهشامي) ، و (معجم أصحاب أبي علي الغساني) و (معجم أصحاب أبي عمر ابن عبد البر) و (معجم أصحاب أبي عمر المقري) ، و (معجم شيوخ أبي الحسن ابن السراج ، و (المعجم في أصحاب القاضي الصفدي) و (معجم مشيختي) و (المعجم من أصحاب ابن العربي) ذكره ابن الأبار في ترجمة رقم ١٣٣١ في التكملة ، و (المورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل) ذكره المراكشي في الذيل والتكملة ، و (المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح) ذكره ابن الأبار في معجم أصحاب الصفدي و (معادن اللجين في مراثي الحسين) ذكره الغبريني والمقّري ، و (هداية المعتسف في المؤتلف والمختلف) أشار إليه ابن الأبار في معجم أصحاب الصفدي ، و (هداية المعترف في المؤتلف والمختلف) ذكره المقري ، وربما يكون السابق ، و (ديوان شعره) .

(٢) انظر إعتاب الكتاب ص ١٩

٣ـ الحلة السيراء في أشعار الأمراء ، طبع بتحقيق الدكتور حسين مؤنس .

٤ـ درر السمط في خبر السبط ، طبع بتحقيق كل من الدكتور عبد السلام الهراس ، والأستاذ سعيد أعراب .

٥ـ المعجم في أصحاب القاضي الصفدي ، وقد نشرته دار الكتاب العربي بالقاهرة .

ويضاف إليها كتاب المقتضب من تحفة القادم للبلفيقي ، وقد حققه الدكتور إبراهيم الأبياري ، كما يضاف إليها ديوانه ، وقد حققه الدكتور عبد السلام الهراس .

وفي الصفحات التالية نتحدث عن كل كتاب من هذه الكتب على حدة لنتعرف على فترة تأليفه ، ومنهجه ، ومادته ، وأسلوبه ، وقيمته التاريخية والأدبية .

١ـ إعتاب الكتاب (١) :

ورد ذكر هذا الكتاب ـ ذكراً خالياً من الإشادة والتنويه ـ في مقدمات الكتب التالية : الحلة السيراء ، والمعجم في أصحاب القاضي الصفدي والمقتضب ، ولم يشر إليه محققو كتب درر السمط ، وتحفة القادم .

---

(١) حقق هذا الكتاب عام ١٩٦١م الدكتور صالح الأشتر ، وتحدث في مقدمة التحقيق عن حياة ابن الأبار وعصره ، وآثاره المطبوعة والمخطوطة ثم تحدث عن إعتاب الكتاب ومنهجه وأسلوبه وقيمته الأدبية والتاريخية ، وختم المقدمة بتبيين جهده في تحقيق الكتاب ، راجع إعتاب الكتاب مقدمة المحقق .

وورد ذكره مع الإشادة به في مقدمة تحقيق التكملة ، حيث أورد السيد عزت العطار أسماء مؤلفات ابن الأبار ، ومن بينها إعتاب الكتاب ، وقال عنه : " وهذا كتابٌ مفيدٌ وقيم " (١)

وقد ألف ابن الأبار هذا الكتاب عندما وجد عليه السلطان أبو زكريا الحفصي ، وأقاله من منصبه ، ككاتب له ، وألزمه داره ، ولكي يستعيد مكانته لديه تشفع بنجله الأمير أبي عبد الله ، فنال عفو سلطانه ورضاه .

ونجد في مقدمة الكتاب دعاء لولي عهد السلطان وهو الأمير أبو يحيى ابن السلطان أبي زكريا الذين عين وليا للعهد عام ٦٣٨هـ ، وتوفي قبيل والده عام ٦٤٦ ، وبين هاتين السنتين ألف ابن الأبار كتاب إعتاب الكتاب .

والغاية من تأليف هذا الكتاب واضحةٌ وجلية إذ أراد ابن الأبار أن يضرب لسلطانه الأمثال على حلم الملوك وعفوهم عن أخطاء كتابهم ، فراح يبحث عن نماذج لذلك في كتاب الشرق والغرب الإسلاميين ، ويتقصاها ويجمعها ، ويبرز في كل مثل إقالة الذنب ، ليحث بذلك السلطان على إقالة ذنبه ، ومن هنا كان الكتاب في عمومه تراجم مقتضبة ، يركز فيها الكاتب على إقالة العثرة ، وتؤمي تسمية الكتاب إلى غرض تأليفه (٢) .

ويمكن تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أقسام ، هي :

١ــ المقدمة ، و يستعرض فيها ابن الأبار موضوع الكتاب ، ويبين الغرض منه .

---

(١) التكملة ، مقدمة الناشر ص ١٢

(٢) انظر إعتاب الكتاب ص ٢٥ ، ٢٦

٢ــ تراجم الكتاب ، وعددها خمس وأربعون ترجمةً ، تتباين من حيث الطــول والقصــر ، وتتسلسل تسلسلاً زمــنياً ، وتمثل أسلوباً جديداً في فن التراجم ، أسلوبٌ موجــةٌ وجهــةً خاصة .

وتبدأ الترجمة بتحديد أسماء الحكام أو الأمراء أو السادة الذين كتب لهم صاحب الترجمــة باختصار حتى يصل إلى السيد الذي أغضبته زلة صاحب الترجمة ، وعند ذلك يتمــهل ابــن الأبار ليقصّ كــيف استرضى الكاتبُ سيدَه ، مستعرضاً الرسالة أو القصيدة أو الاعتــذار الذي يعلن فيه الكاتب توبته وندمه ، وقد أهمل ابن الأبار في تراجمه تحديــد ســني الــولادة والوفاة .

وفي خلال هذه التراجم يشير ابن الأبار إلى مصادره التي ينقل منها نقلاً أميناً ،

٣ــ خاتمة المؤلف ، والتي يــعلن فيها غايته من تقديم الكتاب إلى ســلطانه أبي زكريــا ، إذ جميع تلك الأمثلة التي ضربها لعفو الملوك عن زلل كتابهم هي دون عفو السلطان أبي زكريــا عن زلته ، يقول : " كل ذلك بالنسبة إلى الحلم الإمامي والإسجاح ، كالذبالة باهرت أنــوار الصبح الوضاح " (١)

ثم ينهي الخاتمة بإيراد قصائد في مدح السلطان وولي عهده والاعتذار والحمد .

وأسلوب ابن الأبار في هذا الكتاب لا يظهر جلياً إلا في مقدمته وخاتمته وتراجمه للكتــاب الذين عرفهم معرفة شخصية ، أما غير ذلك فهو مجرد ناقل .

---

(١) إعتاب الكتاب ص ٣٩

وأسلوب ابن الأبار في إعتاب الكتاب أسلوبٌ أدبيٌ مسجوعٌ يعتمد كثيراً على الصور والتشبيهات وتكرار المعنى الواحد بألفاظ مختلفة ، ويتضمن كثيراً من الشعر المأثور الذي يرد حيناً منثوراً في ثنايا الجملة ، وحيناً غير منثور ، كما تتوالى فيه الأمثال الكثيرة والآيات القرآنية ، وهو في الجملة أسلوب يستجيب لذوق العصر الذي يتطلب إسرافاً في التأنق والصنعة .

ولكتاب إعتاب الكتاب قيمة تاريخية ، إذ يكشف عن حياة عدد من الكتاب والوزراء في الشرق والغرب الإسلاميين ، ويقدم أحيانا معلومات لا نجدها في مصدر آخر ، كما أن له قيمة أدبية بما يتضمن من قصائد شعرية ومقطعات ورسائل اعتذار رقيقة .

٢ـ التكملة لكتاب الصلة (١) :

أشار إلى هذا الكتاب كثير ممن ترجموا لابن الأبار ، وأشادوا به وبقيمته التاريخية والأدبية ويعد من أهم كتب التراجم الأندلسية .

---

(١) صدرت من هذا الكتاب قطع في أسبانيا والجزائر ، ثم نشره عزت العطار علم ١٩٥٦م وصدرت منه مؤخرا طبعة كاملة ، وهذا الكتاب هو أشهر كتب ابن الأبار ، ويأتي امتداداً لسلسلة من كتب تراجم رجال الأندلس ، كان أولها كتاب (علماء الأندلس) لابن الفرضي ت ٤٠٣هـ ، ثم تلاه كتاب (الصلة) لابن بشكوال ت ٥٧٨هـ ، ثم كتاب (ذيل الصلة) لابن بشكوال أيضاً ـ ولم يصل إلينا ، وقد ذكره ابن الأبار في المعجم ، ثم استكمل هذه السلسلة ابن الأبار بكتابه (التكملة) ، ثم جاء بعده ابن عبد الملك المراكشي ت ٧٠٣هـ ، في كتاب (الذيل والتكملة) ، ثم تلاهم ابن الزبير ت ٧٠٨هـ في كتابه (صلة الصلة) ، ثم ختم هذه السلسلة ابن الخطيب رحمه الله بكتابه (عائد الصلة) .

ويرى الدكتور حسين مؤنس أن هذ الكتاب " كتب على فترات ، ففيه مواد يبدو بوضوح أنها كتبت قبل عام ٦٣٠هـ ، وأخرى كتبت بعد هذا التاريخ ، وقبل هجرة ابن الأبار إلى المغرب ، وثالثة كتبت وهو في بجاية " (١) أي في عام ٦٥٥هـ .

وفي ترجمة ابن الأبار لشيخه أبي الربيع ابن سالم ذكر أنه هو الذي أشار عليه بتأليف هذا الكتاب ، كما أشار إلى ذلك في مقدمة التكملة ، حيث يقول في معرض حديثه عن مصادر تراجمه : " وما كان فيه عن غير المذكورين ـ من شيوخ شيوخنا ـ فحدثوني به عنهم ، وكذلك ما كان لهم وأكثرهم إفادة في هذا المعنى (جازى الله جميعهم بالحسنى) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي ، وأبو سليمان ابن حوط الله ، وأبو الربيع ابن سالم وهو ندبني إليه وحضني عليه ... " (٢)

ومنهج ابن الأبار في كتابه هذا أن يذكر الرجل باسمه الكامل وكنيته ونسبه وبلده الذي ولد فيه أو الذي منه أصله ، والبلد الذي سكنه إن كان قد نزل بلداً آخر ، ثم شيوخه ، وما قرأ عليهم ، ثم تلاميذه ومن أخذ عنه ، وتختم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسر (٣) .

وأسلوب ابن الأبار في كتابه أسلوبٌ أدبيٌ مسجعٌ غير متكلف ، يهتم بالمعلومة التاريخية للمترجم بهم .

---

(١) الحلة السيراء ص ٤٩

(٢) التكملة ، نشر عزت العطار ص ٢٥ ، ٢٦ وراجع فيه ترجمة رقم ١٩٩١

(٣) انظر الحلة السيراء ص ٥٠

وللكتاب قيمةٌ تاريخيةٌ وأدبيةٌ إذ يشتمل على تراجم لكثيرٍ من علماء الأندلس وأدبائـــها وشعرائها ومشاهيرها في عصر الموحدين .

٣ـ الحلة السيراء في أشعار الأمراء (١):

تـــحدث عن هذا الكتاب كثيرٌ ممن ترجموا بابن الأبار ، ومنهم الدكتور حسين مؤنـــس محققه ، وقد خصه بدراسةٍ خاصةٍ في مقدمة التحقيق ، بيّن فيها زمن تأليفه ، ومنهجه وأسلوبه وقيمته التاريخية والأدبية .

ويرى أن ابن الأبار قد أنهى هذا الكتاب في منفاه ببجاية بالجزائر عام ٦٥٥هـ ، عندمـــا نفاه السلطان المستنصر وعزله عن الكتابة له (٢) .

وهذا الكتاب من كتب الأدب " أراد ابن الأبار أن يصف فيه النشـــاط الأدبي لمشـــاهير الأعلام في السياسة والحرب ، من رجال الأندلس وشمال أفريقية " (٣)

(١) صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٣م بتحقيق الدكتور حسين مؤنس ، وقد قدم له بمقدمـــة تاريخية طويلة ومهمة ، استعرض فيها أهم ما كتب عن ابن الأبار في القـــديم والحديـــث ، ثم تحدث عن حياته وعصره ومؤلفاته ، وعمل الدكتور عبد الله أنيس الطباع بحثا لنيل درجـــة الدكتوراة عنوانه ابن الأبار ومؤلفه الحلة السيراء ، صدّره بدراسة لحياة ابن الأبار ، ثم حقـق كتابه الحلة السيراء .

(٢) انظر الحلة السيراء ، مقدمة المحقق ص ٥١

(٣) إعتاب الكتاب ص ٢١

وقد قُسِّم الكتاب إلى قسمين غير متساويين الأول : في تراجم الرجال الذين لم تصل آثارهم إلى ابن الأبار ، والثاني : ملحقٌ يتعلق بهؤلاء الرجال .

وقد صنف المؤلف التراجم تصنيفاً زمنياً فأفرد لكل قرنٍ رجاله من القرن الأول إلى القرن السابع ، وفي الملحق من القرن الأول إلى القرن الثالث . (١)

ورتب المؤلف الأعلام في كل قرن ترتيباً يجمع رجال كل أسرةٍ معاً ، أو الرجال الذين تضمهم ميولٌ سياسية متجانسة . (٢)

ويشتمل الكتاب على كثيرٍ من الأشعار ، وهي ليست كلها لأمراء كما يوحي عنوان الكتاب (الحلة السيراء في أشعار الأمراء) " بل فيه الكثير من أشعار الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلم ".(٣)

وأسلوب الكتاب ــ فيما عدا فاتحته ــ أسلوب أدبيٌ قويم رصين ، يرتفع إلى أحسن مستويات الأساليب العربية الصافية ، ذلك لأن ابن الأبار تخلى فيه عن السجع ، وانطلق على سجيته ، فأبان وأفاد وأمتع . (٤)

---

(١) انظر إعتاب الكتاب ، مقدمة المحقق ص ٢١

(٢) انظر إعتاب الكتاب ص ٢١ ، ٢٢

(٣) الحلة السيراء ص ٥٣

(٤) راجع إعتاب الكتاب ص ٢١

و لكتاب الحلة السيراء قيمةٌ تاريخيةٌ وأدبيةٌ كبيرة إذ هو من أحسن كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة ، " بل هو من عيون ما ألف في الأندلس قاطبة ، ومن المراجع التي لا يستغني عنها من يؤرخ له ، أو يكتب في أي ناحيةٍ من نواحي الحياة فيه " (١)

٤ : كتاب درر السمط في خبر السبط (٢) :

ذكر هذا الكتاب كثيرٌ ممن ترجموا بابن الأبار ، وبعض من حققوا تراثه (٣)و ذهب المقري وغيره إلى أن هذا الكتاب تُشتم منه رائحة التشيع (٤) .

وقد صُدِّر الكتاب بمقدمة لمحققيه ، الدكتور عبد السلام الهراس والأستاذ سعيد أعراب ، عن حياة ابن الأبار ، ثم حديثٍ عن التشيع في الأندلس ، ومن خلاله أثبتا أن ابن الأبار لم يكن متشيعاً بل هو من علماء السنة وحفاظها ، غير أنه محبٌّ لآل البيت حباً شرعياً (٥).

وقد أكد هذا أيضاً الدكتور حسين مؤنس في حديثه عنه ، ويؤكده كذلك تبروء ابن الأبار من التشيع ، وتبرئة الأندلسيين منه ، الذين تمسكوا بالشريعة ، وأحبوا آل النبوة لكنهم عادوا الشيعة كمذهب ، يقول في رسالة وجهها لأبي المطرف ابن عميرة : " كلا بل دانت الأندلس للسنة ، وكانت من البدع في أحصن جُنة ، هذه المروانية مع اشتداد أركانها ،

---

(١) الحلة السيراء ص ٥١

(٢) ظهر هذا الكتاب بتطوان (المغرب) عام ١٩٧٢م ، بتحقيق كلٍ من الدكتور عبد السلام الهراس ، والأستاذ سعيد أعراب ، وظهرت له طبعةٌ أخرى بالأردن .

(٣) انظر مقدمات : الحلة السيراء ، التكملة ، المعجم في أصحاب الصفدي ، المقتضب .

(٤) انظر نفح الطيب مج/٤ ص ٥٠٦ (٥) راجع مقدمة تحقيق درر السمط .

وامتداد سلطانها ، ألقت حب آل النبوة في حبات القلوب ... إلى المرابطة بأقاصي الثغور والمحافظة على معالي الأمور ، والركون إلى الهضبة المنيعة ، ... وموالاة الشريعة " (١)

ويرى محققا درر السمط أن الغاية المتوخاة من تأليف ابن الأبار لهذا الكتاب هي التقرب إلى الله ، والتوسل إليه بعمل مبرور ، يقول ابن الأبار في مقدمته : " وأنا قد ران على قلبي ما أكسب ، فلا أنمى بقربة ولا أنتسب ... أشهدك اللهم في رزء الشهيد ، أني أهب التهويم للتسهيد " (٢)

كما يريان أن ابن الأبار ألفه في " أخرياتِ حياته ، وهو يعيش أزمةً نفسيةً بمدينة بجاية ، فجاء صورةً صادقةً لنفسه وقلبه وعواطفه ، ومجليً لثقافته الموسوعية ونضجه الفني . " (٣)

ويتضمن الكتاب مقدمةً وأربعين فصلاً ، ويشتمل على تراجم لآل البيت ، وأسلوبه أدبيٌ مسجعٌ له مسحته البلاغية ، وبراعته اللغوية .

وللكتاب قيمةٌ أدبيةٌ وتاريخيةٌ ، إذ هو " نمطٌ فريدٌ في كتابة السير والتراجم ، ... ، وقد عرفه الناس في حياة المؤلف ، وأخذوا عنه ، وتدارسوه بعده ، وعلقوا عليه وشرحوه " (٥)

---

(١) درر السمط ، مقدمة التحقيق ص س

(٢) السابق ص م

(٤)السابق ص ت

(٥) السابق والصفحة

ومن شرحه أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف السبتي ، ت ٧٦٠هـ ، وأبوجمعة سعيد بن مسعود المراكشي ، ت ١٠١٦هـ ، وذكره المقري في نفحه ، ثم قال عنه : " إنه غاية في بابه " .(١)

وذكره ظافر الأزهري في كتابه (اليواقيت الثمينة) وقال عنه : " وقد اشتمل من تأبين أهل البيت رضوان الله عليهم ، ما يجرح الفؤاد ، ومن تبيين مناقبهم الطاهرة ، ومفاخرهم الظاهرة ، على ما هو تحفة ذوي التأديب والإسناد " (٢)

وقال عنه عبد المجيد عبد العزيز : " ... ولا أحسب هذا الكتاب الذي جمع بين قوة العقل وقوة الحب وقوة الخيال إلا كتاباً معبراً تعبيراً صادقاً عن قدرة مؤلفه البلاغية . " (٣)

٥ـ المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصفدي (٤) :

تحدث عن هذا الكتاب كثيرٌ ممن حققوا تراث ابن الأبار ، فقد قال عنه ناشر التكملة : " ... هو من أنفس كتبه " (٥)

---

(١) نفح الطيب مج ٤ ص ٥٠٦ ، وانظر مقدمة تحقيق درر السمط ص س ، ت

(٢) درر السمط ص ت

(٣) ابن الأبار حياته وكتبه ص ٢٩١

(٤) صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٧م عن دار الكتاب العربي بالقاهرة ، وقد عملت له مقدمة مجهولة المؤلف فيها حديث عن نسب ابن الأبار وحياته ومكانته وشيوخه ، وفيها نقل واضح من تقديم الدكتور حسين مؤنس للحلة السيراء .

(٥) التكملة ص ١٢

وقال عنه حسين مؤنس : " كتابٌ فريدٌ في نوعه من بين ما وصل إلينا من التراث الأندلسي " (١)

ولا يعرف بالتحديد متى ألف ابن الأبار هذا الكتاب ، غير أن القاضي عياض ألف كتاباً في تراجم شيوخ أستاذه أبي علي الصفدي فأراد ابن الأبار أن يكمل العمل بتأليف كتابٍ في أصحاب أبي علي ، أي تلاميذه ومعاصريه ومن تبادل معهم العلم (٢) .

ومنهج الكتاب كمنهج كتاب التكملة ، فهو يذكر الاسم الكامل للرجل وكنيته ونسبه وبلده الذي ولد فيه أو الذي أصله منه ، والبلد الذي سكنه إن كان قد نزل بلداً آخر ، ثم شيوخه الذين سمع منهم ، ثم تلاميذه ومن أخذوا عنه ، ثم يختم الترجمة بذكر تاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسر .

وقد رُتبت التراجم في هذا الكتاب على حروف المعجم في أغلبها .

ويحرص ابن الأبار على أسلوب السجع في كتابه هذا حرصه عليه في معظم كتبه ، وهو في ذلك يتبع نهج معاصريه ، ويقتبس من القرآن الكريم والحديث والأمثلة العربية والشعر ، ويلمح بالحوادث التاريخية ، ويتعمد الصنعة في انتقاء الألفاظ والعبارات والجمل والتراكيب كما يكثر من استخدام المحسنات اللفظية نشأنه في ذلك شأن كثيرٍ من كتاب عصره .

---

(١) الحلة السيراء ص ٤٨

(٢) انظر السابق ص والصفحة

٦ـ كتاب المقتضب من تحفة القادم (١):

هو كتابٌ ألفه أبو إسحاق إبراهيم البلفيقي ، وهذا الكتاب اختياراتٌ وتقاييدُ نقلها البلفيقي باختصارٍ من كتاب تحفة القادم في تراجم شعراء الأندلس لابن الأبار .

وتحدث المحقق في مقدمة الكتاب عن كتابي التحفة لابن الأبار ، والمقتضب ، كما تحدث عن ابن الأبار وحياته وآثاره (٢).

وعمل الدكتور إحسان عباس على جمع بعض نصوص التحفة المتناثرة في بعض الكتب ، كالوافي بالوفيات للصفدي وغيره ، في محاولة منه لإعادة بناء الكتاب ، وقدم لعمله هذا بدراسة عن كتاب التحفة ، تحدث فيها عن أسلوبه ومنهجه وقيمته التاريخية والأدبية (٣) .

وأشاد بالكتاب على صورته المفقودة ، ذلك لأن البلفيقي ـ على حد رأي الدكتور إحسان عباس ـ قد أساء للكتاب حينما اقتضبه ، فحذف كثيرًا من التراجم ، واكتفى بذكر اسم المترجم به وشيئاً من شعره ، فجاء كتابه صورةً مشوهةً لكتاب ابن الأبار (٤) .

....

(١) حقق هذا الكتاب الأستاذ إبراهيم الأبياري عام ١٩٥٦م

(٢) راجع المقتضب : المقدمة

(٣) انظر : مقدمة تحفة القادم .

(٤) راجع مقدمتي : المقتضب ، وتحفة القادم .

٧ــ ديوان ابن الأبار (١) :

حقق هذا الديوان الدكتور عبد السلام الهراس ، وقدم له بمقدمةٍ موجزةٍ تحدث فيها عن نسب ابن الأبار ووفاته وتلاميذه ومؤلفاته .

ثم تحدث عن الديوان وأشار إلى أن كثيرين ممن ترجموا بابن الأبار نصّوا على أنه لم يترك ديوان شعر مجموع ، فيما عدا ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة) ، وعبد الواحد بن الطواح في كتابه (سبك المقال في فك العقال) الذي نصّ على أن ابن الأبار خلف ديوان شعرٍ ضخماً ، وأنه ــ أي ابن الطواح ــ قد طالعه بنفسه ، غير أنه قليل بأيدي الناس .

ثم يشير المحقق إلى أنه لما حظيت الخزانة الملكية بالمغرب بالتنظيم اكتشفت كثيراً من نوادر المخطوطات ، وكان من أهمها ديوان ابن الأبار هذا .

ويخلص المحقق في نهاية المقدمة إلى الحديث عن الجهد الذي بذله في تحقيق الديوان .

والقارئ لمقدمة الديوان يجدها تخلو أو تكاد من أي دراسةٍ لشاعرية ابن الأبار ، وشعره .

ويقع الديوان في أربعمائة وستة وتسعين صفحة من الحجم المتوسط ، وقد رتبت فيه القصائد ترتيباً أبجدياً ، وفي نهايته ملحقان اشتملا على بعض الأبيات والقصائد التي تنسب

---

(١) نشر هذا الديوان عام ١٩٨٥م بالمغرب .

لابن الأبار ، نقلها المحقق من كتبٍ مختلفةٍ ولم ترد في الديوان ، وعدد قصائد الديوان ومقطوعاته بما في ذلك ما في الملحقين مائتان وخمسةٌ وأربعون قصيدةً ، منها القصائد الطوال ، ومنها المقطوعات التي لا تتجاوز البيت والبيتين والثلاثة .

وتناولت قصائد ابن الأبار الأغراض التقليدية المعروفة ، كالنسيب والمديح والشكوى من الزمان ، والرثاء بمختلف ألوانه، والوصف وغيرها .

ومن الناحية الفنية فإن قصائد الديوان تمتاز في أكثرها بحسن الاستهلال ، والقدرة على التأمل ، وتنم عن ملكة شعرية صقلت بالدربة والمراس والدراسة وكثرة الاطلاع على المأثور من الأدب العربي القديم شعره ونثره .

ولم يخرج ابن الأبار في قصائده ومقطوعاته عن الشعر التقليدي ، كما أن شعره يمتاز بكثرة المحسنات جرياً على عادة عصره .

ولا أحب أن أطيل الحديث عن الديوان لأنه سيكون مركز اهتمامنا ، ومحور دراستنا في فصول هذا البحث ــ بإذن الله ــ .

****

ثانياً : العصر

أ ــ في بعده السياسي والاجتماعي

لسنا هنا بصدد الحديث عن عصر الموحدين من الناحية التاريخية والسياسية والاجتماعية فهذا من شأن المؤرخين ، وقد أفاضوا فيه بما لا يدع مجالاً لتكراره .

غير أننا نود أن نرصد أهم الجوانب التاريخية والسياسية والاجتماعية في حياة الأندلس في تلك الفترة ، وأهم المظاهر ــ في بلنسية بالذات ــ التي تضيء لنا جزءاً كبيراً من حياة ابن الأبار ــ موضوع دراستنا ــ والتي يمكن من خلالها استيضاح واستجلاء المقدمات والنتائج مما يسعف على إنجاز مقاربة لشعر ابن الأبار ، لن تعدم حظها من السبر والاستشراف ، والجدة والطرافة إن شاء الله .

لقد عاشت الأندلس في بداية عصر الموحدين فترةً من التماسك في إزاء القوى الأسبانية النصرانية التي صارت تقوى وتنتظم ، وتثبت في أقاليمها ، وتجمع قواها ، وتتقدم نحو الأندلس بخطوات ثابتة ، وعن سياسةٍ واضحةٍ أعانتهم البابوية في رسمها ، وشدت أزرهم فيها بلادٌ أوربيةٌ أخرى .

واستطاعت جبهة الأندلس الإسلامي التماسك بعد تضحياتٍ كثيرةٍ في عهد الخلفاء الموحدين الثلاثة الأُول ، غير أنها تداعت على أيام الرابع وهو محمد الناصر ابن يعقوب المنصور (٥٩٥ــ ٦١١هــ) ، وتجلى هذا التداعي في صورة انهيارٍ سريعٍ بعد معركة العقاب ، التي كانت قاصمة الظهر للمسلمين ، ولدولة الموحدين بالمغرب والأندلس (١).

---

(١) انظر : الحلة السيراء ص ٢٠ وما بعدها

وإثر معركة العقاب (١٥ صفر ٦٠٩هـ) تحددت بصورةٍ حاسمةٍ نهاية الصراع الطويل بين الإسلام والنصرانية حول مصير الأندلس ، وحاول الموحدون بذل جهدهم ،إلا أنهم كانوا أصحاب إمبراطورية كبرى تمتد حدودها من طرابلس شرقاً إلى مشارف المحيط الأطلسي غرباً ومن الأشبونة إلى ما يعرف اليوم بالسنغال ، وكان عليهم أن يظلوا على أهبة الحرب في طول تلك الحدود المترامية و في داخل تلك الإمبراطورية ، وكان مستحيلاً مادياً أن يستمروا محاربين بنفس القوة ، في جبهات عدة كتلك ، وكانت الجبهة الأندلسية أضعف الجبهات ، وأكثرها خطراً ، وكان أهل الأندلس قد سئموا الحروب وأكلتهم الفتن المتوالية ، وافتقدوا روح الوحدة ، وحرموا القادة الصالحين ، في وقت كانوا فيه بحاجةٍ ماسة إلى الاتحاد تحت راية قادةٍ قادرين (١).

ولم تكن الحرب في الأندلس مقصورة على النصارى والمسلمين فحسب ، بل كانت هناك فتن بين العرب والبربر ، وأخرى بين عرب اليمن وعرب مضر ، كما كان هناك تنافس امتد إلى أدق من ذلك ، كالفتن بين الولاة ووزرائهم أو رجال جيشهم ، وعموماً فقد كللت الأوضاع السياسية في البلاد بعامة سلسلة من الاضطرابات المستمرة .

وكانت بلنسيةُ ـ مسقط رأس ابن الأبار ـ في بداية عهد المسلمين مدينةً عامرةً بالخيرات والتجارة ، التي تجري بينها وبين مدن الغرب وأفريقيا والروم وجزر الأبيض المتوسط ، ومدن الأندلس الداخلية ، وبها أسواقٌ عظيمةٌ ، وكان لموقعها على نهر الوادي الأبيض ، وهو نهرٌ جارٍ يُنتفع به في سقي حقولها ، أهميةٌ كبرى ، وعليه جناتٌ وعماراتٌ متصلةٌ ، وكانت السفن تدخل النهر إليها من المتوسط بالمسافرين والتجارة ، وكان لها سورٌ كبيرٌ مبنيٌّ من الحجر والطوب ، ولها أربعة أبواب عظيمة ، على كل باب قلعة وحرس(٢) .

---

(١) انظر:الحلة السيراء ص ٢٠ وما بعدها (٢) راجع نفح الطيب مج/١ ص ١٧٥

وقد امتدحها كثيرٌ من الشعراء ، كابن الزقاق البلنسي ، ت ٥٣٠هـ ، بقوله :

بلنسيةٌ إذا فكرت فيها ... وفي آياتها أسنى البلاد
وأعظم شاهدي منها عليها ... وأن جمالها للعين بادي
كساها ربها ديباجَ حسن ... لها علمان من بحرٍ ووادي (١)

ولما طُرد منها أحد ملوكها ، وهو مروان بن عبد الله بن عبد العزيز إلى مراكش ، روي أنه قال :

كأن بلنسيةً كاعب ... وملبسها سندسٌ أخضرُ
إذا جئتها سترت نفسها ... بأكمامها فهي لا تنظر (٢)

ووصفها كثيرٌ من المؤرخين ، كابن سعيد وصاحب الروض المعطار ، وغيرهما بأنها كانت مكاناً للتنزه واللهو لخضرة أرضها ورقة هوائها وطيب ثمارها ، وقيل : إنها كانت تسمى مدينة الطرب ، وكذلك رصافتها مشهورة بمناظرها الجميلة وبساتينها ومياهها ، وفيها قال الرصافي ت ٥٧٣هـ :

ولا كالرصافة من منزلٍ ... سقته السحائبُ صوبَ الولي
أحنّ إليها ومن لي بها ... وأين السريّ من الموصلي (٣)

ويجمع المؤرخون على " الثناء على أهل بلنسية ، وأخلاقهم العربية الأصيلة ، فلهم حسن زيٍ ، وكرم طباعٍ ، والغالب عليهم طيبُ النفوس " (٤)

(١) ابن الأبار حياته وكتبه ص ١٧، ١٨

(٢)السابق ص ١٨

(٣) السابق ص ١٩

(٤) إعتاب الكتاب ص ٨ ، وانظر المعجب ص ٣٧٠

ولقد تعاقب على حكمها كثيرٌ من السلاطين والأمراء ، من الفتح الإسلامي إلى عصر الموحدين ، وفي أواخر القرن السادس الهجري تغيرت الأحوال فيها ، فصارت دار حربٍ يصابحها العدو ويماسيها ، وعن ذلك يقول ابن خلصة البلنسي :

وروضةٍ زرتها بالأمس مبتغياً — فأوحشتني لذكرى سادةٍ هلكوا
تغيرت بعدهم خرباً وحق لها — مكان نوارها أن ينبت الحسك
لو أنها نطقت قالت لفقدهمو — بان الخليط ولم يرثوا لمن تركوا (١)

وعفت معالمها ، وعراها الإهمال ، وصارت بساتينها ومياهها مباءةً للبعوض والذباب ، حتى قال الشاعر فيها :

ضاقت بلنسية بي — وذاد عن عيني غموضي
رقصُ البراغيث بها — على غناء البعوض (٢)

وغلت الأسعار فيها ، وصارت دار خوفٍ وجوعٍ وغلاءٍ وبلاءٍ ، وعن ذلك يقول ابن عياش :

بلنسيةُ بيني عن القلب سلوة — فإنك روضٌ لا أحنّ لزهرك
وكيف يحب المرء داراً تقاسمت — على صارمي جوعٍ وفتنةٍ مشرك (٣)

ويقول آخر :

بلنسيةٌ قرارة كل حسن — حديثٌ صح في شرقٍ وغربِ
فإن قالوا محل غلاء سعرٍ — ومسقط ديمتي طعنٍ وضربِ

---

(١) ابن الأبار حياته وكتبه ص ١٩

(٢) السابق ص ٢١ — (٣) السابق ص ٢٠

فقل هي جنةٌ حفت رباها   بمكروهين من جوعٍ وحرب (١)

والواقع أنـه قد مرت على بلنسية خلال القرون الإسلامية تموجـات من الناحيـة الاقتصادية ، ففي بداية عصر الأندلس كان الناس يعيشون في رغدٍ وترف ، ولما جاء عصـر الموحدين عمّ الفقر على كثير من طبقات المجتمع ، فيما عدا الحكام والولاة والقضاة والفقهاء ومن يسير في ركابهم .

وفي خضم هذه الظروف العصيبة والأحداث المتلاحقة والكوارث المتتابعـة والتغـيرات السياسية ولـد ابن الأبار ونشأ وترعرع ، ليشهد في بداية حياته معركـة العقـاب عـام ٦٠٩هـ ، وعمره إذ ذاك أربعة عشر ربيعاً ثم ليشهد معركة حصن أنيتشه عام ٦٣٤هـ ، وهي المعركة التي استشهد فيها كثيرٌ من شيوخه ، كأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعـي ، بل وليشارك بنفسه في مجريات السياسة وقتئذ ، إذ يعمل كاتباً لدى سلاطين بلنسية الفـترة الممتدة بين عامي ٦٢٣ـ٦٣٦هـ ، وهو العام الذي شهد فيه سقوط بلده ومسقط رأسـه بلنسية .

****

(١) ابن الأبار حياته وكتبه ص ٢٠

ب ــ في بعده الأدبي والثقافي

****

يصف كثيرٌ من الكتاب أهلَ بلنسية ــ في عصر الموحدين ــ بسمو الخلق والتدين والاستقامة وحب الجهاد والبعد عن المجون ، والتزام مذهب أهل السنة والجماعة ، وربما ظهر تيار تشيع في بلنسية وفي الأندلس بعامة خلال تلك الفترة ، غير أن " السمة العامة التي امتاز بها تشيع الأندلس أنه كان كان تشيعاً غير أعجمي ، ... ، وقد عبر عبد المهيمن الحضرمي السبتي عن طبيعة حب المغاربة لآل البيت بقوله : " أحبهم حب تشرع لا حب تشيع " (١)

ولقد أشرنا في معرض الحديث عن تكوين ابن الأبار الثقافي والأدبي ، وعن شيوخه ، إلى اهتمام أولئك الشيوخ بعلوم الدين ، لأن هذا " النوع من الدراسة ، دراسة القرآن والقراءات والحديث والعلم ، هو ما كان شائعاً مطلوباً مقصوداً في تلك العهود من تاريخ الإسلام ، وكان هذا النوع من الأساس الضروري لكل من يرغب في التوسع في العلم والتقدم في المعرفة ، والقدر الكافي لمن يريد أن يكون بصيراً بشئون دينه ودنياه (٢) .

ولم تكن لأهل الأندلس عامةً ولا لأهل بلنسية خاصةً "مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة "(٣) وكل العلوم لها عنهم اهتمام واعتناء ، عدا الفلسفة والتنجيم إذ لا يهتم بهما إلا الخاصة ، وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة ، وللفقه رونق ووجاهة ، ولا مذهب لهم إلا مذهب الإمام مالك ، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم ، وسمة الفقيه

---

(١) درر السمط ص ل ، وانظر : نفح الطيب مج/٥ ص٤٦٩

(٢) ابن الأبار حياته وكتبه ص ٨٨ (٣) نفح الطيب مج/١ ص ٢٢٠

عندهم جليلة حتى أن المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريـــدون امتداحــه بالفقيه (١) .

وتشير كثيرٌ من المصادر الأندلسية إلى أن أهل الأندلس عامة ، وأهل بلنســية بصفــة خاصة ، كانوا يعظمون العلماء ويجلونهم ، يقول المقري في النفح : " والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه ، وينبه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جــوار أو ابتياع حاجة ، وما أشبه ذلك "(٢).

واهتم أهل بلنسية ــ كغيرهم من الأندلسيين ــ بعلم النحو فكان عندهم في نهاية مــن علو الطبقة ، وكانوا يكثرون البحث فيه ويحفظون مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عــالم في أي علم لا يكون متمكناً من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليــس عندهــم بمســتحق التمييز وربما سخروا منه ، " مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعــوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوبيـــني أبي علي المشار إليه بعلم النحو ... وهو يقريء درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريــف الذي في لسانه ، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يجري على قوانين النحو اســتثقلوه واستدبروه ، ولكن ذلك مراعىً عندهم في القراءات والمخاطبات والرسائل "(٣) .

وعني أهل بلنسية عــناية كبيرة بالأدب المنثور من حفــظ التــاريخ والنظــم والنــثر ومستظرفات الحكايات ، وصار من أنبل العلوم لديهم ، وبه يتقرب من مجــالس ملوكــهم وأعلامهم ، ومن لا يكون له حظ من الأدب من علمائهم فهو غُفلٌ مستثقل ، كمــا كــان للشعر عندهم مكانة عظيمة ، وللشعراء منْ ملوكهم وجاهة .(٤)

---

(١) راجع : نفح الطيب مج /١ ص ٢٢٠ وما بعدها (٢) نفح الطيب مج/١ ص ٢٢٠
(٣) السابق ص ٢٢١، ٢٢٢ (٤) انظر السابق والصفحة

وتمتلئ كتب التراجم بأسماءٍ كثيرٍ من العلماء الذين نشأوا وترعرعوا في بلنسية ، وقـــد جمع ابن الأبار في مؤلفاته تراجمَ كثيرةً لكثير من علماء الأندلس بعامة ، وبلنسيةَ بخاصة .

ومن خلال تلك التراجم نجد الاهتمام الكبير لهؤلاء العلماء بالثقافة في شتى مناحيها ، مـع التركيز على الثقافة الدينية ، ذلك لأنهم بدار حربٍ من جهة ، ولأن دولة الموحدين كـــانت تهتم بطبقة الفقهاء والقضاة وتقربهم منها من جهة أخرى ، فهي دولة ارتكـــزت في نظمـــها وسياستها على الاهتمام بالناحية الدينية .

****

الباب الأول
في
مضامين الخطاب الشعري عند ابن الأبار

الفصل الأول : في الصراع والمواجهة

الفصل الثاني : في الغربـــــة و الحنين

الفصل الثالث : في الـــتأريخ والتوثيق

الفصل الرابع : في الـــمذهب والمعتقد

****

الفصل الأول

في الصراع والمواجهة

****

في الصراع والمواجهة

— ١ —

لا شك أن الحياة الإنسانية منذ بد الخليقة و هي في صراعٍ ومواجهة ، وليست ببعيدة عند حكاية آدم عليه الصلاة والسلام وإبليس التي قصها القرآن الكريم ، ثم هابيل وقابيل ثم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه وصراعهم مع أعداء الدعوة ، ويتخلل ذلك عبر فتراتٍ زمنية مختلفة الصراع بين القبائل والطوائف والفئات ، ثم الصراع بين الأشخاص على زعاماتٍ أو وظائف أو خلاف ذلك ...

إذن فالحياة كلها صراع ، والإنسان في صراعٍ مستمر منذ خلق إلى أن يموت ، وقد عكس لنا الشعر العربي كثيراً من جوانب هذا الصراع وهذه المواجهات ، منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث ، ولذا يمكننا القول بأن شعر الهجاء والفخر والرثاء والشكوى والعتاب والمديح والغزل وغيرها من الأغراض والموضوعات تعكس لنا الكثير من الصراع والمواجهة على مستويات متعددة ، وأصعدة مختلفة .

ومن هنا يمكن تقسيم شعر الصراع والمواجهة بالنسبة لشاعرٍ ما إلى قسمين كبيرين :
الأول : الصراع العام ، وهو الذي يكون خارج دائرة الشاعر الخاصة ، ويعبر عنه الشاعر بلسان الجماعة — أيّ جماعة — ومن أمثلة ذلك ما قاله شعراء الدعوة الإسلامية في عصر صدر الإسلام للرد ﷺ على شعراء المشركين ، ومناصرة الدعوة ، ويدخل في هذا النوع كل الشعر الذي يعبر به الشاعر عن الإنسان عامة أو عن فئته أو طائفته أو قبيلته ، أو أبناء ملته وجنسه .

الثانـــي : الصراع الخاص ، وهو الذي يكون داخل دائرة الشاعر الخاصـــة ، ســـواءً مـــع منافسيه أو محبيه أو مع دهره وظروفه ، أو مع ذاته وأمانيه وأحلامه وآلامه ، وما إلى ذلك مما يلمح في كثيرٍ من وقفات الشاعر النفسية .

ـ ٢ ـ

وإذا تأملنا تاريخ الأندلس بعامة نجد أن حياة الأندلسيين كانت في صراعٍ مستمر ، وهـــذا الصراع كان على مستويات متعددة ، فهناك صراعٌ بين المسلمين والنصارى ، وصراعٌ بـــين الأندلسيين ذاتهم ، منه ما كان بين العرب الأصليين الداخلين على الأندلس وبين أصحـــاب البلاد الذين يـــرجعون إلى أصولٍ غير عربية ، وصراعٌ بين العرب المضريـــين واليمنيـــين ، وصراعٌ بين الزعامات المتنافسة على الحكم في أكثر مراحل التاريخ الأندلسي ، وصراعٌ بـــين الكتاب والوزراء والعاملين في الدول أو الدويلات الأندلسية المختلفة (١) .

إذن فالحياة في الأندلس منذ فتحها إلى سقوطها كانت مرتعاً خصباً ، ومناخـــاً ملائمـــاً للصراع ، وبواعثه كثيرةٌ لا تنتهي ، منها التقلبات السياسية الكثيرة ، ومنها اختلاف أصـــول أهل الأندلس ، ومنها التنافس وما قد يفضي إليه من التحاسد ، إلى غير ذلك من الأســـباب والبواعث .

وكان هذا الصراع يتماوج بين القوة والضعف والمد والجزر ، حتى انتهى بســـــقوط الدول الأندلسية ، الدولة تلو الدولة ، وعاذت الأندلس إلى أيدي الأسبان النصارى ، كمـــا هو معلوم .

---

(١) راجع مقدمة الحلة السيراء .

وفي خضم كل هذه الصراعات ولد ونشأ وترعرع ابن الأبار ، بل وشارك بنفسه في كثيرٍ من المواجهات، وكانت حياته بالفعل مليئةً بالصراع والمواجهة ، وبرز ذلك واضحاً في خطابه الشعري .

ولعل أهم بواعث المواجهة والصراع العام عند ابن الأبار ، ونعني به الذي كان خارج دائرة ابن الأبار الخاصة ، ما يلي :

١ــ الحروب بين المسلمين والنصارى .

٢ــ التنافس بين الزعامات العربية والإسلامية على السلطة .

٣ــ التفاضل بين الأندلسيين العرب والمستعربين منهم ، وهو الذي جعل ابن الأبار في أكثر من موقف يصرّ على عروبته ومضريته ، ويقدم نسبه القضاعي على البلنسي في تسميته على مصنفاته ومؤلفاته .

وأهم بواعث الصراع الخاص : ونعني به الذي كان داخل دائرة ابن الأبار الخاصة ، ما يلي :

١ــ الاصطدام مع الحساد والمنافسين له من الوزراء والكتاب وغيرهم .

٢ ــ محاولة التفكك من أسر الآمال والطموحات التي دفعته إلى المغامرة بنفسه في خضم الصراعات والمواجهات المختلفة ، والهروب أحياناً إلى مناجاة الذات ، والتعلق بحبال الله الوثيقة ، والزهد في الدنيا .

٣ــ جفاء الأحبة وصدود الحبيب وابتعاده وما شاكل ذلك .

ولقد انعكست كل هذه المواجهات والصراعات باختلاف مستوياتها في خطاب ابن الأبار الشعري ، وتفاوت التعبير عنها بين القوة والضعف تبعاً لتفاوت ملامستها لنفسه وتأثيرها على مشاعره .

أولاً : الصراع العام :

تمثل قصيدته المشهورة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا   إن السبيل إلى منجاتها درسا (١)

أنموذجاً للنوع الأول من الصراع الخارجي ، الذي نجده في شعر ابن الأبار ، إذ هي من معطيات المواجهة مع النصارى المعتدين ، ويصور فيها حال المدينة المحاصرة والمغلوبة على أمرها :

يا للجزيرة أضحى أهلها جُزراً   للحادثات وأمسى جِدُّها تعسا
في كل شارقةٍ إلمام بارقةٍ   يعود مأتمها عند العدى عرسا
وكل غاربةٍ إجحاف نائبةٍ   تثني الأمان حذاراً والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم   إلا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفي بلنسيةٍ منها وقرطبةٍ   ما ينسف النفس أو ما يترف النفسا
مدائنٌ حلها الإشراك مبتسماً   جذلان ، وارتحل الإيمان مبتئسا

ثم يبين كيف تحولت حال المدينة من الأنس إلى الوحشة ، وصارت مساجدها كنائس ، ومحيت كل محاسنها :

وصيرتها العوادي العابثات بها   يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
يا للمساجد عادت للعدى بيعاً   وللنداء غدا أثناءها جرسا
محا محاسنها طاغٍ أتيحَ لها   ما نام عن هضمها حيناً و لا نعسا(٢)

(١) الديوان ص ٣٩٥

(٢) الديوان ص ٣٩٦

ومن معطيات المواجهة بين المسلمين والنصارى قصيدته التي قالها لما جهز السلطان أبو زكريا أسطولاً بحرياً لإنجاد بلنسية وحشد الحشود لذلك ، يقول فيها :

ظهيراك التوكل والمضاءُ   فعمر الكفر آن له انقضاءُ

والقصيدة طويلة ، يصور فيها ابن الأبار الصراع بين الفريقين كما كان يتخيله ويتوقعه ، غير أن الأسطول وصل متأخراً ، وكانت المدينة قد سقطت في أيدي النصارى ، يقول منها :

أ عباد المسيح دنا رداكم   وأخرس نأمة الجرس النداء
لم استعجلتم حمر المنايا   وأنتم عن تقحمها بطاء
رحى الهيجاء دائرة عليكم   بما ينهدُّ خيفته حراء (١)

ومن قصائد الصراع على مستوى المواجهة بين النصارى والمسلمين أيضاً قصيدته التي مطلعها :

نادتك أندلسٌ فلب نداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها (٢)

وفيها تصوير للصراع بين النصارى والمسلمين من أهل بلنسية الذين دفعوا للمصائب ، وتنكرت لهم الليالي بسبب الغزاة المعتدين :

دفعوا لأبكار الخطوب وعونها   فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالي فاقتضتْ   سراءها وقضتهم ضراءها

---

(١) الديوان ص ٤٦

(٢) الديوان ص ٣٣

ويستمر في وصف حال الأندلس بعدما استباحها النصارى ، وحولوها من دار إيمانٍ إلى دار كفر :

أما العلوج فقد أحالوا حالها   فمن المطيق علاجها وشفاءها
أهوى إليها بالمكاره جارحٌ   للكفر كرّه ماءها وهواءها

وفي هذه القصيدة إشارةٌ إلى نوع آخر من أنواع الصراع ، وهو الصراع بين السلطان والخارجين عليه من المسلمين ، وهو من الصراع بين الزعامات على السلطة ، يقول ابن الأبار في معرض مدح السلطان :

إن دوخ العرب الصعاب مقادةً   وأبى عليها أن تطيع إباءها
فكأنْ بفيلقه العرمرم فالقاً   هام الأعاجم ناسفاً أرجاءها

ومن نماذج الصراع بين الزعامات العربية على السلطة قصيدته التي يصور فيها انتصار أبي زكريا وتمكنه من الخارجين عليه عند احتلاله لتلمسان ، وفرار حاكمها يغمراسن عنها عام ٦٤٠هـ ، يقول :

غزوٌ على النصر والتمكين منشؤهُ   الفتح غايته والنجح مبدؤهُ (١)

ويهدد فيها بعض القبائل التي وقفت مع يغمراسن ، ويتوعدها إن لم تتراجع لتقف مع أبي زكريا :

بشر زناتة بالهيجاء مسفرةً   عن كل ذي قدرٍ لا حول يدرؤه
ماضٍ على الموت والأسياف نابية   ما أنصف العيش يهواه ويشنؤه

(١) الديوان ص ٤٤

إذا ازدهى بكمي ظل يصــرعه　　　أخــطاه ما فــات للمقدور يخطئه
يا ويل من غشيته الحرب وهو على　　　عصـــا معاصـــيه لم يفلح توكؤه (١)

وعـــلى مـــا هو معلوم في تاريخ الأندلس ، كان هناك صراع بين القبائل العربية القيسية واليمنية ، من جهة ، وصراع بين الأندلسيين العرب والمستعربين منهم ، من جهة أخرى ولقد نتج عن هذين كثير من المعارك والوقائع ، وهذا ربما هو الذي جعل ابن الأبار يتعصب لأصله العـــربي ، بل ويصر على تقديم نسبه القضاعي على البلنسي في أكثر من موقف ، ويلمح إلى نسبه اليماني (٢) في بعض قصائده ، يقول في مقدمة غزلية :

لبانــة المســتهام لبــني　　　لـــو فاز قـــدماً بـــما تـــمني
أنـــي و من دونـــها كماةٌ　　　تســـتعجل الحتف إن تأنـــي
قيســـية صبـــها يـــماني　　　تـــجزيه بالـــحب منه ضغنا(٣)

ويشير إلى انتماء سلطانه إلى مضر ، يقول في معرض مدحه للسلطان :

لا ضـــير به وتـــمضره　　　يـــنمي صـــعداً وتمعدده (٤)

وفي موضع آخر يفخر بأنه قريبٌ من عزّ السلطان المضري وإن كان الشاعر من قضاعة :

فخرت بقرب العز من حضرة العلى　　　ولولا مكان القرب عزني الفخر
فإن عـــدّ بيتي في قضاعـــة أولاً　　　فمن عد مولاها هو الماجد الحر (٥)

---

(١) الديوان ص ٤٤　　　(٢) قضاعة تنتمي إلى القبائل اليمنية
(٣) الديوان ص ٣٠١　　　(٤) السابق ص ٩٧
(٥) السابق ٢١٦ ، ومضر تنتمي إلى القيسية العدنانية .

ثانياً : الصراع الخاص :

استطاع ابن الأبار أن يستحوذ على اهتمام سلطانه ويكسب مودته ومحبته وإعجابه به منذ أن مثل بين يديه عام ٦٣٥هـ سفيراً لأمير بلنسية أبي جميل زيان بن مدافع ، وألقى في حضرته القصيدة المشهورة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا (١)

وأغدق السلطان أبو زكريا على ابن الأبار كثيراً ، وكانت له مكانة كبيرة في دولته مما أشعره بالتميز عن لداته من الكتاب والوزراء والشعراء الذين كانوا في بلاط السلطان ، كما أن إحساسه بأنه من بيت علم ونباهة ، كل هذا طبع في شخصيته شيئاً من الاعتداد بالنفس إلى درجة الغرور والتعالي في بعض الأحيان ، ولذا قال عنه ابن خلدون : " وكان في ابن الأبار أنفة وبأو وضيق خلق " (٢)

ومما يروى في ذلك أنه كتب خطاباً للوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين وزير السلطان أبي زكريا ، ونعت فيه والد الوزير بالمرحوم ، فنبهوه إلى أنه ما يزال على قيد الحياة فضحك وقال : (إن أباً لا تعرف حياته من موته لأبٌ خامل) ولم تعدم هذه الكلمة من يحملها إلى الوزير (٣)

---

(١) الديوان ص ٣٩٥

(٢) الحلة السيراء ص ٤٢

(٣) انظر : السابق ص ٤١

ولقد أشعلت كل هذه الأمور نار الحسد والضغينة في قلوب حاشية السلطان على ابن الأبار فوشوا به ، فعزل ونفي وحرم كثيراً مما كان فيه .

والحقيقة أن ابن الأبار ــ كغيره من ذوي النعم ــ كان له حساد حتى قبل سقوط بلنسية ، وقد لاموه عند فراره مع سلطانه أبي زيد من بلنسية والتجائه إلى ملك قشتالة ، ويظهر ذلك من قوله :

قالوا الخروج لأرض الروم منقصةٌ فقلت : كلا ولكن صادها باءُ
إذا خرجت وفاءً ثم عدت تقىً أثنت علي عداتي والأحباءُ
وكان لي من قريشٍ أسوة وكفى مع النجاشي يرضاها الألباء (١)

ولقد علق المحقق على هذه الأبيات بقوله : " إن قياس ابن الأبار هنا فاسد لأن أولئك الصحابة هاجروا من أجل عقيدهم ، وفراراً من الشرك ، وهو التجأ من بلادٍ إسلامية إلى بلاد الكفر مع أميرٍ أرعن قيل أنه ارتد " (٢)

وكيفما كان الحال فالأبيات نموذج يشير إلى نوع من أنواع الصراع الذي عاشه ابن الأبار في فترة من فترات حياته ، وهو صراعه مع خصومه وحساده ، وهو هنا يعلل فراره ، ربما حتى عن غير اقتناع تامٍ من داخله ، ولو كان مقتنعاً تمام الاقتناع بما فعل لما عاد مرة أخرى إلى بلنسية .

---

(١) الديوان ص ٥٥
(٢) السابق والصفحة ، الهامش

ومن الأبيات التي يمكن أن تتخذ أنـــموذجا لهذا النوع من الصراع ، أبيـــات وردت في ديوانه ، لما هجاه أبو الحسن علي بن شلبون المعافري البلنسي ، بقوله :

لا تعـــجبوا لمضرة نالـــت جـــميع الناس صـــادرة عن الأبار
أو ليس فأراً خـــلقة وخليقةً والفأر مجبولٌ على الأضرار

فأجابه بقوله :

قل لابن شـــلبون مقال تنزه غـــيري يجاريك الهجاء فجار
إنا اقتســـمنا خطيتنا بيننا فحملتُ برة واحتملتَ فجار (١)

وفي أبيات المعافري السالفة إشارة إلى أن ابن الأبار كان يعير من قبل خصومه بالفأر ربمـا لضآلة جسمه أو لوجه تشابه كان يجده خصومه بينه وبين الفأر ، وقد أشير إلى هذا في بعـض ترجماته (٢).

ولما حصلت الجفوة بين ابن الأبار وبين السلطان أبي زكريا سلطان تونس أفرح ذلك كثيراً من خصومه ، وصاروا يعيرونه بذلك ، فقال :

يعيرنـــي قومٌ بـــجفوة ســـلطاني ويشـــفيهم شكوى بنبوة أوطانـــي
يرمـــن خـــمولاً عطـــلتي لتوقفي وتلك على مـــحض النباهة برهانـــي
وقالوا خفوف قلت : لا بل رجاحة كفـــتني إلـــقاءً بـــكفي لإذعـــان
إذا عـــهدونـــي للنزاهة راكـــباً فصعب الأسى سهلٌ وإن هد أركاني(٣)

(١) الديوان ص ٤٤٥

(٢) انظر: الحلة السيراء ، مقدمة المحقق (٣) الديوان ص ٤٦٠

ولقد عاش ابن الأبار أياماً صعبة عندما جفاه سلطانه أبو زكريا ، فـاصطرعت في نفسه الهموم ، وكتب في تلك الفترة كثيراً من القصائد التي يشكو فيها حيف الزمان :

تحيف حالتي حيف الزمان   وصدق اليأس من كذب الأماني
وبرت في أليتها الليالي   بترويعي فأنى بالأمان
أما قنعت وقد كلفت بهضمي   وضيمي دون أبناء البيان
أحاول أن أقوم لما يواتي   فتقعدني الخطوب بلا توان
وإطباق الثرى بالحر أحرى   إذا ألفى الثراء من الهوان (١)

والأبيات تصور مدى الكآبة والحزن والمرارة التي عاشها ابن الأبار في فترة إبعاده ، حتى صار يتمنى لو أطبق عليه الثرى .

غير أن ابن الأبار كان يطمع في رضا سلطانه عنه ، وفي عودته إلى شيء من مكانته لديه ، يقول من من قصيدة يصور فيها صراعه بين حزنه وأمله :

شاق من روض الأماني أرجه   ولأمرٍ ما شجاني مدرجه
خيّلت لي أنها تصدقني   وخيالات الفتى تستدرجه
فإذا أكذب شيء فجرها   ولقد غر الحجا منبلجه
يا شقيق النفس أوصيك وإن   شق في الإخلاص ما تنتهجه
لا تبت في كمدٍ من كبدٍ   رب ضيق عاد رحباً مخرجه
وبلطف الله أصبح واثقاً   كل كربٍ فعليه فرجه (٢)

---

(١) الديوان ص ٤٦٠   (٢) الديوان ص ١١٠

والقارئ لهذه الأبيات يشعر بأنها نتاج لمعاناة صادقة ولإحساسٍ بالضيق النفسي الكبير ، إذ يحاول ابن الأبار أن يسلي نفسه الحزينة ويهون عليها بعد الإحساس باليأس من تحقق الأماني ، والأبيات تمثل صراعاً نفسياً ينتهي بتسليم الأمور لله جل وعلا ، والثقة بلطفه وقدرته على تفريج كل كرب .

ويؤلف في تلك الفترة كتابه (إعتاب الكتاب) ويرفعه إلى السلطان أبي زكريا (١) ، ويبعث إلى سلطانه مع الكتاب قصيدة طويلة يشكو فيها حاله ، ويتوسل فيها بابن السلطان وولي عهده آنذاك (٢) ، مطلعها :

أسلم للمقدور ثم أسلِّم ويظعن جثماني وقلبي مخيم

وفيها يقول :

ولولا أطيفالٌ طواهم طواهم فأعظم ما يبقى الجلود وأعظم
هم أبداً همي فليلي أليلٌ بمعجزتي عنهم ، ويومي أيوم
جوانحهم تذكو لهيباً وتلتظي وأعينهم تهمي نجيعاً وتسجم
تخالهم في شجوهم وانتحابهم حماماً على أفنانها تترنم (٣)

ويعفو السلطان عن ابن الأبار ، ويعيده لحضور مجلسه ، فيدبج القصائد في في الشكر والثناء والمديح ، كقوله :

رق مولانا لعبدٍ زمنٍ دنف الجسم لشكوٍ مدمن
لم يكن يبعد عهداً بالصبى وهو في ضعف الكبير اليفن (٤)

---

(١) أشرنا إلى هذا الكتاب في المدخل وأن ابن الأبار ألفه استرضاءً للسلطان .
(٢) توفي هذا الأمير فيما بعد وعين أخاه ولياً للعهد .
(٣) الديوان ص ٢٥٨ (٤) السابق ص ٢٩٥

وكقوله من قصيدة طويلة :

لا شـــغل للعبد إلا شكر سيدِهِ   وإن عدتـــه من الأيام أشـــغال
بك اســـتقل قريـــضي بعد كبوته   وكبّ للفم والكـــفين إقلال
وآب ماضي شبابي و انثنت جدتي   وثـــاب ينعم في نعمائك البال
وظلك الوارف استغشيته ، وإلى   ذرى طفيلٍ أوى منك الأطيفال(١)

ويموت السلطان أبو زكريا ، ويستمر ابن الأبار في حضور مجلس السلطان المستنصر ابـــن أبي زكريا ، ويـــمدحه بقصائد عدة ، غير أن الحساد والوشاة لم يرق لهم أن يهنأ ابن الأبـــار برضا سلطانه ، فراحوا يدسون له ويزرعون الفتنة بينهما ، وقد ذكر بعض من ترجم لابـــن الأبار أن أحد وزراء المستنصر الأثيرين عنده ، واسمه أحمد بن إبراهيم الغساني كـــان شـــديد الكراهية لابن الأبار ، وكان يسعى مع غيره من حاشية السلطان إلى تشويه صورتـــه لـــدى المستنصر حتى صار السلطان لا يأبه بابن الأبار ولا يلقيه بالاً ، ويظهر ذلك من مثل قولـــه واصفاً إهمال السلطان له في حضرته ، وكثرة الكلام عليه في غيابه :

أمـــري عجـــيبٌ في الأمـــور   بين التـــواري والظـــهور
مســـتعملٌ عـــند الغـــياب   ومـــهملٌ عند الحضـــور (٢)

---

(١) الديوان ص ٢٤٨ ، وطفيل جبل معروف بالعارض
(٢) السابق ص ٤٣٩

وكقوله :

علت سني وقدري في انخفاض   وحكم الرب في المربوب ماضِ
إلى كم أسخط الأقدار حتى   كأنـــي لم أكن يوماً براضِ (١)

ويروى أن الوشاة أوهموا السلطان بأن ابن الأبار يتوقع الشر لدولته ، واتهموه بـالنظر في النجوم ، فقبض عليه وقام الكاتب (الوزير) أحمد بن إبراهيم الغســـاني بـــالبحث في داره وكتبه ودفاتره فعثر فيها على بيت شعر يقول :

طغا بتونـــس خلفٌ   ســـموه ظلماً خليفة (١)

وعُثر عنده أيضاً على كتابٍ في التاريخ فيه ما يسيء إلى السلطان فأمر بضربه بالسياط وقتلـه وإحراق مؤلفاته ، فقتل ضرباً بالرماح (٢) .

(١) الديوان ص ٤٥٢

(٢) كان مقتل ابن الأبار صبيحة الثلاثاء ٢١ من المحرم عام ٦٥٨هـ ، ولقد أحرقت جثتـــه ومجلـــدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه ، وكانت نحواً من خمسة وأربعين مؤلفاً ، ويعلق الأستاذ حسين مؤنس علـــى قتل ابن الأبار بهذه الطريقة الشنيعة بقوله : " والحق أن الإنسان ليدهش من قسوة ذلك العقاب الذي نـزل بابن الأبار ، فمثل هذه العـــقوبة ما كانت لتنزل إلا بأعداء السلاطين ذوي الخطر ، أو الـــذين نـــاوأوهم وحاربوهم وكادوا يقضون عليهم ، ولا نتصور مهما ذهبنا مع الخيال أن ابن الأبار بلـــغ هـــذا المبلـــغ في كراهة المستنصر والتدبير عليه ، ولكن لا شك فيه أن الوشاية في حقه صورته في تلك الصورة ، فكـــانت النتيجة هلاكه على أبشع هيئةٍ نتصورها ، وهذه واحدة من جرائم أولئك السلاطين ووزرائهم ممن حملـوا في رقابهم من أوزار المساكين ودماء الضحايا ما يصمهم إلى الأبد في حساب الأخلاق وحساب التاريخ " الحلة السيراء ص ٤٦

وربما تكون هذه التهم مفتراة على ابن الأبار ، ومنسوبة له ظلماً ، وربما تكون صحيحة ، وقد يكون الثاني أرجح ، لأن ابن الأبار قد بلغ من الملل والضجر من السلطان وحاشيته مبلغاً عظيماً وتردت حالته النفسية في أخريات حياته كثيراً ، لما وجده من خصومه وأعدائه من الدس عليه والمكيدة له ، وإحداث الجفوة بينه وبين السلطان ، من قبل أولئك الخصوم ، ويظهر ذلك من قوله في لوم نفسه على خدمة السلاطين :

حرمت الرشاد لأني سفاها خدمت الملوك وهم أعبد
وفي رغباتي لهم جئت إداً فهلا رغبت لمن أعبد (١)

ولعل ابن الأبار كان يتوقع هذه النهاية ، إذ نجده في بعض أبيات يحاول أن يقنع نفسه بعدم العودة إلى العمل لدى السلاطين ، والتوجه إلى الله الذي يقبض ويبسط ويعطي ويمنع :

إلامَ في حلٍ وفي ربطِ تخبّطُ جهلاً أيما خبطِ
دع الورى وأرج إله الورى فإنه ذو القبض والبسطِ
ليس لما يعطيه من مانعٍ ولا لما يمنع من معطِ (٢)

وتصطرع في نفس ابن الأبار الأماني العريضة ، مع الانصراف إلى الله والتجرد من الدنيا ، فيؤثر تارة التوجه إلى الله والزهد في الدنيا ، والرضا بالقدر ، يقول :

أما إنه قد خط في اللوح ما خطا فلا تعتقد للدهر جوراً ولا قسطا
ولا تسخط المقدور وارض بما جرى عليك به إن الرضى يفضل السخطا(٣)

---

(١) الديوان ص ١٧٨
(٢) السابق ص ٤٤٩
(٣) السابق ص ٤٤٩

غير أن الطمع والخوف من الفقر والرغبة في الجاه والمترلة الدنيوية الرفيعة تتغلب عليه تارةً أخرى فيعود للتذلل للسلاطين ، أملاً في تحقيق حياةٍ أفضل ، يقول من قصيدته التي تشفع بها لدى السلطان أبي زكريا ، وفيه استجداءٌ وطلبٌ مكشوف :

إن لم تفدني ضيعةً أو صنعةً فضياع أحوالي من الأحوالِ (١)

ولقد حاول ابن الأبار في أخريات حياته التفكك من أسر الآمال والطموحات التي دفعته إلى المغامرة في خضم هذه المواجهات ، وحاول إقناع نفسه بالهروب إلى الله والتعلق بحباله والزهد في الدنيا :

قصاراك جهلاً في حياةٍ قصيرةٍ أمانٍ طوالٌ بئس ما تتزودُ
تجود بمحياك الليالي على الردى وأنت على دنياك بالدين أجودُ
لقد أبرقت فيها المنايا وأرعدت ومالك عن طول الذهول مطرد
تجرد من الدنيا فإنك إنما أتيت إلى الدنيا وأنت مجرد(٢)

وبرز كثيرٌ من أنواع الصراع في خطاب ابن الأبار الشعري ، في مختلف الأغراض ، حتى في غزله وتشبيبه ، يقول ، وفيه تعريض وإشارة وإيماء لما لقيه من الأيام :

لقد غضبت حتى على السمطِ نخوةً فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الوخط الملم بلمتي ومن عرف الأيام لم ينكر الوخطا (٣)

(١) الديوان ص ٢٤٠

(٢) السابق ص ١٧٩

(٣) السابق ص ٤٥٠ ، والسمط : خيط النظم وقلادة أطول من المخنقة (القاموس المحيط) .

ويشبه محبوبته بأعدائه لأنها لا تعطف عليه ولا ترق له :

لما تراءت بالمصلى سحرةً ناديتها مستعطفاً بندائي
يا هذه إن كنت رمت عبادة فمن العبادة والتقى إحيائي
أشمتِ أعدائي وكم أشبهتهم وكفى أسىً بشماتة الأعداء (١)

وفي ثنايا مقدمات مدحياته يلمح القارئ كثيراً من الوقفات النفسية التي تمثل الصراع العام والخاص الذي كان يعيشه ابن الأبار ، ففي غزله يصور قسوة الحبيب وصدوده ورحيله وهجره ودلاله القاتل :

ما ضر قاتلة النفوس بدلها ألا تقلد من سواه سلاحا
لم ترسل الطرف المعلم صيدها إلا استباح الأصيد الجحجاحا
بأبي التي نهدت لحربي ناهداً في السلم تعتقل الثدي رماحا (٢)

ويقول من قصيد غزلية ، مطلعها :

أحسنوا العطف عليها مهجا وجد الحب إليها منهجا (٣)

(١) الديوان ص ٥٢
(٢) السابق ص ١١٦
(٣) السابق ص ١٠٦

وفيها يلمح عنصر الصراع و ما يتبعه من دعاوي وخصومة وأذى :

عجباً منكم أصختم دوننــا لدعاوي الخصــم حتى فلجا
ومزجــتم بالقــلى ودّكم وحمينــا ودنــا أن يــمزجا
ولقد رمنا رضــاكم حقباً وتحملنا أذاكــم حججــا (١)

ويقول من قصيدة غزلية أخرى :

تمكن من مسامــعها العذول فقال وأنت تدري ما يقولُ
وقــدر أنــني أســلو هواها وهــل يسلو بثينــته (جميلُ)
معاذ الله من تصديــق واشٍ يــخبر كاذباً أنــي مــلولُ
وكيف وأنتم أمــلي وسؤلي وحسبي منكم أمــل وسولُ
إلا من أشتكي بشــي ومن ذا يلاطفكم وقد حجب الرسول
ودون قبابكم وهــي الأماني يصول من جفونكم نصــول
هجرتم ثم أزمــعتم فراقــاً فليس إلى وصولكم وصــول
ولم يك في حسابي أن تجوروا كما جرتم عليَّ وأن تميلــوا (٢)

وعلى الرغم من أن القصيدة غزلية إلا أن عنصر الصراع يتمثل فيها خير تمثيل فــالعذول والواشي والحزن والنصول والهجر والجور كلها من توابع الصراع .

---

(١) الديوان ص ١٠٧

(٢) السابق ص ٢٢٥

وربما يكون ابن الأبار في هاتين القصيدتين بالذات ، استخدم لغة الرمز ، فهو يرمز بالحبيبة الصادة الهاجرة بكل قسوة إلى السلطان أبي زكريا الذي جفاه وأبعده مع شدة محبة ابن الأبار له .

وكما ينتهي صراع ابن الأبار مع أمانيه وأحلامه وخصومه ، والجري وراء تلك الأحلام الكاذبة بالسقوط والاستسلام ، ينتهي صراعه مع الحبيبة في غزله بالاستسلام للحب :

يقول قومٌ تعزَّ عنها كيف وقد عزني العزاءُ
وهبتُ للغانيات ذحلي فليصنع الحبُّ ما يشاءُ (١)

وفي قصائد المدح أيضاً يلمح عنصر الصراع عندما يصور ابن الأبار بطولات الممدوح ، وقدرته على التغلب على خصومه في صراعه معهم ، وحتى عندما يختم قصائده المدحية بتمجيد شعره ـ على طريقة المتنبي ـ فهو يقصد بذلك الانتصار على حساده ومنافسيه حين يلفت نظر السلطان إليه ، وكأنه يقول : (أنا الأفضل والأجود والأكثر حباً وإخلاصاً)، يقول في خاتمة إحدى قصائده المدحية :

إليك إمام الهدى سقتها لآليء تعزى لجدواك لا لي
من الشكر متصلاً بالخلوص من السحر متصفاً بالحلال (٢)

---

(١) الديوان ص ٥٣
(٢) السابق ص ٢٣٠

وربما يكون من أهم بواعث الصراع عند ابن الأبار إحساسه بالشيب والكبر ، ويظـــهر ذلك من قوله :

عذلوه في تشـــبيبه ونســـيبه   من ذا يطـــيق تناســـياً لحبيبهِ
ومضوا على تأنيبـــه وبحســـبهم   تأبـــينه ، محيـــاه في تأنـــيبهِ
ركدت صَبا عصرِ الصِّبا وهبوبها   وهفـــا النســـيم لنوحه وهبوبهِ
والعمر ليس قشيبه كدريســـه   كاليوم ليس شروقه كغروبـــهِ
من شارف الخمسين ضيق عذره   تعداده في الشيب عن تشبيبهِ (١)

والشيب داعٍ للصلاح ، ومنادٍ للحسنى ، ولقد أحس بذلك ابن الأبار ، عندما قال :

نادى المشيب إلى الحسنى به ودعا   فثاب يشعب بالإقلاع ما صدعا
وبات يخلع ملذوذ الكرى ثقـــةً   بأنه لابسٌ من سندسٍ خلعـــا(٢)

والشيب نذير الموت ، والخوف من الموت وانتهاء الأجل طبع كل حي ، غير أن توقعـــه عند المسلم يعين على الإعداد له ، ولعل هذا ما كان يصطرع في نفس ابن الأبار عندما قال :

بأنفســـنا للمـــوت شغل وقابضُ   ففيم انبســـاط خـــادعٌ وفراغُ
أما للمـــنايا والأمانـــي ضـــلةٌ   مـــغارٌ مـــبيدٌ ليس منه مراغُ
يصاغ بنو الدنـــيا لتجريع حرِّها   فـــيا عجباً للعذب كيف يساغ

---

(١) الديوان ص ٧٧

(٢) السابق ص ٣٦٢

تبلغ بقوت اليـوم فالعمر خلسةٌ ... وقـدم جميـلاً فالحياة بـلاغُ
ولا تـتبع في الغي آثـار معشرٍ ... ذوي الشر كم لاح الرشاد فراغوا
يزيغون جهلاً لا يريغون للحجى ... وإن سُـددوا نحو الطريقة زاغـوا
وفي الباقيات الصالحات لو اقتنوا ... مـتاعٌ فـما للفانـيات تراغُ (١)

ويظهر مثل هذا الخوف من الموت ، دون الإعداد له ، في قوله معزياً أحد أصدقائه بوفـاة أمه :

كفى حـزناً أن الـحمام مسـلطٌ ... وأنـا عـلى استبصارنا في الجرائم
نسير إلى الأجـداث ركضاً وما لـنا ... من الـزاد إلا مـوبقات الـمآثم
وما الكهل بالناجي ولا الطفل من يدي ... زمـانٍ لأهليـه مصادٍ مصـادم
سـلامٌ على الـدار التي ليس ربها ... وإن سـالمته الحادثـات بسـالم
فأطـول عـمر الـمرء خطفة بارقٍ ... وأحلـى منى الإنسان أحلام نائـم (٢)

ولعلنا نصيب الحقيقة ، عندما نؤكد هنا ، ما أشرنا إليه سلفاً ، من أن ابن الأبار قد عـاش عمره كله في صراعٍ ومواجهة في الأندلس والمغرب ، ففي الأندلس " عاش مروع السـرب يحوم فوقه شبح الموت في كل حين ، وكتب لرجالٍ لولا سوء الزمان لما كان لهم إلى الإمـارة سبيل ، ومدح غيرهم ممن لا يستحقون مجرد الذكر فضلاً عن المديح ، ثم فقد وطنه وخرج بما حملت يداه إلى المغرب حيث تلقفه الأعداء وأعانهم على نفسه بسـوء خلقـه وتطلعـه إلى الوظائف والجاه ، فلم يسعد في وطنه الجديد ولا هدأ باله ، وانتهى أمره إلى هـذه النهايـة الفاجعة ، ولا عجب أن يلقبه بعض المؤرخين بالشهيد ، وهذه الشهادة لا تحق له لموته مظلوماً فحسب ، بل لأن حياته كلها كانت استشهاداً طويلاً على يد الأيام . " (٣)

---

(١) الديوان ص ٣٧١ — (٢) السابق ص ٢٨٧
(٣) الحلة السيراء ، المقدمة ص ٤٦

الفصل الثاني

في الغربة والحنين

****

في الغربة والحنين

_ ١ _

الغربة في الأصل هي البعد عن مسقط الرأس ، ومرتع الصبا ، ومنشأ الطفولة والشباب ، والابتعاد عن الأحبة والأهل والأقران والأنداد والوطن ، والانتقال إلى دارٍ غيرها .

وثمة فرق بين الغربة والشعور بالغربة ، إذ قد يتكيف الغريب عن وطنه في الوطن الجديد ، فيجد عوضاً عن الأقران آخرين وأنداد وأحبة ، ولا يشعر بالغربة جراء انهماكه في عمله ، واختلاطه بالناس ، وبخاصة عندما يجد سعة من الرزق ، ويكون ذا خلق حسن يحب معاشرة الآخرين والاندماج معهم .

أما الشعور بالغربة فهو الغربة الحقيقية ، وهو أقسى أنواع الغربة ، وأعلى درجاتها ، وأشدها وحشة ، إذ قد يشعر المرء بالغربة وهو في وطنه ، وبين أهله ، فضلاً عن شعوره بها في دارٍ غير داره ، ووطن غير وطنه ، وليس ببعيد عنا قول الشاعر :

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم　　وخلفت في قرنٍ فأنت غريبُ (١)

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٣٤

والـحنين "رحلةٌ في الزمان ، وعودةٌ إلى الوراء لمعايشة الماضي "(١) والتحسر على فواته ، واستذكاره ، واستحضاره ، والاستمتاع بذلك .

وأهم بواعث الشعور بالغربة عدم الإحساس بالانتماء المكاني أو النفسي ، وعدم التكيف والاندماج ، مما يؤدي إلى اهتزاز الشعور بالأمن والاستقرار ، ويدفع بالذات إلى التحسر على الماضي ، والحنين إليه .

وهناك بواعث نفسية تدفع المرء إلى الشعور بالغربة أحياناً ، حتى ولو كان في وطنه ، وبين أهله وذويه ، ربما كان الاختلاف في مستوى الثقافة واحداً من أهمها .

والشعور بالغربة هو مصدر توتر الشاعر المغترب ، كما هو مصدر إبداعاته وتفجر شاعريته .

وثمة علاقةٌ وثيقةٌ بين الغربة والحنين ، كما بين الألم واللذة ، فالألم يستدعي اللذة ، والغربة تستدعي الحنين ، والحاضر يستدعي الماضي .(٢)

ودوافع الغربة كثيرة ، منها المشاكل والتقلبات السياسية التي تدفع المرء إلى هجر موطنه والارتحال في أرض الله ، أو الرحلة في طلب العلم أو الرزق .

---

(١) راجع : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، فاطمة طحطح ، ص ٣٥

(٢) انظر : السابق ص ١٥

ـ٢ـ

ولقـــد أحسّ الشاعر العربي بالغربة منذ القدم ، وعبر عنها ، حتى أن بعض الباحثين يـرى " أن الأدب العربي ــ في مجمله ــ كان أدب مغتربين في الجاهلية والإسلام " (١)

والحق أن موضوع الغربة والحنين احتل حيزاً كبيراً في ديوان الشعر العربي ، إذ يدخل فيه بكاء الأطلال والديار ، والحنين إلى نجدٍ ، أو إلى ديار المحبوبة . (٢)

---

(١) انظر الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ص ٣٥ وما بعدها .

(٢) لعل من أهم دوافع الغربة مـــنذ فجر الإسلام الانخراط في حركة الفتوحات الإسلامية ، أو النفي والإبعاد عن ديار المحبوبة ، والنصوص في موضوع الغربة والحنين في الأدب العـــربي كثيرة بحيث تشكل ظاهرة بارزة ، ولقد ألف كثير من الكتاب في هذ الموضوع كتباً جمعـــوا فيها ما قاله الأدباء والشعراء والحكماء في حب الوطن والتشوق إليه ، والحنين إلى المـــاضي الدارس ، ومن هذه المصنفات :

(حنين الإبل إلى الأوطان) لربيعة البصري ، ت ٥٥ هـــ .

(حب الوطن) للجاحظ ، ت ٢٥٥ هـــ .

(الشوق إلى الأوطان) لأبي حاتم السجستاني ، ت ٢٥٥ هـــ .

(الحنين إلى الأوطان) لموسى بن عيسى الكسروي .

(أدب الغرباء) لأبي فرج الأصفهاني ، بعد ٣٦٢هـــ .

(الحنين إلى الأوطان) لابن المرزبان الكرخيْ ، من أدباء القرن الثالث .

(الحنين إلى الأوطان) لابن حيان التوحيدي ، ت ٤١٨هـــ .

(المنازل والديار) لأسامة بن منقذ ، ت ٥٨٤هـــ ، وغيرها ، راجع الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ص ٣٧ وما بعدها .

- ٣ -

وإذا ما قيست الأشعار والقصائد التي قيلت في موضوع الغربة والحنين إلى المشرق العربي ، مع كثرتها وصدق لوعتها ، فهي ضئيلةٌ بالنسبة لما قاله الأندلسيون في ذات الموضوع " إلى مدىً يشكل عند بعضهم ظاهرةً دلالية خاصة ، كما هو الحال مع ابن خفاجة مثلاً ، وعند ابن حمديس ، وعند ابن الصباغ ، وابن الخطيب وغيرهم . " (١)

- ٤ -

وإذا عدنا إلى ابن الأبّار - موضوع دراستنا - نجد أنه قد عاش الغربة واقعاً ، سواءً على مستوى الغربة عن الوطن ، أو على مستوى غربة الروح والفكر والذات ، كما عاش الغربة شعراً إذ يعكس الخطاب الشعري في كثيرٍ من قصائده هذه الغربة ، ويبرز الحنين فيه بجلاءٍ ووضوح ، وهنا نتساءل : كيف تمظهرت قصيدة الغربة والحنين في شعر ابن الأبّار ؟ وما هي حدود التجربة والرؤية العامة ؟ وما هي ثوابتها اللغوية ، ومكوناتها الدلالية التي تكون الخصوصية الأبارية ؟

والناظر في ديوانه يلحظ هذه العاطفة الجياشة التي تعبر عن عالمٍ كامنٍ في داخله من إحساسٍ قاسٍ بالغربة ، لا يجد معها القارئ إلا معايشة واقعه والتألم لألمه ، يقول :

إلى أوطانه حنّ العميد فظلّ كأنه غصنٌ يميد
ومسقط رأسه ذكر اشتياقاً فذاب فؤاده وهو الحديد
ولو رام السلوّ أبت عليه معاهد عهدها الماضي حميد (١)

---

(١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ص ٤١

(٢) ديوان ابن الأبّار ص ١٧٧

ويستذكر رصافة الأندلس ، موطنه بلنسية وغديرها وأيامه السعيدة بها :

ما للهوى إلا الرصـــافة مأربُ   بعد الغدير فكيف يصــفو المشرب
كانا مراداً للنعــيم ومــورداً   إذ كــنتُ بينهما أجيءُ وأذهــبُ
والإلفُ للميعــاد بــي مترقبٌ   والدهــر بالإســعاد لــي متقرب

ويتمنى لو يعود لتلك الديار لولا أن العدو قد أقام بها :

يا منزلاً كان الــحفاظ يحــلُّه   والجود ، بالضيفان فيه يرحب
أهوى حلولك ثم يسلبني الهوى   أنّ العــدو بجانبيك مطــنب
أصبحت فيك معذلاً ومعذبــاً   وكذا المحبُّ معذلٌ ومعذب(١)

غير أننا يمكن أن نلمح الإحساس بالغربة والحنين في كثيرٍ من وقفاته ابن الأبار النفســية ، سواءً في قصائد المديح التي يفتتحها بمقدمات غزلية على نهج المعاصرين لــه ، أو في قصــائد الاستنجاد التي يملؤها بوصف الوطن الموشك على الهلاك والدمار ، أو غيرها مهما اختلفــت الأغراض العامة لها .

وربما كان هذا الحكم لا ينطبق على ابن الأبار دون غيره من شعراء الأندلس ، ذلــك لأن الإحساس باقتراب النهاية ، واليأس من العودة إلى الوطن بعد الهجرة كــان وراء صــدور قصائد في الغربة والحنين تفيض لوعةً وتفجعاً على الوطن ، وحنيناً جارفاً إلى المنازل والديــار والزمن المولي ، حتى غدت قصيدة الغربة محور كثيرٍ من الأغــراض ، وأندســت في المــدح والغزل والاستنجاد وغيرها من الموضوعات .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٥٩

ومظاهر التعبير عن الإحساس بالغربة أو الحنين كثيرة في خطاب ابن الأبـــار الشـــعري ، فهناك إحساس بغربة الروح والفكر ، وإحساس بالضياع والحرمان يبرز واضحاً بعد فجيعــة سقوط بلنسية ، وتحسره عليها ، وهناك حنين إلى اللذة الصاخبة ، وإلى العيـــش الأخضـــر النضر ، وإلى معاهد الطـــفولة والصبا وإلى الأطلال والديار ، والذكريـــات الرائعـــة ، وإلى ربوع الماضي بكل ما فيه من أهلٍ ودرسٍ وشبابٍ وإمرأة .

١ـــ غربة الروح والفكر :

ويظهر ذلك في مثل قوله :

لام المحـــبون الـــفراق ولـــمته   لكـــنهم ســئموا ولـــمّا أسأمِ
ظعنوا وهم قد ودعـــوا أو سلموا   وظعـــنت غـــير مودعٍ ومسلمِ
فعلي فلتبكِ البواكـــي إننـــي   أخرجت من أرضي ولست بمجرمِ
وأُضعتُ يوم وضعت في أرضٍ بها   يغـــدو الفصيح معظماً للأعجمِ
لا أستريح بغير ليـــلٍ ألـــيلٍ   أشكو تطاوله ، ويومٍ أيـــومِ (١)

ويلمح في الأبيات التشكيل العاطفي المتضاد فهو يستريح ويشكو في الآن معـــاً في ليلـــه ونهاره ، واجتماع التضاد ، الليل والنهار ، والشكوى والراحة ، تعبر أصدق تعبـــير عـــن اضطراب نفسه ، وما ينتابه من أسى ومرارة من الزمان وأهله ، ومن المكان وساكنيه .

---

(١) الديوان ص ٢٩٢ ، وقد علق المحقق على هذه الأبيات بقوله : " يبكي على وطنه عنـــد التجائه إلى النصارى مع أبي زيدٍ ، كما يبدو " انظر الهامش .

وقريبٌ من ذلك تصوير حال المتشرد الغريب المجبر على الغربة ، وما يلقاه من هوانٍ على الناس ، يقول :

فكم لقينا لدى الأمصار من فندٍ   وكم تركنا لدى الكفار من فدنِ (١)

٢ـ الشعور بالضياع والحرمان :

ولقد أحس ابن الأبار بالضياع والحرمان منذ فراقه لبلنسية ، يقول مصوراً ذلك لمّا فرّ مع سلطانه أبي زيد :

الحمد لله لا أهلٌ ولا ولد   ولا قرارٌ ولا صبرٌ ولا جلد

كان الزمان لنا سلماً إلى أمدٍ   فصار حرباً لنا لما انقضى الأمد(٢)

وقد استعان (بالتضاد اللغوي) في تجسيد حالة الضياع التي يحياها ، كان الزمان سلماً فعاد حربا ، وينعى الصبر والجلد فلم يعد لهما في نفسه مكان ، وتكرر اللاآت الباكية في الأبيات يقرر حالة الضياع والحرمان .

والشعور بالحرمان والضياع يخل توازنه ويهدر مقاومته ويستترف قواه ، يقول واصفاً حزنه وغربته وأساه :

ومن أين أو كيف التجلد للنوى   و(مد) الأسى في القلب ليس له (جزر)

حياتيَ هجرٌ كلها وقطيعةٌ   أما آن أن تفنى القطيعة والهجر (٣)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٣٢٠ ، والفند الخطا في الرأي أو العجز وكفر النعمة ، والفدن القصر المشيد

(٢) السابق ص ١٧٨

(٣) السابق ص ٣٢٠

ويأسف على فقد وطنه وأحبته ، بروي مكسور ، وكأن الكسر في القافية يساعد على إظهار الشكوى والأنين ، ويبرز الانكسار والحزن والشجن :

أيا أسفي على عدم الهجوعِ وفقدان الأحبة والربوعِ (١)

٣ـ التحسر على فقد الوطن :

يقول مسترجعاً صدى الماضي بأسى ومرارة ، مستذكراً وطنه وجناته التي فقدت ، داعياً لتلك العهود بالسقيا :

يا سقى الله للرصافة عهداً كنسيم الصبا يرقّ ويندى
وجناناً فيها أهيم حناناً بيد أني حرمتُ فيهن خلدا
مستهلاً كأدمعي يوم ودعـ ـت ثراها النفاح مسكاً و ندّا
ليت شعري هل يرجع الدهر عيشاً يشهد الطيب أنه كان شهدا (٢)

ويتشوق إلى أهله وداره ، ويحن إلى أنبائها فيسأل القادمين منها :

بعيشِك عاطني أنباء دارِ بها أغنى عن القدح المدارِ
إذا قربت يهيج لها اشتياقي وإن نزحت يمثلها ادكاري (٣)

ويحن إلى وطنه حنين العشار ، ويبيت من شدة الوجد والشوق على مثل الأسنة والشفار ، وتمتلىء نفسه بحرقة الغربة ، ويطير النوم من أجفانه :

إلى الإلفين من أهلٍ ودارِ تأوبني اشتياقي وادكاري
وحنّ القلب أعشاراً إليها حنين الوالهاتِ من العشارِ

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢٠٠

(٢) السابق ص ١٧٦ (٣) السابق ص ٣٦٥

فبت كأنني ، توقـاً وشوقـا على مـثل الأسنة والشفارِ
وما حشو الضلوعِ سوى أوارٍ وما نوم الجفـون سوى غرارِ (١)

وفي نصٍ آخر يوجه الخطاب فيه إلى أهله وأسرته ، ويصور شجنه ولوعتـه واشـتياقه ، ويصبح الفراق عنده معادلاً للحمام :

غلبت علي لـبعدكم أشجانـي وجفا الكرى من بعدكم أجفاني
وتضرمت بين الجوانـح لوعةٌ إطفاؤها أعـيا على الطوفانِ
هيهات يدنو الصبر مني بعدها وأنا البعيد الأهل و الأوطـانِ
لو أن ثهلاناً تحمل بعض مـا حُـملته خرت ذرى ثـهلانِ
أسرٌ وقسرٌ لا قرار عليهمـا وتغربٌ عن أسرتي ومكانـي
هذا وكم أثناء هذا من أسى فضح العزاءَ ، ومن هوىً وهوانِ
ويهون ذلك للفراق وطـعمهِ إن الفراق هو الحمام الثانـي (٢)

وفي سينيته المشهورة يصور ما حلّ ببلده وبأهلها من خرابٍ وذلة :

وأربعـاً نمنمت أيـدي الربيع بـها ما شـئت من خلعٍ موشيةٍ وكسى
كانـت حـدائق للأحـداق مؤنقةً فضـوح النضر من أدواحها وعسا
وحال مـا حـولها مـن منظرٍ عجب يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر ، واحرباً عيث الدبـا في مغانـيها التي كبسا
وابـتز بـزتـها مـمّـا تحيفها تحيـف الأسد الضاري لما افتـرسا(٣)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١٩٩
(٢) السابق ص ٣٢٧
(٣) السابق ص ٣٥٩

ويتحسر على الوطن المفقود ، والماضي الذي ولى وانقضى :

فأين عـــيشٌ جنيناه بـــها خضـــراً وأين غصـــنٌ جليناه بـــها سلسا
محا محاســـنها طاغٍ أتيـــح لـــهـــا ما نام عن هضمها حيناً ولا نعسا
. . . .
لهفي عليها على استرجاع فائتهـــا مدارســـاً للمثاني أصبحت درســـا

والواقع أن ابن الأبار تحسر على بلنسية بعد سقوطها وبكاها كما بكاها غيره من أهلـــها ، وصار بكاؤه يندس في أكثر أشعاره ، مهما اختلفت أغراضها ـــ كما أسلفت ـــ بل صـــار لا يستطيع أن يخفي مشاعره الزاخرة بالتحسر واللهفة والحنين مهما حاول .

بلنسيةٌ يا عذبـــة الـــماء والجنـــى سقيتِ ، وإن أشقيتِ صوب الرواجسِ
أحب وأقلى منك حـــالاً وماضياً بموحـــشةٍ موتـــاً بعهـــد الأوانـــسِ
ومن عجـــبٍ أن الديار أواهـــلٌ وأندبـــها ندب الطلول الدوارسِ (١)

ويصور مرحلة اليأس من العودة إلى الوطن :

واهـــاً وآهاً يموت الصبر بينهـــما موت المحامد بين الـــبخل والجـــبنِ
لجيرةٍ أصبحوا أيدي سبا شـــيعاً هذا وما عرصوا في عرصة اليـــمنِ
وجنةٍ حلّ أهل النار ساحـــتها لم يغنِ حـــمل القنا عنها ولا الجنـــنِ
أتيح للروم مـــا وفـــّى مراميهم فيها وبؤنا بطـــول الغَـــبن و الغُـــبنِ (٢)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٤٠٠

(٢) السابق ص ٣٢٠

٤ـ الحنين إلى اللذة الصاخبة :

ويلقانا في ديوان ابن الأبار حديثٌ عن اللذة الصاخبة ، في الخمر أو المرأة ، وأظنه ضربٌ من الخيال لا الواقع ، وهو في أغلبه اتباعاً للشعراء من ناحية ، وجعل المرأة أو الخمر رمزاً للجمال واللذة المفتقدة والمتع التي فارقها بفراق الوطن ، وهذا لا يعني أننا ننفي وجود تجارب غرامية له إلا أنها إن وجدت فأظنها من قبيل الغرام العفيف الذي لا ينتهي بلذة محرمة ، والذي ربما يكون قد عاشه في مرحلة الصبا ، وله في ذلك قصائد جميلة ينص محقق الديوان على أنها من شعره في صباه ، منها قوله :

مهلاً أمامة كم تطول نواكِ والقلب قد هجر الحسان سواك (١)

وقوله :

تمكن من مسامعها العذول فقال وأنت تدري ما يقول (٢)

وقوله معارضاً الشريف الرضي (٣) :

يا قرة العين إن العين تهواكِ فما تقر بشيءٍ غير مرآكِ (٤)

وكل هذه النصوص من الغزل العفيف وهي قليلة في ثنايا الديوان ، ويبرز فيها صدق التجربة ، إلا أن ثمة قصائد فيها حديثٌ عن اللذة الصاخبة بالخمر أو المرأة ، ويبدو ـ كما

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢٢٢

(٢) السابق ص ٢٢٥

(٣) راجع فصل التناص ، وقصيدة الشريف الرضيَ مشهورة مطلعها :

ياظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاكِ

(٤) ديوان ابن الأبار ص ٢٢٠

أســـلفت ـــ أنهـــا ليست إلا اتباعاً لأسلافه من الشعراء من ناحية ، واتخاذهما رمزاً للجمال والـــلذة المفقودتين التي فارقها بفراق الوطن ، وأهم تلك المتع إحساسه بالأمن في وطنه الذي ولد ونشأ وترعرع فيه ، ويؤكد هذا أن المرأة في كثيرٍ من شعره من الجزيرة العربية وليست من الأندلس ، يقول من قصيدة طويلة يمدح فيها السلطان أبا زكريا :

كم بارقٍ بين العذيب وبارقٍ   يبدو لزند صبابتي قداحا (١)

و(العذيب) و (بارق) مواضعٌ بالجزيرة العربية .

ويقول :

لم يـــزن دمـــلجها معصمها   ذلك الـــمعصم زان الدمـــلجا
يا لقومٍ ضرجوا في (ضارجٍ)   بالعيون النـــجل فيمن ضرجا (٢)

و (ضارج) اسم موضع بالجزيرة العربية ، كما نص محقق الديوان . ومثله قوله أيضاً :

آه للآســـاد آساد الشرى   مـــن نـــعاجٍ ثاوياتٍ منعجا
وظباءٍ لاعـــباتٍ بالنهى   ثاويـــاتٍ بين (سلمى وأجا) (٣)

و(سلمى وأجا) جبلان معروفان في شمال الجزيرة العربية .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١٧٧
(٢) السابق ص ١٠٨
(٣) السابق ١٠٧

٥ــ التشوق إلى معاهد الطفولة ومراتع الصبا :

ويدخل فيه الحديث عن الذكريات الرائعة والحنين إلى ربوع الماضي بكل ما فيه من درسٍ وشباب ، ولعل من أهم المكونات الدلالية التي تكون الخصوصية الأبارية ، مزجه بين ندب الوطن وندب الشباب ، فهو كثيراً ما يمزج الحسرة على ضياع بلنسية بالندم على فوات الشباب ، ولا غرابة في ذلك ، فهو قد فقد بلده في بداية مرحلة شيخوخته ، إذ كان عمره عند سقوط مدينة بلنسية إحدى وأربعين سنة ، يقول من قصيدة :

يقـرّ بعيني أن أزور مغانيـاً ... بساحتها كنا نخوض ونلعب
إذ العيش غضاً والشبيبة لدنةٌ ... وسافر وجه الحسن ليس يحجبُ (١)

ويقول متحسراً على وطنه وشبابه :

تلك المغاني لا حجبن كأهلها ... عنيّ ، فوجدي سافرٌ لا يحجب
ولعمر ما أنفقت من عمري بها ... وجنيت من ثمراتِ عيش يعذب
لأُغلبنّ على السلو صبابتي ... والشوق في كل المواطن أغلبُ
ولأندبنّ بها الشباب وشرخه ... إن الشبابَ أحقُّ فانٍ يندبُ
ساحات حسنٍ طَرزتْ أوقاتها ... ساعاتُ أنسٍ ردها مستصعب (٢)

ويصف اشتياقه لمجالس العلم والعلماء ببلده بلنسية :

تحية الله على معشرٍ ... ودعتهم توديع شرخ الشباب
كانوا وكنا زمناً وانطوى ... ما بيننا مثل انطواء الكتاب
إن أنصفوني لم أسلُهم سوى ... أن يجعلوا العتب مكان العتاب (٣)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٦٦

(٢) السابق ص ٦٠

(٣) السابق ص ٩٠

ونلمح هنا وقفة نفسية لابن الأبار ، حيث يشبه توديع أصحابه من أهل العلم بتوديع شرخ الشباب الذي لن يعود ، ومثل هذه الوقفة النفسية نلمحها في مثل قوله :

أحقاً طربتَ إلى الربربِ ومذ شطتِ الدار لم تطرب
رويدك أعرض عنك الشباب وحسبك بالعارض الأشيبِ
فكيف تعنُّ لعين المها وتشرق للمشرق الأشنبِ
وإنّ الغرام على كبرةٍ لإحدى الكبائر فاستعتب
أبعد نضوبِ مياه الصبا وتصْويح يانعه المخصب
تحنُّ إلى ملعبٍ للظباء بكثبانِ رامةَ أو غُرَّب (١)

ونلمح أيضاً مثل هذه الوقفة النفسية ، في مثل قوله :

لولا قديمٍ من عفافٍ تالدٍ وحديث شيبٍ قد ألَمَّ حديثُ
لركضت من خيل الشباب معارها ولكان لي ولمن هويت حديث(٢)

وابن الأبار هنا يعد الشيب من زواجر الوقوع في الخطأ ، إضافة إلى عفافٍ متأصلٍ فيه ، حسب سيرته ، إذ هو فقيهٌ محدث ، غير أن هذين البيتين والأبيات السابقة تعكس تحسر ابن الأبار على شبابه وبلده الذين افتقدهما معاً .

. . . .

(١) ديوان ابن الأبار ص ٩٨ ، ٩٩

(٢) السابق ص ١٠٢

الفصل الثالث

في التأريخ والتوثيق

****

في التأريخ والتوثيق

ـ ١ ـ

الشعر ديوان العرب ، مقولة قديمة مشهورة ، لا يختلف عليها أحد ، وهي على إيجازها ذات مدلولٍ كبير .

فالشعر العربي ـ منذ بداياته الأولى إلى عصرنا الحاضر ، وإلى ما شاء الله له أن يبقى ـ سجلٌ حافلٌ بتوثيق أيام العرب وانتصاراتهم ، وآمالهم وأحلامهم ، ووقائعهم التاريخية ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وثقافاتهم المختلفة .

وهذا لا يعني أن الشعر تاريخ ، وإنما هو يحمل في طياته شيئاً كثيراً من التاريخ ، ويبرز ظواهر كثيرة من الحياة الاجتماعية ، ويؤكد هذا استشهاد كثيرٍ من المؤرخين سواءً القدامى أو المحدثين ، بأبيات من الشعر عند تحقيق قضيةٍ تاريخيةٍ ما ، إذ يكشف الشعر بجلاءٍ وصدق عن بعض الحقائق التاريخية الغامضة ، التي زُوِّرت لمصلحة معينة ، أو لم تسجل .

والشاعر ـ أي شاعر ـ يرصد ويوثق كثيراً من المناسبات التاريخية ، سواءً قصد إلى ذلك أو لم يقصد ، ويعكس إنتاج كل شاعرٍ واقعين :

الأول : الفترة الزمنية التي عاش فيها ، وهي عصره بكل جوانبه وأبعاده الاقتصادية والسياسية والثقافية والتاريخية والاجتماعية .

والواقع الثاني : مناحي حياته وظروفه الخاصة وشخصيته ، أو قل إن شئت ، سيرته الذاتية بكل أبعادها .

ـ ٢ ـ

وينسحب هذا القول على كل الشعر العربي ، في مراحله المختلفة ، من العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا ، مروراً بطبيعة الحال بالشعر في الأندلس ، منذ فتحها أواخرَ القرن الهجري الأول ، حتى سقوط آخر معقلٍ فيها للمسلمين ، (٩٢ ـ ٨٩٨ هـ) .

وتزخر تلك الفترة ، بكثيرٍ من الشعراء ، الذين رصدوا ووثقوا كثيراً من جوانب الحياة الاجتماعية والتاريخية ، للعصر العربي في الأندلس .

ـ ٣ ـ

وكما هو معروف في تاريخ الأدب الأندلسي ، فقد تماوج الشعر العربي بأغراضه المتعددة في الأندلس ، كما في المشرق ، بين القوة والضعف ، والمد والجزر ، تبعاً للمتغيرات السياسية التي مر بها ، ففي عصر المرابطين مثلاً لم يكن الشعر بنفس القوة التي عاشها في ظل حكم بني أمية (١).

---

(١) انظر :
تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ،إحسان عباس ص ٧١ وما بعدها .

وكان عهد الموحدين (عصر شاعرنا) عهد هدوءٍ وسكينة ، كما كان عهد علمٍ عرف ابن الطفيل ، وابن رشد ، وابن عربي ، وابن زهر ، وابن البيطار ، واشتهر من شعراء تلك الفترة ، محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرصافي ، وابو بحر صفوان بن إدريس الحميري صاحب (زاد المسافر) ، وأبو عبد الله محمد بن إدريس المعروف بمرج الكحل ٦٣٤هـ ، وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي ٦٤٩هـ ، وأبو عبد الله ابن الأبار القضاعي ٦٥٨هـ موضوع دراستنا .

— ٤ —

وابن الأبار مؤرخٌ وشاعرٌ ، فكان الأحرى به أن يرصد كثيراً من الحقائق التاريخية في خطابه الشعري ، ويوثق معظم الوقائع المهمة التي عاصرها ، وأثرت في سير حياته ، كموقعة أنيتشة ، التي استشهد فيها شيخه أبو الربيع ابن سالم (١) ، وسقوط بلنسية ، مسقط رأسه ، وغيرها من الحوادث .

والمتأمل لديوان ابن الأبار يجد إشاراتٍ كثيرةً لحوادث مختلفة مرت به ، أو ببلده أو بممدوحيه ، أو مرثييه ، كما يجد ومضاتٍ تضيء جوانب من حياته ، وتبرز ظروفه ، وتكشف عن شخصيته ، وترسم سيرةً ذاتية لرجلٍ شارك في مجريات الأحداث في عصره .

---

(١) نفح الطيب مج/٤ ص ٤٧٣

وإذا كنا قد أشرنا في موضعٍ سابق ، إلى أن حياة ابن الأبار تنقسم في مجملها إلى مرحلة ما قبل سقوط بلنسية عام ٦٣٦، ومرحلة ما بعد هجرته إلى تونس (١) ، فإن إنتاجه الشعري يتفرع تبعاً لذلك إلى قسمين ، هما :

١ــ القصائد التي قيلت قبل سقوط بلنسية .

٢ــ = = = خلال حصار بلنسية ، وبعد سقوطها .

ومن العسير تصنيف قصائد ابن الأبار ، بحسب الترتيب التاريخي أو الزمني ، ذلك لأنه لم يُنص على تاريخ إنشاء كلّ قصيدةٍ ، ولو حصل ذلك لكان فيه نفعٌ كثيرٌ لهذه الدراسة .

غير أن محقق الديوان حاول جهده أن يشير إلى تواريخ القصائد ، كما أن روح كثيرٍ من النصوص الشعرية الواردة في الديوان ، بدون تواريخ ، تومئ في بعض الأحيان إلى الفترات التي دبجت فيها ، ومن هنا ، فإنه يمكننا ــ إلى حد ما ــ تحديد ما أنشأه ابن الأبار في الأندلس وما ترنم به في أفريقية .

ومن خلال نصوص الديوان ، التي تتضمن خطاباً تاريخياً وتوثيقياً ، سنحاول جاهدين ــ في الصفحات القادمة ــ بلورة :

١ــ الخلفية التاريخية لكبريات الوقائع والأحداث في شعره .

٢ــ الخلفية التاريخية لمواقفه ومبادراته ، وأخلاقياته وسلوكياته .

لنرى ما كان لهذه وتلك من أثرٍ جلي في الحياة العامة للمجتمع وقتئذٍ ولحكامه ، وفي حياة الشاعر الخاصة ، ولنستخلص من خلال ذلك الملامح المميزة للعصر والولاة والشاعر .

---

(١) راجع مدخل البحث .

وستركز الدراسة ــ في هذا الفصل ــ إن شاء الله على عنصري التاريخ والتوثيق على :
أ ــ المستوى الذاتي أو البعد الذاتي في سيرة ابن الأبار السلوكية والنفسية والوجدانية .
ب ــ المستوى الموضوعي أو البعد الموضوعي في سيرة العصر رعايا ورعاة .

....

أ ــ التأريخ والتوثيق في شعر ابن الأبار على المستوى الذاتي :

إن أقدم نصٍ في الديوان مقطوعة انشأها ابن الأبار وهو ابن خمس عشرة سنة (١) ، وفي بساطة أسلوبها ما يؤكد أنها من أولياتِ شعره ، يقول :

أهمَّ بي في الهوى وأنجد   مهفهف الخصر أهيف القد
يهزّ منه الصبا قضيباً   يكاد مما يميسُ ينقد
ناديته والكرى عزيزٌ   لديَّ والقلب من هجره مكمد
يا بغية المدنّف المعنّى   وغفوة الناظر المسهد
بالله هب لي ولو فؤادي   من بعض ما قد أخذت عن يد
فأنت والله من عليه   لواء أهل الجمال يعقد (٢)

ومثل هذا النص بعض المقطوعات والقصائد التي قالها في صباه (٣) ، وهي تعكس لنا فترة من تاريخ ابن الأبار ، هي فترة الصبا والشباب والهوى والغزل ، إذ كان خالي البال من هموم العمل والسياسة .

(١) نص على ذلك المحقق ، انظر : الديوان ص ١٧٥
(٢) الديوان ص ١٧٥   (٣) انظر السابق ص ١٧٤

غير أنه فيما بعد ولي الكتابة لدى أبي زيد حاكم بلنسية ودانية وشاطبة ، وكان عمــره حينئذٍ ثلاثة وعشرين عاماً ، وأنشأ فيه بعض المدائح منها مقطوعة قالها عند انقياد أهل بـيران لأبن أبي زيد السيد أبي يحيى بن أبي بكر عام ٦٢٢هـ (١) .

والنص سبعة أبيات أوردها الحميري صاحب الروض المعطار عند تعريفه لقلعة بيران (٢).

وأهمية هذه المقطوعة تكمن في أنها توثق فترة من حياة ابن الأبار ، وهي بداية عمله في مجال السياسة والوزارة .

ولما ثار أبو جميل ابن مردنيش على أبي زيد حاكم بلنسية عام ٦٢٦هـ ، التجأ الأخير مع كاتبه ووزيره ابن الأبار لدى (خايمة) ملك أراجون ، وأنشأ ابن الأبار هناك بعض الأبيات (٣) .

غير أن ابن الأبار عاد إلى الأندلس ، وبالتحديد إلى شاطبة ، والتجأ إلى حاكمها أبي الحسين يحيى الخزرجي ، وامتدحه بقصيدة مطلعها :

بشراي هذا مبدأ الإقبال   في قصد غاياتي وفي استقبالي (٤)

---

(١) انظر الديوان ص ٤٤٢

(٢) راجع : الروض المعطار ص ١٢١

(٣)أشرنا إلى هذه الأبيات في فصل الغربة والحنين

(٤) الديوان ص ٢٤٩

والقصيدة بكاملها توثق مرحلة من تأريخ ابن الأبار الذاتي ، وفيها يشير إلى رحلته غير الموفقة ، والتي يبدو أنه ندم عليها :

وذممت ترحالاً وحلاً قبلها | فحمدت عقبى الحلّ والترحالِ
وعززتُ بعد الهون والإذلال | وأمنت بعد الروع والإجفالِ
وثويتُ في خفضٍ وفي دعةٍ بما | كابدت من شظفٍ ومن زلزالِ

ثم مدحه بقصيدةٍ أخرى تشوق فيها إلى بلده بلنسية ، يقول فيها :

جَناني عامرٌ بهوى جنانِ (١) | وإن صدعت برحلتها جَناني
وطرفي ليس يعنيه سواها | ولو عنّت له حور الجنان (٢)

وللقصيدة بعد تاريخي إذ توثق فترة من حياة ابن الأبار ، وهي الفترة التي عاشها في شاطبة بعد عودته من مملكة أراجون ، وفيها إشارة إلى أنه سينتقل فيما بعد إلى بلنسية ، كما أنّ فيها توثيقاً لعفو هذا الأمير عن زلة الشاعر في خروجه مع سلطانه إلى ملك النصارى :

فأصبح من أذاه الناس طراً | بسيرته الكريمة في أمانِ
وإلا كيف كفَّ عن اهتضامي | وإلا كيف عفَّ عن امتهاني

(١) لعله يقصد فتاة اسمها (جَنان) أو ربما قصد بلنسية وجنانها ، قاله المحقق

(٢)الديوان ص ٣٢٤

وفي القصيدة إشارة وتوثيقٌ لكرم هذا الأمير وحلمه وأخلاقه الفاضلة ، إذ بالغ في إكـــرام ابن الأبار ، و لم يخيب أمله فيه :

أبا لأمـــجاد وافاكـــم نِدائـــي ... يهزك هـــزة العضب اليماني
دعوتك والكريم الندب يدعى ... لبكرٍ من خطوبٍ أو عـــوانِ
وجـــئتك سؤر أيـــامٍ لئـــامٍ ... أُعـــاني من أذاها ما أُعانـــي
وحب علائكم ملءُ الجنـــانِ ... وشـــكر حبائكم ملء اللسان
فزاد على الذي أخبرتُ نفسي ... به من رعيك الوافي عيـــاني
ومثلك رقّ ســؤددُه لـــمثلي ... فأجـــنى راحتي شُـــمَّ الأماني
وراش جناحي المقصوص ظلماً ... وأنســـاني الأحبة والمغاني (١)

وينتقل ابن الأبار بالفعل من خدمة هذا الأمير الفاضل إلى بلده بلنسية ، ويتقدم إلى أميرهـــا أبي جميل مدافع بن مردنيش بقصيدةٍ طويلة يعتذر فيها عن زلته ويفتتحها بقوله :

أمير العلى أرجـــو ومثلك سامحٌ ... أمـــير العلى أدعـــو ومثلك سامعٌ
وأشـــدو بـــما طوقتني من صنائعٍ ... جسامٍ ، كما تشدو الحمام السواجع
فيصدع مني باعتمادك صـــادحٌ ... ويصدح مني بامتداحك صـــادع (٢)

وهذه القصيدة تعكس مرحلة من حياة ابن الأبار ، وتوثق فترة من فـــترات عمـــره ، إذ عمل فيما بعد وزيراً لأبي جميل ، وسفيراً له لدى السلطان أبي زكريا لما حـــاصر النصـــارى بلنسية ، وأنشد بين يدي السلطان قصيدته الذائعة الصيت :

أدرك بخيلك خيل الله أندلـــسا ... إن السبيل إلى منجاها درســـا (٣)

---

(١) الديوان ص ٣٢٥
(٢) السابق ص ٣٦١ (٣) السابق ص ٣٩٥

ويحاول السلطان استنقاذ المدينة ، إلا أن كل المحاولات تبوء بالفشل ، وتسقط بلنسية ، ويبلغ اليأس من ابن الأبار مبلغه ، فيتوجه مهاجراً إلى تونس ، ويمدح هناك سلطانه أبي زكريا ـ السالف الذكر ـ ويلتجئ إليه طالباً العمل تحت خدمته، وينشد بين يديه قصيدته :

عبر البحرَ يؤم الأبحرا آمناً في ورده أن يصدرا
وامتطى اللجة الخضراء بما ألف العيش لديه أخضرا (١)

والجانب المهم من هذه القصيدة أنها تؤرخ أيضاً لمرحلة مهمة من حياة ابن الأبار ، وهي مرحلة هجرته وانتقاله من بلنسية واستقراره بتونس ، إذ يُعينه السلطان الحفصي وزيراً وكاتباً في دولته ، فينقطع لمدحه ومدح أبنائه ، كلما حانت فرصة لذلك ، وكلما طرأت مناسبة من المناسبات ، أو حل حدثٌ من الأحداث التاريخية أو السياسية .

ويحتلُّ ابنُ الأبار مكانةً لدى السلطان ، وتثور حفيظة الحاسدين ضده ، فيشون به وينجحون في ذلك ـ كما أسلفنا (٢) ـ ويتشفع بولي عهد السلطان ويكتب من منفاه في بجاية قصائد عدة ، مثل قوله :

أسرف الدهر فهلا قصدا ما عليه لو شفى برح الصدى
ينقضي يومي كأمسي خيبةً أبداً أقرع باباً موصدا
طال قدحي لأمانٍ أخلفت وعناءٌ قدح زندٍ صَلِدا (٣)

وهي قصيدة تطفح بمرارة الشكوى والألم ، حتى أنه من شدة حزنه على فراق منصبه في الدولة الموحدية يتمنى لو لقي الردى :

---

(١) الديوان ص ١٨٥

(٢) راجع فصل الصراع والمواجهة . (٣) الديوان ص ١٥٩

كم تمنيت الردى في عيشةٍ ضرباً صار لها صلب الردى
لا أود العمر ألقاه إذا عزَّ فيه ما يقيم الأودا

وأهمية هذه القصيدة وغيرها من قصائد الشكوى والتشفع والاعتذار التي يجدها القارئ في الديوان أنها توثق مرحلة من حياة ابن الأبار ، و هي مرحلة عزله من الخدمة السلطانية للمرة الأولى .

وبعد قصائد استعطاف كثيرة وطول عناءٍ وتذللٍ ينجحُ ابن الأبار في كسب عفو السلطان ، ويعود لحضور مجلسه ، وإلى شيءٍ يسير من رتبته الأولى ، فيفرح بذلك كثيراً ، وينشد قصائد في الشكر والامتنان ، ويواصل حضوره في مجلس السلطان ، ثم يصدم بوفاته ، و يتولى المستنصر ابن السلطان الحكم ، وترتفع مكانةُ ابن الأبار لديه ، غير أن الوشاة ينجحون ثانيةً في إثارة حفيظة المستنصر ضد ابن الأبار فيبعده عن حضور مجلسه ، ثم يعود إلى حاله الأول من إبداع قصائد الاعتذار ، فيعفو عنه السلطان ، ويفرح ثانية بالعفو ، ويمثل بين يديه شاكراً ممتناً :

بشراي باشرت الهدى والنورا بلقائي المستنصر المنصورا
فإذا أمير المؤمنين لقيتُه لم ألقَ إلا نضرةً وسرورا (١)

ويعود الحساد للإيقاع به للمرة الثالثة ، وينجحون أيضاً ، فيلزمه السلطان بيته ، وتسوء حالته النفسية كثيراً ، ويندم على خدمة السلاطين ، وينشيء قصائد في الشكوى من الزمان وأهله ، ولا يتركه الحاسدون فيتهمونه بأنه كتب في معتزله كتاباً في التأريخ أساء فيه إلى المستنصر ، فيأمر بتفتيش بيته ويقعون عنده على أوراقٍ فيها انتقاصٌ من حق السلطان فيأمر بقتله ـ كما أسلفنا ـ .

---

(١) الديوان ص ٤٤٧

ومن خلال الاستعراض السابق لبعض أبيات ابن الأبار المتضمنة للخطاب التأريخي والتوثيقي ، يمكن استخلاص الملامح المميزة له ، إذ نجده يتقلب في المناصب السياسية ويتشبث بها حتى أواخر حياته ، ثم يزهد فيها لما يئس منها .

كما أن تلك القصائد توثق كثيراً من أخلاقياته وسلوكه ، وتؤرخ لتغيراته النفسية والوجدانية تبعاً لتغير ظروف حياته .

....

ب ـ التأريخ والتوثيق في شعر ابن الأبار على المستوى الموضوعي :

القارئ لقصائد ابن الأبار يجدها مليئة بالتاريخ والتوثيق لحوادث كثيرة ، فمن ذلك قصيدته السينية التي أنشدها بين يدي السلطان أبي زكريا لما حوصرت بلنسية ، وقصائد الاستنجاد والاستغاثة التي ووجهها للسلطان لاستثارة حميته في استرجاعها ، وتلك القصائد تؤرخ وتوثق لفترة مهمة من تاريخ الأندلس ، وهي مرحلة حصار وسقوط بلنسية .

ومن القصائد التي فيها إشارات تاريخية قصيدته التي مفتتحها :

مرقوم الخد مورده   يكسوني السقم مجرده (١)

---

(١) الديوان ص ١٥٨ ، وقد عارض بها قصيدة الحصري الضرير القيرواني في قصيدته المشهورة : يا ليل : الصبُّ متى غده   أقيام الساعة موعده ؟
راجع في ذلك فصل التناص ، وانظر : كتاب (يا ليل الصب ومعارضاتها) ص ١٢

ويشير في قصيدته هذه إلى أن الحفصيين يرجعون في نسبهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

صلوات الله على فئةٍ فيها يتبحبح محتده
عدويّ البيت مطنبه فوق الأملاك ممده
ورث العمرين سناءهما يعتد به ويعدده (١)

ومن ذلك قوله في مدح السلطان :

وخليفةٍ في الأرض لكن بيته فوق السماء يمد في تطنيبه (٢)

إذ يعلق محقق الديوان بأن في هذا إشارة تاريخية مهمة ، وهي أن أبا زكريا كان يخاطب بالخليفة ، ولكنه يمتعض إذا خوطب بأمير المؤمنين (٣).

ومن الإشارات التاريخية إشارته إلى موقعة أنيتشة في القصيدة التي رثى بها شيخه أبا الربيع ابن سالم (٤)، ويؤرخ لاحتلال أبي زكريا تلمسان وفرار يغمراسن وذلك عام ٦٤٠هـ ، بقصيدة مطلعها :

غزوٌ على النصر والتمكين منشؤه الفتح غايته والنجح مبدؤه (٥)

---

(١) الديوان ص ١٥٨

(٢) السابق ص ٧٩

(٣) انظر : السابق والصفحة ، الهامش .

(٤) انظر : الديوان ص ٢٧٥

(٥) الديوان ٤١ ، وانظر الهامش .

ومما يدخل في التوثيق والتأريخ قصيدة يهنئ فيها المستنصر بولايـــة العـــهد ، ويمـــدح السلطان المرتضى أبا زكريا ، وفيها يشير إلى خضوع عددٍ من قبائل المغرب مثل (بني غانية ، وبني رباح ، وقبيلة زغبة) وهي قبائل من أعراب بني هلال كان لها دورٌ خطيرٌ في أحـــداث المغرب الإسلامي ، وقد كان لأبي زكريا مع هذه القبائل صداماتٌ ومواجهات كثيرة انتـهت بخضوعها له (١).

ومن ذلك قصيدة يمدح فيها أبا زكريا عندما حاول الزحف على مراكش حـــوالي عـــام ٦٤٧ ، ومطلعها :

هنيئاً لوفد الغرب من صفوة العرب　　قدومٌ على الرغُب الجير من الرعب (٢)

ومن القصائد التي تتضمن خطاباً في التاريخ والتوثيق قصيدة في مدح المرتضى أبي زكريـــا عندما احتلت جيوش قشتالة مدينة أشبيلية في شعبان عام ٦٤٦هـــ ، ومن روح القصيـــدة يبدو أن تونس كانت عازمة على متابعة الجهاد بالأندلس ، ومطلعها :

أذنت أرض العـــدى بافتـــتاح　　هل وراء الليل غير الصباحِ (٣)

ومن ذلك أيضاً إشارته إلى راية الحفصيين الحمراء ، وذلك في قصيدة يهنئ فيها أبا زكريـــا على إسناده ولاية العهد لابنه المستنصر ، إذ يقول :

فإن وعدت قدماً مناجزة العدى　　فرايته الحمراء منجزة الوعـــد (٤)

---

(١) انظر : الديوان ص ١٦٧

وانظر : عصر المرابطين والموحدين ، عبد الله عنان ص ٥٢٨ وما بعدها .

(٢) الديوان ص ٨٣　(٣) الديوان ص ١١٩ وانظر الهامش .

(٤) السابق ص ١٦٣ وانظر الهامش .

ومما يدخل في باب التاريخ و التوثيق أيضاً قصيدة يمدح فيها أبا زكريا مشيراً إلى بيعة بعض مدن المغرب والأندلس له ، مطلعها :

حفّت بحضرتك الفتوح جيوشا   تسبي ملوكاً أو تحـــل عروشا (١)

ومثل ذلك قصيدة في مدح المرتضى أبي زكريا بمناسبة بيعة مدن الأندلس له حوالي عـــــام ٦٤١ ، يقول فيها :

هنيئاً لأهل العدوتين (٢) عدادهم   بإخلاصهم في المخلصين الأطايب
أطاعوا الإمام المرتضى وتسابقوا   إلى سنن يهدي إلى الرشد لاحبِ

إلى أن يقول :

ممالك ألقت خضعاً بقيادها   إلى ملكٍ في الغرب سامي الذوائب (٣)

ومن القصائد التي تتضمن خطاباً في التأريخ والتوثيق قوله من قصيدة يمدح فيها الســـلطان المرتضى بمناسبة بيعة مدينة سبتة ، وبعض مدن الأندلس ، مطلعها :

ســـما بأمـــرك إسعادٌ وإنجاد   فكل دهـــرك أعراسٌ وأعيـــاد (٤)

---

(١) الديوان ص ٤٠٣

(٢) العدوتين : المغرب والأندلس

(٣)الديوان ص ١٣٩

(٤) السابق ص ٢٧٥

وخلاصة القول : إن القارئ المتأمل لديوان ابن الأبار يجد صدى كل مناسبةٍ تاريخية مرت به أو عاصرها ، كيف لا ، وهو شاعرٌ شارك بنفسه في مجريات أحداث عصره ، فجاء شعره ــ في أكثره ــ سجلاً وثق فيه كثيراً من الوقائع التاريخية في المغرب والأندلس ، وعكس لنا ملامح لكثيرٍ من شخصيات ذلك العصر التاريخية ، أمثال السلطان أبي زكريا الذي أنشأ الدولة الحفصية المستقلة بأفريقية (١) .

....

(١) انظر : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ص ٥٣٤

الفصل الرابع

في المذهب والمعتقد

****

في المذهب والمعتقد

ـ ١ـ

مما لا شك فيه أن العقائد هي المسئولة عن التصرفات ، فهي القاعدة الثابتة التي ينطلق منها كل أحد، في تفكيره وتصوره للكون والحياة والموت والجمال ، وغير ذلك .

فمشركو قريش ــ مثلاً ــ كانوا يقدسون الأصنام والأحجار ، ويتصورون أن هناك شيئاً ما يرضيها وآخر يغضبها ، وكذلك المشركون في زماننا هذا من عباد البقر أو الشمس أو غيرهما ، الذين يحرقون جثث الموتى ، ويتهادون رمادها ، ينطلقون في تصرفاتهم من خلال معتقداتهم ، ويبنون تصوراتهم للكون والحياة والموت والمرأة وغيرها على هذه المعتقدات (١)، وينسحب هذا القول على كل اعتقاد يؤمن به البشر في أصقاع الأرض .

إذن ، فالعقيدة ــ سواءً كانت صحيحةً أو باطلة ــ هي أساس الفكر والتصور ، وعلى هذا التصور تبنى التصرفات والسلوك .

ـ ٢ـ

والشاعر الجاهلي حينما قال :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد (٢)

بنى فكرته هذه على اعتقاده الجاهلي ، وهو العصبية الجاهلية ، وعلى هذه العقيدة يكون منهجه في السلوك والأخلاق والتعامل ، وكذلك عندما قال زهير :

---

(١) انظر : منهج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق ، د. أحمد هاشم ص ٦٩ وما بعدها

(٢) الأصمعيات ص ١٠٧

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ، ومن تـخطئ يعمر فيهرمِ (١)

بنى تصوره للموت على نظرته الجاهلية ، واعتقاده الجاهلي ، وتصوره للموت بأنه مصادفة ، ولم يعتقد ما نعتقده نحن كمسلمين ، من أن الموت له ساعة لا تتقدم ولا تتأخر ، وأن بعد الموت حياة وحساب وجزاء .

ولما جاء الإسلام ، وتغيرت عقيدة العرب ، تغير تبعاً لذلك سلوكهم و منهجهم في الحياة ، وتصورهم للكون والأشياء من حولهم ، وتغيرت كثير من مفاهيمهم وقيمهم وتصرفاتهم ، فقال شاعرهم :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا هتفوا ببكرٍ أو تميمِ
وما كرمٌ ولو شرفت جدودٌ ولكن التقيَّ هو الكريم (٢)

وخرج عن المسلمين فئاتٌ ضلت الطريق ، كالشيعة والخوارج وغيرهم ، وابتعدت رويداً رويداً عن منهج الحق ، حتى انحرفت إلى الضلال والبدع ، واتخذت لها عقائد تتنافى مع عقيدة الإسلام .

ـ ٣ ـ

ولقد انتشرت هذه العقائد في مشرق العالم الإسلامي ، وامتدت إلى مغربه وأندلسه ، وانتشر التشيع بخاصة ، وظهر في الأندلس عددٌ غير قليل من الشيعة ، وكان لهم تصورهم وأدبهم المنثور والمنظوم ، كما كان ثلةٌ من أهل الأندلس يدينون بغير الإسلام ، فهناك يهود ونصارى ، وغيرهم ، واجتمعت كل هذه الديانات والمعتقدات والمذاهب ، تحت الحكم الإسلامي ، في فتراته المختلفة .

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٨٦ (٢) الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة ص ٢٧١

_ ٤ _

وإذا عـدنا إلى ابن الأبار ــ موضوع دراستنا ــ لنتلمس معتقداته ومذهبه من خـلال آثاره وشعره فإنه ينبغي أن نجيب على التساؤلات الـتالية : هل كان ابن الآبار شيعياً ، كما اتهمه ابن الأحمر والمقري ؟ وما هي آراء ابن الأبار حول الزهد ؟ ولم اتجـه إليـه في شـعره أخريات حياته ؟ وما مدى أثر معتقده على فكره وسلوكه وتصرفاته .

أ ــ سنيته وتهمة التشيع :

لقـد كان التشيع بالذات ظاهراً في الأندلس " منذ فجرها الإسلامي ، ولكنـه كـان ضعيفاً خافتاً لم يتسن له أن يبرز خلال الحكم الأموي ، غير أنه خلال الفتنة ، وأيام حكـم الحموديين توفـر لـه الجو السياسي الملائم فتسابق الشعراء إلى مدح الطالبيين الحموديـين ، و تطرقوا لموضوعات شيعية ، وإن كان الدافع غير عقائدي ، وابتداءً مـن أبي الخصـال إلى أواخر أيام الإسلام بالأندلس لاحظنا ازدهاراً لأدب التشيع ، إذ أصبح له مناخ اجتمـاعي يغذيه بالإعجاب ويتجاوب معه " (١)

غير أن " السمة العامة التي امتاز بها تشيع الأندلس أنه كان تشيعاً غـير أعجمـي ، أي معللاً إلى حدٍ بعيد ، وقد عبر عبد المهيمن الحضرمي السبتي عن طبيعة حـب المغاربـة لآل البيت بقوله : أحبهم حب تشرّع لا حب تشيّع " (٢)

وابن الأبار مسلم موحد يعتقد ما يعتقده المسلمون ، ويصدق بكل ما ثبت عن محمـد صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن بكل ما يؤمن به المسلم الصادق ، ويظهر ذلك واضحاً في كثيرٍ

---

(١) درر السمط في خبر السبط المقدمة ص ل

(٢) السابق المقدمة ص ل و م وانظر نفح الطيب مج /٥ ص ٤٦٩

من قصائده ،ولئن نراه في أول حياته يفر مع سلطانه أبي زيد ، من بلنسية إلى ملك أرجونة ، وهناك يزعم المؤرخون ، أن أبا زيد قد تنصر ، ومهما كان الأمر ، فإن ابن الأبار عاد إلى بلنسية ، ولم يتهم بتنصرٍ أو غير ذلك ، مما يثير شكاً حول عقيدته .

وهو من علماء السنة وحفاظها ، ويعتبر واحداً من رجالات الحديث والفقه ، وقد أشار إلى ذلك كثير ممن ترجموا له ، يقول صاحب فوات الوفيات : " عني بالحديث وجال بالأندلس وكتب العالي والنازل ، وكان بصيراً بالرجال عالماً بالتاريخ ، إماماً في العربية ، فقيهاً متفنناً إخبارياً " (١)

وقال عنه شكيب إرسلان ، في الحلل السندسية : " حافظ متقن له في الحديث والأدب تصانيف "(٢)

وقال عنه الغبريني ، في (عنوان الدراية) : " الشيخ الفقيه المحدث المقرئ النحوي الأديب المجيد اللغوي الكاتب البارع التاريخي أبو عبد الله محمد ... الشهير بابن الأبار "(٣)

ثم قال في معرض ترجمته له : " ولا يكاد كتابٌ من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا وله فيه رواية ، إما بعمومٍ أو بخصوص "(٤)

---

(١) فوات الوفيات ج/٣ ص ٤٥٠ وانظر دائرة المعارف لبطرس ص ٢٤٥
(٢) الحلل السندسية ص ٥٣٠
(٣) عنوان الدراية ص ٣٠٩
(٤) السابق ص ٣١٠

ومثل هذه الأقوال قالها كثيرٌ ممن ترجموا به ، وكلهم يجمع على أنـــه مـــن رجـــالات الحديث المعروفين ، وله في علم الرجال كثيرٌ من الكتب أهمها (تكملة الصلة) وقد تحدثنـــا عنه في مدخل البحث .

غير أن ابن الأبار اتـــهم بالتشيع (١) ، وذلك لتأليفه كتـــاب (درر الســـمط في خـــبر السبط) وكتاب (معدن اللجين في مراثي الحســـين) وهو الكتاب الذي قال عنه الغـــبريني : " لو لم يكن له من التآليف إلا هذا الكتاب لكفاه في ارتفاع درجـــته وعلو منصبه ، وسمـــو رتبته "(٢)

وكتاب (معدن اللجين في مراثي الحسين) مفقود ، "ولعل هذا الكتاب يحتـــوي علـــى مراثي شعرية في مقابلة الدرر النثري . " (٣)

وكتاب درر السمط ، حققه الأستاذان : الدكتور عبد السلام الهراس ، والأستاذ ســـعيد أعراب ، وقد أشرت في مدخل البحث ـــ عند الحديث عن هذا الكتاب ـــ إلى أن المحققـــين قد صدرا الكتاب بمقدمة عن حياة ابن الأبار ، ثم حديث عن التشيع بالأندلس ، وأثبتـــا في المقدمة أن ابن الأبار لم يكن متشيعاً ، بل هو من علماء السنة وحفاظها ، غير أنه محـــبٌ لآل البيت (٤).

---

(١) انظر: نفح الطيب ج /٤ ص ٥٠٦ ، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ص ٢٣٨

(٢) عنوان الدراية ص ٣١٢

(٣) درر السمط في خبر السبط ، مقدمة المحققان ص ن

(٤) السابق ص ت

وعملا في المقدمة دراسة تحليلية للكتاب ، درسا فيها الغاية المتوخاة من تأليفه ، ووصفا أقسامه وفصوله ، داعمين ذلك ببعض نماذج ونصوص من الكتاب ، وأثبتا من خلال ذلك ، أن الكتاب ليس فقط في خبر السبط (الحسين) ، وإنما هو تاريخ لمأساة آل البيت جميعاً ، أو على الأصح نمط خاص على هامش السيرة ، من أول البعثة إلى نهاية الخلافة ، فهناك فصول في مبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وسيرة خديجة ، وفاطمة البتول ، وأخرى في مناقب علي ، ومنازعة معاوية له حبل الخلافة ، ووقعة صفين ، ولقطات من سيرة الحسن (١) .

وأوضحا قيمة الكتاب التاريخية والأدبية ، وأنه نمط فريد في كتابة السير والتراجم ، نحا فيه مؤلفه ــ كما يقول العبدري (صاحب الرحلة) منحى ابن الجوزي ، و هو يمثل صفحات مجهولة في تاريخ الأدب الشيعي بالغرب الإسلامي(٢) .

وأشارا إلى أن الناس قد عرفوا هذا الكتاب في حياة المؤلف ، وأخذوا عنه ، وتدارسوه بعده ، وعلقوا عليه وشرحوه .

وفي نهاية الدراسة يرجح المحققان " أن المؤلف كتبه في أخريات حياته ، وهو يعيش أزمة نفسية بمدينة بجاية ، فجاء صورة صادقة لنفسه وقلبه وعواطفه ، ومجلى لثقافته الموسوعة ونضجه الفني . " (٣)

---

(١) انظر : درر السبط ص س

(٢) انظر : مقدمة تحقيق درر السمط ص ت

(٣) درر السمط ص ت

وإذا تأملنا مؤلفات ابن الأبار الأخرى ، لا نجد فيها نزعة غير نزعة أهل السنة من المغاربة والأندلسيين ، وهو نفسه يبرأ من كل مذهبٍ غير حب الله ورسوله (١)، ويبرز ذلك جلياً في رسالته التي بعث بها إلى أبي المطرف بن عميرة ، إذ نجده يبرئ الأندلسيين من التشيع ، بل ويصفهم بتمسكهم بالشريعة ، و حبهم لبيت النبوة ، و معاداتهم للتشيع كمذهب يخالف السنة ، يقول من رسالته : " كلا بل دانت (الأندلس) للسنة ، وكانت من البدع في أحصن جنة ، هذه المروانية مع اشتداد أركانها ، وامتداد سلطانها ألقت حب آل النبوة في القلوب ، وألوت ما ظفرت من خلعه ولا قلعه بمطلوب ، إلى المرابطة بأقاصي الثغور ، والمحافظة على معالي الأمور ، والركون إلى الهضبة المنيعة ، والروضة المريعة من معاداة الشيعة ، وموالاة الشريعة "(٢)

والقارئ بتمعن لديوان ابن الأبار، يجد فيه قصائد و ألفاظاً تدل على صدق توجهه وعقيدته وسنيته ، فمن ذلك قوله في قصيدة ، يصف فيها تحسره على بعض أساتذته الذين توفوا ، ويتذكر مجالسهم الطيبة ببلنسية ، وكيف كان ينتظم في تلك المجالس ، انتظام الطير في منثر الحب ، يقول :

أحنّ لأرباب المعارف بالترب ... وأرجو بهم شفع الصنيعة بالرب
مكان اعتمادي واعتدادي جعلتهم ... وتدّخر الأعلاق للحقب الشهبِ
وهل دركٌ في أن تقربت منهم ... بأسنى أناسٍ أحرزوا درك القربِ
تلقوا جنى القرآن غضاً عن الذي ... أتى خاتماً للرسل في خاتم الكتبِ
أطوف بناديهم رجاء نداهم ... كذاك انتظام الطير في منثر الحبِ
هم القوم لا يشقى جليسهم بهم ... وحسبي أن يغشى مجالسهم قلبي

(١) انظر : السابق والصفحة .

(٢) نفح الطيب ج/٤ ص ٥٩٨

نضيت لإخلاصي لـــهم وتخلصي بإرشادهم من حيرة الرفض والنصبِ
ويا بـــابي المختار من سر هاشمٍ ومنصـــبه المختار من صفوة العربِ
مـــحمدٌ المنصور بالرعب والصبا فبين الصـــبا طاحت أعاديه والرعبِ
روى أنـــسٌ ما فيه أنسٌ مجـــددٌ لـــمستوحشٍ من فادح الوزر والذنبِ
فأتـــبعتُ حـــبَّ الله حبَّ رسولهِ وليس مـــتاب الواصلين سوى الحبِّ (١)

والرفض في البيت الأول يعني الرافضة الشيعة ، وفيه تأكيد لعدم تشيعه .

ومما يؤكد سنيته كثرة اقتباسه من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، في نثره وشعره (٢) ، كما أن القارئ لشعره لا يعثر على أي تمجيدٍ للمذهب الشيعي أو أيام الشيعة أو آرائهم ومعتقداتهم ، بل على العكس يجد بعض الأبيات المستوحاة من السنة الشريفة المطهرة ، ومن أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، مثل قوله :

دع مـــا يريب إلى ما ليس بالريبِ فذا يبـــوئك العالـــي من الرتـــب
واعـــمد إلى سبل الخيرات منتهجاً لـــها لتســـعد في حالٍ ومنقلبِ (٣)

ومثل قولـــــه :

شـــاق من روض الأماني أرجـــه ولأمـــرٍ مـــا شجانـــي مدرجـــه
خـــيلت لـــي أنـــها تصدقني وخـــيالات الفتى تســـتدرجـــه
فـــإذا أكذب شيءٍ فـــجرهـــا ولقد غـــرّ الحـــجا منبلجـــه
يا شقيق النفـــس أوصيك وإن شقّ في الإخلاص مـــا تنـــتهجه
لا تبت في كـــمدٍ من كـــبدٍ ربّ ضيـــقٍ عاد رحـــباً حـــرجه

(١) ديوان ابن الأبار ص ٩٠ ، ٩١
(٢) راجع فصل التناص
(٣) ديوان ابن الأبار ص ٧٢

وبلطف الله أصبح واثـقاً كل كـربٍ فعليه فرجه(١)

وملحوظ ما في الأبيات من ثقة بفرج الله ، واتكالٍ عليه سبحانه ، وقريب من ذلك قوله :

رجوت الله في اللأواءِ لما بلوت الناس من ساهٍ ولاهي
فمن يك سائلاً عني فإني غنيت بالافتقار إلى إلاهي (٢)

والغنى بالله ، والثقة به ، جل وعلا ، ينبغي أن ترتبط بالإيمان بقضاء الله وقدره ، والتسليم المطلق بما قسم وكتب سبحانه ، فلا يُسخط المرء المقادير ، بل يرضى كل الرضا بما أراد الله عز وجل :

أما إنه قد خط في اللوح ما خطا فلا تعتقد للدهر جوراً و لا قسطا
ولا تسخط المقدور وارضَ بما جـرى عليك به إن الرضى يفضل السخطا (٣)

والثقة بالله أيضاً تتطلب ألا يرجو المسلم ما في أيدي الناس ، بل يرجو ما عند الله ، فـهو المعطي وهو المانع ، وهو ذو القبض والبسط :

إلا مَ في حـلٍ وفي ربطِ تـخبط جهلاً أيما خبطِ
دع الورى وارج إله الورى فإنـه ذو القبض والبسط
ليس لمـا يعطيه من مانعٍ ولا لما يمـنع من معطِ (٤)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١١٠

(٢) السابق ص ٤٦١

(٣) السابق ص ٤٤٩

(٤)السابق والصفحة

والمؤمن بالله الواثق به ، كريم ، لأنه يتعامل مع كريم ، ويمقت البخل والبخلاء ، لأن البخيل غير واثق بالله ، أما الواثق بربه فقنوع ، معطاء :

لا أرتضي الباخل خلاً وإن أحله الإيسار في ذروته
دعه يكاثر بالثراء الثرى قناعتي أكثر من ثروته (١)

والواثق بالله جواد ، شاكر لأنعم الله ، لا ينتظر عوضاً من أحد ، بل ينفق ، وهو مطمئن بأن الله سينفق عليه :

الجود ينفع في الوجود ولن ترى من يكفر النعمى سوى الإنسانِ
فإذا رأيت من الأكارم محسناً فأحرز عليه آفة الإحسانِ (٢)

وإذا كان المرء مؤمناً صادق الإيمان ، واثقاً بالله ، فإنه يكون عفيفاً ، وبخاصة إذا زجره الشيب ، وتقدم السن ، وتفكر في مآله ، ولقد كان ابن الأبار متديناً ، متزناً مستقيماً ، كما يبدو من شعره ، ومن ترجمات المترجمين به ، فهو رجل دين وعلم :

لولا قديمٍ من عفافٍ تالدٍ وطريف شيبٍ قد ألم حديثُ
لركظت من خيل الشباب معارها ولكان لي ولمن هويت حديث (٣)

والواقع أن شعر ابن الأبار فيه عفة الفقهاء ، وحشمة المتغزلين ، ولقد نسب له ابن شاكر في فوات الوفيات (٤) ، قصيدتين غزليتين ، وتبعه في ذلك كل من الأستاذ محمد

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١٠٢

(٢) السابق ص ٣٢٦

(٣) السابق ص ١٠٢

(٤) انظر فوات الوفيات ج/٣ ص ٤٥٠ وما بعدها

عـــنان (١) ، والدكتور عبد العزيز عبد المجيد (٢)، والدكتور عبد الله أنيس الطبـــاع (٣)، غير أنهما ليست له ، وإنما هما لأبي جعفر أحمد بن الأبار الخـــولاني الأشبيلي شاعر المعتضـــد ابن عباد ، ولقد أورد ابن بـــسام في الذخيرة ، القصيدتين ، في معرض حديثه عن الخـــولاني السالف الذكر ، وطالع الأولى :

لم تدر ما خلدت عيناك في خلدي   من الغرام ولا ما كابدت كبدي

وهي قصيدة من الغزل العفيف ، وطالع الثانية :

زارني خيفة الرقيب مريبا

وهي قصيدة عكس أختها الأولى إذ نحا فيها منحى مكشوفا فاحشاً . (٤)

ب ــ توجهه للزهد أخرياتِ حياته :

ولقد كان للأزمات النفسية التي مر بها ابن الأبار ، من جفاء السلاطين ، وكثرة الحساد ، والوشاية به ، دورٌ كبير في توجهه إلى الزهـــد في أخريـــات حياتـــه ، إضافـــة إلى مرحلـــة الشيخوخة ، وثقافته الدينية ، وبيئته التي عاش فيها ، وبيته الذي تربى فيه :

نادى المشيب إلى الحسنى به ودعا   فثاب يشعب بالإقلاع ما صدعا
وبات يخلع ملذوذ الكرى ثـــقةً   بأنه لابـــسٌ من ســـندس خلعا
مستبصراً في اتخاذ الزهد مفزعة   ليأمن الروع يوم العرض والفزعا
يسعى إلى صالح الأعمال مبتدراً   وليـــس للمرء إلا ما إليه سعى
يا خاشياً خاشعاً لا تعدها شيماً   فالأمن والعز في الأخرى لمن خشعا
لئن تململت في جنح الدجى أرقاً   فسوف تنعم في الفردوس متدعا

---

(١) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، محمد عنان ص ٤٥٦

(٢) ابن الأبار حياته و كتبه ص ٣٥٢ ، ٣٥٣.

(٣) كتاب الحلة السيراء ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ص ١٣٤

(٤) مقدمة الديوان ص ٢٥ ، ٢٦، وانظر: الذخيرة القسم الثاني مج/١ ص ١١٣

أرقت للواحـد القيوم متصلاً ... بـه فليس رضاه عنك منقطعا
دار القرار لمن صحت سياحته ... في الأرض واعتمد الجنات منتجعا
لا تبتدع غير ما تبغي بـمصنعه ... مرضاة من صنع الأشياء وابتدعا
ولا تعرج على إعراض فانيةٍ ... توليك هجراً إذا أوليتها ولـعا
إياك والأخذ فيما أنت تاركه ... من ترهات تجر الشين والطبعا
دِن باطراحك دنيا طالما غدرت ... وزخرفاً من حلاها شدّ ما خدعا
وادأب على البر والتقوى فبابهما ... إلى السـعادة مفتوح لمن قرعا
ولا تفارق صدى فيها ومخمصة ... تنل بدار الخلود الري والشبعا
ساعد مباعدها واحذر مكايدها ... إن الفطام على آثـار من رضعا (١)

ومنها :

ولتزرع الخير تحصد غبطة أبداً ... فإنـما يحصـد الإنسان ما زرعا
و إن لـمحت فصنع الله معتبراً ... وإن أصخت فللقرآن مستمعا
نعم الأنيس إذا الليل البهيم سجا ... لأهـله وإذا رأد الضحى متعا
لا تنقضي كلما تتلى عجايبه ... وليس يمحل من في روضه رتعا
حبلٌ لـمعتصمٍ ، نورٌ لـمتبعٍ ... هدىً لذي حيرةٍ ، أمنٌ لمن فزعا
وهو الشفيع لتاليه و حاذقـه ... ومثله غـير مردود إذا شفعا
يا حسرتي خلق الإنسان من عجلٍ ... فغازل الأمل المكذوب و الطمعا
وعاش للكد والأوصاب محتقباً ... بما استراح إلى ميـن المنى هلعا
آه لعمرٍ مـعارٍ لا بـقاء له ... يفرق الدهر منـه كل ما جمعا
كالـمزن مصدره في إثر مورده ... بينا تراكم في آفاقـه انقشعا
في كل يومٍ يسير المرء مرحلةً ... وإن أقام فلم يظعن ولا شسعا

(١) ديوان ابن الأبار ص ٣٦١

أُعَير يا ويحه عمراً إلى أمدٍ ثم استرد بكرهٍ منه وارتجعا
وذو الحجى غير مغترٍ ببارقه لا ماء فيها وإن لألاؤها سطعا
كأنه والسهاد البرح همته يخشى البيات من الأحداث إن هجعا(١)

والواقع أن القصيدة ، بما فيها من معانٍ جيدة ، وصورٍ رائعة ، تعكس توجه ابن الأبار في أخريات حياته ، فهي ــ وإن كانت على شكل نصحٍ وتوجيه ــ دعوة للنفس والذات إلى الزهد في الدنيا ، وترك ما فيها لنيل ما عند الله ، وبذل الجهد بالسهر والعبادة ، للتنعم في جنات الفردوس ، والبعد عن البدع والابتداع ، لكسب مرضاة الله صانع الأشياء ومبدعها ، والدأب على البر والتقوى لبلوغ رضا الله جل وعلا ، والفوز بسعادة الدارين ، وزرع الخير ليحصد الإنسان خيراً كما زرع ، والتفكر في ملكوت الله للاعتبار ، والتمتع بالاستماع إلى آي الذكر الحكيم ، وتلاوته ، فهو نعم الأنيس في الليل والنهار ، إذ لا تنقضي عجائبه ، ولا يمحل من رتع في روضه ، وهو حبل المعتصمين به ، ونور المتبعين ، وهدى الحائرين ، وأمن المفزوعين ، والشفيع لمن تلاه وتمسك به ، وأحل حلاله وحرم حرامه .

والإنسان في هذه الحياة الدنيا ، لأنه خلق من عجل ، يحب العاجلة ، ويذر الآخرة ، ويغازل الأمل المكذوب ، ويطمع ، ويكد ، غافلاً عن أن العمر معار ، لا بقاء له ، وأن الدهر يفرق كل ما جمع ، والمرء كالسحاب الذي يصدر من البحر ، ويرجع إليه ، ويتراكم في الآفاق ثم ينقشع ، وكل يومٍ يمر عليه يقطع فيه مرحلةً ، حتى ولو لم يسافر ، لأنه في سفر دائم ، ورحلةٍ تنتهي بدار القرار ، إما الجنة أو النار ، والكل يغتر بالدنيا ، سوى العقلاء الذين علموا أن الحياة سراب ، فباتوا بين الخوف والرجاء .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٣٦٢

ومن الطبيعي أن المرء إذا تقدم به السن ، علا قدره ، غير أن ابن الأبار ، من كثرة حساده ، وإيذائهم له ، كان يشعر بأنه ، وإن علت سنه ، فقدره في انخفاض ، ويعود مرات إلى إنسانيته ، فيسخط القدر ، وكأنه ليس راضياً عنه ، ثم يلوم نفسه على ذلك :

علت سني وقدري في انخفاض وحكم الرب في المربوب ماض
إلى كم أسخط الأقدار حتى كأني لم أكن يوماً براض (١)

ولقد كان للوحشة التي كان يعاني منها ابن الأبار ، بفقد مركزه الاجتماعي المرموق بين الناس ، وعدم تقديره ، مع علو سنه ، أثرها في التوجه إلى الله جل وعلا ، و التوسل بنبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وإظهار حبه ، فأنشأ لذلك قصيدتين في مدح نعل المصطفى عليه الصلاة والسلام ، يقول في الأولى :

لمثال نعل المصطفى أصفى الهوى وأرى السلو خطيئة لا تغفرا
وإذا أصافحه وأمسح لاثماً أركانه فمعززاً وموقرا
سر اعتزازي في جهار تذللي لجلاله أثراً بقلبي أثرا
إن شاقني ذاك المثال فطالما شاق المحب الطيف يطرق في الكرى
لي أسوة في العاشقين وقصدهم لثم الطلول لأهلهن تذكرا
وبكائهم تلك المعاهد ضلةً تحت الظلام على الغرام توفرا
أفلا أمرغ فيه شيبي راشداً وأريق دمعي وسطه مستبصرا
ثقة بإثرائي من الخيرات في شغفي بنعلَي خيرِ من وطئ الثرى(٢)

(١) ديوان ابن الأبار ص ٤٤٨
(٢) السابق ص ٤٤٣ ، ٤٤٤

ويقول في الأخرى :

لئن عــزّ مــن الرسول مثال ... ســجام لعمري أدمعٌ وسجال

وهل يملك العينين في مثلها سوى ... خليٍ عــداه عن هداه ضلال

ومنها :

مثالٌ إلى نــعلٍ مطهر يعتزى ... فإعــزازه للحسنيين مــنال

أقبــّله شــوقا تــملكني لما ... حكى وشهيدي لو يفوه قبال

وإلى اشتراك في التزام شراكه ... وحسبي مــنه عصمة ومنال

ومعقده مــما عقدت به الهوى ... فلا صح عزمي إن صحا لي بال

مرادي من تمريغ شيبي عليه أن ... تسح من الرحمى عليَّ سجال

ومن وضعه في حر وجهي ورفعه ... لقــمة رأســي أن يعزَّ مآل

فأحظى بحظي من جوار محــمدٍ ... وهل بعد تنويل الجوار نوال (١)

وامتداح نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس بدعة في شعر ابن الأبار ، بل هو مســبوق بكثيرٍ من الأقوال في ذلك (٢) ، وأياً ما كان الحال ، فهاتان القصيدتان تؤكدان حبّ ابــن الأبار للنبي محمد عليه الصلاة والسلام ، ولآل بيته الأطهار ، وتنفيان عنه تهمة التشيع ، وهو من خلال القصيدتين يرجو أن ينال رضوان الله بمحبة نبيه ، عليه السلام ، وينال جــواره إذ هما غاية النوال .

وتتوق نفس ابن الأبار للحج ، وتتشوق لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والتوجــه إلى الديار المقدسة الكريمة ، ويغبط من فعل ذلك :

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٤٥٦

(٢) انظر : صبح الأعشى مج/٦ ص ٤٦٦

لو عــنّ لي عونٌ من الــمقدار   لهجرت للدار الكريمة داري
وحللت أطيب طينة من طَـيبةٍ   جاراً لــمن أوصى بحفظ الجار
وركعت في صحنٍ هنالك طاهراً   وكرعت في معنٍ هنا لك جاري
حــيث استــنار الحق للأبصار   لــما استثار حفائظ الأنصار
لكن عليّ لها أداء الفرض من   طول النزاع ، وشدة التذكار
يــا زائريــن القبر قبر محمدٍ   بشرى لكم بالسبق في الزوار
أوضعتم لنجاتكم فوضــعتم   ما آدكــم من فادح الأوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذي   حملتــكم شوقاً إلى الــمختار
أدّوا الســلام سلمتم وبرده   أرجو الإجارة من ورود النار
ثم اشفعوا لي فالشفاعة عنده   فيــها أبوأُ رتــبة الأبرار (١)

وابن الأبار الذي أضاع سني عمره ، في خدمة السلاطين ، يعترف في أخريات حياته ، بأنه قد حرم الرشاد ، حيث توجه بعمله في دنياه لهم ، وشغل عن التوجه إلى الله :

حرمت الرشاد لأني سفاها   خدمــت الملوك وهم أعبدُ
وفي رغباتي لهم جئــت إداً   فهلا رغــبت لمن أعــبد (٢)

ويندم على التفريط في ذلك ، والتزود للحياة الدنيا ، وقلة التزود للآخرة ، ثم يحث نفسه على التجرد من الدنيا ، لأنه خرج إليها مجرداً :

قصاراك جهلاً في حياة قصيرةٍ   أمانٍ طــوالٍ بــئس ما تتزود
تجود بمحياك الليالي على الردى   وأنت على دنياك بالدين أجود

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ (هم أعبدُ :- أي لهم عبيد لله) .

(٢) السابق ص ١٧٨

لقد أبرقت فيها المنايا وأرعدت   وما لك عن طول الذهول مطرد
تجرد من الدنيا فإنك إنّما   خرجت إلى الدنيا و أنت مجرد (١)

والدعوة إلى التجرد من الدنيا ، تعني بذل الجهد في العمل للدار الآخرة ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، والموفق من عمل في الدنيا بالبر والتقوى لينال رضا الله ، عز وجل في الحياة الباقية :

دنياك للأخرى سبيلٌ سابل   فاعمل لها إن الموفق عامل
واحرص على نيل السعادة جاهداً   بالبر والتقوى فنعم النائل
وأعدّ زاداً للرحيل فإنما   أيام عمرك لو عقلت مراحل
إياك والأمل الكذوب فربما   أودى بمطرور الغرور الآمل

ومنها :

يا فوز من هو في العبادة جاهد   و خسار من هو للزهادة جاهل
تلهيه عن عدنٍ و عن أنهارها   بعد الأَشُدِ خمائلٌ وجداول
ويشوقه كهلاً إلى عهد الصبا   برقٌ لموع أو حَمام هادل

ومنها :

يا حاذق القرآن يرجو أجره   وهو الشفيع لصحبه و الماحل
قد قابلتك من النجاح بشائرٌ   وبدت عليك من الصلاح دلائل
أنت الجليل من الجزاء نصيبه   ونوافل الذكر الحكيم جلائل
ثوب الثواب عليك ضاف سابغٌ   وجنى الجنان لديك نامٍ كامل
فأهنأ به فهو الرشاء الواصل   واركن له فهو العتاد الحاصل(٢)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١٧٩

(٢) السابق ص ٢٥٢

وحب الدنيا مجبولة عليه القلوب ، مما يغفل المسلم عن حقيقة مهمة ، وهي أنه قد تــرك فيها برهة من الزمان ، يرتع إلى حين ، والمفترض أن يتقي الله ، ويدعوه في تحسين العاقبة ، لا أن يشغل عن الموت ، فيحيا بلا دين :

نموت على الدنيا فنحيا بلا دين　　هوىً لـهوانٍ قادنـا ولتوهين
وهل هي إلا للمساكين ويحنا　　مسـاكين فيها يرتعون إلى حين
فما بالـنا لا نتقي الله ربـنا　　وندعوه في تحسين عقبى وتحصين (١)

وفي قصيدة أخرى يؤكد ابن الأبار حقيقة الانشغال عن الموت ، والعمل لما بعده ، ويتوجه بالنصح ، وكأنه يحث نفسه على العمل ، وتقديم الجميل ، فالحياة بلاغ يتبلغ به المسـلم إلى الدار الآخرة ، ويسعى فيها لكسب الحسنات :

بأنفسـنا للموت شغل وقبضها　　ففـيم انبسـاط خادعٌ وفراغ
أمـا للمنايـا والأمانـي ضلة　　مغـار مـبيد لـيس منه مراغ
يصاغ بنـو الدنيا لتجريع حرها　　فـيا عجبا للعذب كيف يساغ
تـبلغ بقوت اليوم فالعمر خلةٌ　　وقـدّم جـميلا فالحـياة بـلاغ
ولا تتـبع في الغي آثار معشرٍ　　ذوي الشر كم لاح الرشاد فراغوا
يزيغون جهلاً لا يريعون للحجى　　وإن سـددوا نحو الطريقة زاغوا
وفي الباقيات الصالحات لو اقتنوا　　مـتاعٌ فـما للفانيات تراغ (٢)

والمسلم التائب الزاهد ، محبٌ لأمثاله من الزهاد العابدين التائبين ، الذين تتجافى جنوبهم

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٣٢٧

(٢) السابق ص ٣٧١

عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ويصف ابن الأبار حال هؤلاء ، وكأنه يمني نفسه بأن يكون منهم :

تجافت عن مضاجعها جنوب ... تدافع بالإنابة ما ينوب
وهبَّتْ أعينٌ في الله تبكي ... خطاياها وقد عدم الهبوب
يغازلها الكرى فتصد عنه ... كما صدت عن الفرج الكروب
مواصلة إنهلالٍ بإنهمالٍ ... كما حيتك مدرارٌ سكوب
ألا إن السراة أناس نسكٍ ... لهم أبدا على الحسنى دؤوب
محبتكم إلى الرحمن زلفى ... وحبُّ سواكمُ إثمٌ وحوب
ولولا أنهم فينا جبالٌ ... هفت بالأرض والناس الذنوب
عليهم من شحوبهم سماتٌ ... كذا سيما المحبين الشحوب
يخافون البيات و ما أخافوا ... فقد جعلت جوانحهم تذوب
هم انتدبوا إلى الأوراد ليلاً ... فملءُ قلوبهم منها ندوب
وقد طهرت خلائقهم صفاءً ... فلم تعلق بعرضهم العيوب
كأنهمُ بما يلقى إليهم ... تكاشفهم بخافيها الغيوب (١)

وهكذا فالمتأمل لديوان ابن الأبار ، لا يجد في شعره الذي يمكن أن تستوحى منه عقيدته ومذهبه ، إلا عقيدة المسلم الموحد السني ، الملتزم المتدين ، المتوكل على ربه ، الواثق به ، ولا يجد في شعره أي صدىً لما اتهم به من تشيع ، بل هو شعر المحب لدينه ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكثر هذا الشعر قاله في أخريات حياته ، مما يؤكد نهجه الزهدي ، وتوجهه الصادق إلى التنسك والعبادة ، لنيلْ رضا الله جل وعلا .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٤٣٧

الباب الثاني

في

مكونات المتن الشعري عند ابن الأبار

الفصل الأول : في البنية الهيكلية

الفصل الثاني : في البنية الإيقاعية

الفصل الثالث : في الصـــــورة

الفصل الرابع : في التـــــناص

الفصل الأول

في البنية الهيكلية

****

في البنية الهيكلية

-١-

الهيكل هو الأسلوب الذي يختاره الشاعر لعرض الموضوع ، وهو أهم عناصر القصيدة ، إذ هو العمود الذي ترتكز إليه العناصر الأخرى .(١)

ولقد اتخذت القصيدة العربية ، منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر ، أنماطاً مختلفة في بنائها الهيكلي (٢) ، وذلك تبعاً لاختلاف البيئة الاجتماعية والثقافية . (٣)

---

(١) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ص ٢٣٤ .

(٢) راجع التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ص ٢٢ وما بعدها .

(٣)يرى بعض الدارسين أن الشعر العربي بدأ في صورة مقطوعات قصيرة أو أبيات قليلة العدد ، يرتجلها الشاعر في مناسبات طارئة ، ليعبر بها عن انطباعات سريعة مؤقتة ، ثم أخذ الشعراء يطيلون في مقطوعاتهم ويزيدون من عدد أبياتها ، ... ، حتى تكاملت لهم القصيدة العربية الطويلة في صورتها المعروفة ، على يد المهلهل في أيام حرب البسوس ، الذي زعموا أنه لقب بالمهلهل لأنه أول من هلهل الشعر ، أي أطاله وأرقه .راجع : دراسات في الشعر الجاهلي ــ يوسف خليف ص٤١ ، و انظر : الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة ص ١٣٤ ، وخزانة الأدب ــ البغدادي ج/١ ص ٣٠٠ ، طبقات فحول الشعراء ــ ابن سلام ــ السفر الأول ص٤٠ ، الأغاني ج/٤ ص١٤١ .

يقول ابن سلام : " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة ، وإنما قصدت القصائد ، وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف " (١)

ويقول ابن قتيبة : " لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة " (٢)

ثم استقرت القصيدة العربية بتقاليدها الفنية المعروفة التي ظلت مسيطرة عليها فترة من تاريخها ، فأصبحت تبدأ بمقدمة تدور حول الأطلال وصاحبة الأطلال ، يقف فيها الشاعر في ديار صاحبته التي أقفرت بعد رحيلها عنها ، فيصف وحشها وإقفارها وأسراب الوحش السارحة فيها بعد أن كانت آهلة بأصحابها ، زاخرة بالحياة النابضة ، ويذكر أيامه الماضية فيها ، ويستعيد ذكريات حبه الضائعة فوق رمالها ، ويصف صاحبة هذه الأطلال وجمالها ، ثم ينتقل من هذه المقدمة إلى وصف رحلته في الصحراء التي يخرج إليها ليسري عن نفسه أحزانها ، وينفض عنها همومها ،ويستغل في هذا الانتقال ناقته التي يتخذ من الحديث عنها جسراً تقليديا يعبر عليه شاطئ الصحراء ، ثم ينطلق بكل نشاطه وحيويته فوق رمال الصحراء الفسيحة الممتدة إلى مالا نهاية ، فيصف مظاهرها الطبيعية وحيوانها الشارد في آفاقها البعيدة ، ويقف عند مناظر الصيد فيصفها في معرض تشبيهه لناقته بحيوان الصحراء الوحشي الذي كان الصيادون يخرجون عادة في طلبه ، كالحمر الوحشية والبقر الوحشي ، حتى إذا ما استوفى الشاعر حقوق الصحراء عليه خرج إلى موضوع قصيدته الأساسي ،

---

(١) طبقات فحول الشعراء ــ السفر الأول ص ٢٦

(٢) الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة ص ٣٥

فتحدث عنه ، وبه تنتهي القصيدة التي تختم ببعض الحكم التي يسجل فيها آراءه في الحيـــاة ، ويركز من خلالها تجاربه التي مر بها في رحلة السنين الطويلة التي عبرها (١)

ومن هنا امتازت القصيدة العربية بتعدد الأغراض والموضوعات ، وهذا ما جعلها تتـــهم بخلوها من الوحدة العضوية .(٢)

ويرى بعض النقاد أن الشاعر العربي القديم كان يعني بوحدة البيت دون أن يعني بوحـــدة القصيدة (٣) " حتى أصبحت مقدرة الشاعر تقاس ببيتٍ واحدٍ يصوغه في قصيدته ، وكـــانوا يسمونه بيت القصيدة ، فهو غايتهم وغاية النقاد من حولهم " (٤)

وكان النقاد القدامى يعدون (التضمين) عيباً مستقبحاً من عيوب الشعر ، وهو أن " لا تكون القافية مستغنية عن البيت الذي يليها ، نحو قول الشاعر :

وهـــم وردوا الجـــفار على تـــمـــيمٍ وهـــم أصحاب يـــوم عكاظ إنـــي :
شـــهدت لهـــم مواطـــن صالحـــاتٍ تنبيـــهم بـــورد الصـــدر مـــني (٥)

---

(١) راجع : دراسات في الشعر الجاهلي ص ٨٢، ٨٣
(٢) انظر : النقد الأدبي الحديث ــ محمد غنيمي هلال ص ٤٠٢، ٤٠٣
: الأدب وفنونه ــ محمد مندور ص٥٩
(٣) انظر : تاريخ الأدب العربي ــ بروكلمان ج/١ ص/ ٥٧
النقد المنهجي عند العرب ص٤٩
(٤) في النقد الأدبي ــ شوقي ضيف ص١٥٥
(٥) العقد الفريد ٦/٣١٤، ٣١٥ ، ويلاحظ أن التضمين هنا يطلق ويقصد به خلاف مــــا يقصد به البلاغيون أبياتاً أو بيتاً أو جزءًا من بيت . راجع فصل التناص .

وثـــمة من يرى أن تعدد الموضوعات والأغراض في القـــصيدة لا يحـــول دون الوحـــدة الفنية ، وأن الشاعر يســـتطيع أن يحقق لقصيدته تلك الوحدة من خلال ترتيب الموضوعـات ترتيباً يقوم على النمو المطرد ، بحيث ينشأ أحدهما من سابقه نشوءًا عضوياً مقنعاً ، ويقود إلى لاحقه بنفس الطريقة ، وبحيث تتكامل أجزاء القصيـــدة في توضيـــح عاطفتـــها المســـيطرة واتـــجاهها المركزي . (١)

وذهب آخرون إلى أن القصيدة العربية مع تعدد أغراضها ، تتحقق فيها وحـــدة نفســـية تجعلها كلاً منسجماً متماسكا.(٢)

وكيفما كان الحال فإن " هناك إجماع أو شبه إجماع بين مؤرخي الأدب على أن الشعر ظل في صدر الإسلام والعهد الأموي صورة من الشعر الجاهلي حتى إذا جاء العباسي انحرف عـن أصوله الجاهلية قليلاً عند بـــشار وأبي نواس ثم اشتد به الانحراف في شعر مسلم بن الوليـــد وبلغ الذروة على يد أبي تمام " (٣)

— ٢ —

ولقد ســـار الشعر في الأندلس على نسق الشعر المشرقي في عصور الأندلس الأولى ، غـير أن طبيعة الأندلس وامتزاج الثقافات المختلفة فيها أخذت تؤثر شيئاً فشـــيئاً في خصـــائص

---

(١) راجع : الشعر الجاهلي ، د. محمد النويهي ج/٢ ص ٤٣٥، ٤٣٦

(٢) انظر : وحدة القصيدة في الشعر العربي ، د. حياة جاسم محمد ص ٢٩٩ وما بعدها

(٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور ، محمد عبد العزيز الكفراوي ص ١ وما بعدها

الشعر الأندلسي وسماته ، سواءً من حيث الشكل أو المضمون (١) ، وقد توسع الأندلسيون في بعض أغراض الشعر ،كوصف الطبيعة ، وشعر الاستنجاد والاستغاثة ، ورثاء المدن والممالك ، واستحدثوا ضروباً أخرى من الشعر كفني الموشحات ، والزجل .(٢)

_٣_

وإذا رجعنا لابن الأبار ـــ موضوع دراستنا ـــ نجد أنه عاش في القرن السابع الهجري ، أي أنه قد سُبق بكثيرٍ من مدارس الشعر في المشرق والأندلس ، وسبقه كثيرٌ من أعلام الشعراء في العصور المختلفة ، ومن المؤكد ـــ بطبيعة الحال ـــ أن يكون ابن الأبار قد قرأ لكثيرٍ منهم ، وحفظ كثيراً من قصائدهم وأشعارهم ، واستطاع أن يهضم منهج القصيدة العربية ، وصار لديه قاعدة عريضة يبني عليها قصائده على غرار السابقين له ، وهنا تبرز عدة تساؤلات منها : هل استحدث ابن الأبار طريقة جديدة في بناء قصيدته الهيكلي ؟ أم كان تابعاً فيها لمعاصريه وسابقيه ؟ وما هي الأغراض التي كتب فيها ؟ وهل نظم فيما استحدثه الأندلسيون من فنون شعرية كالزجل والموشحات ؟

من خلال استقراء ديوان ابن الأبار ، و ما حفظ من شعره في كتب التراث ، لا نجد له أي محاولة في كتابة الموشحات أو الزجل ، وهذا يعني أن كلّ شعره جاء على هيكل القصيدة العربية العمودية المعروف .

---

(١) انظر : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د . أحمد هيكل ص ١٠٢

(٢) راجع : كتاب (في الأدب الأندلسي) جودت الركابي ص ١٢٦ وما بعدها

ومن حيث الأغراض نجد أن ابن الأبار قد كتب في الأغراض التقليدية مثل المديح والرثاء والغزل والزهد والفخر ، كما هي عادة الشعراء القدماء ، غير أنه توسع في أغراض الشعر التي توسع فيها الأندلسيون ، وهي وصف الطبيعة ، وشعر الاستنجاد والاستغاثة ، ورثاء المدن والممالك .

وعليه فإننا سندرس البنية الهيكلية في شعره من خلال :

أولاً : الأغراض التقليدية .

ثانياً : الأغراض التي توسع فيها الأندلسيون .

....

أولاً : البنية الهيكلية في الأغراض التقليدية :

أ ـ البنية الهيكلية في قصيدة المديح :

أشرنا في فصل سابق إلى أن أكثر شعر ابن الأبار كان في غرض المديح ، إذ تمثل نسبة شعر المديح من حيث عدد الأبيات ٦٥٪ من مجموعها ، وبخاصة مدائح السلطان أبي زكريا وابنيه أبي يحيى ومحمد المستنصر .

وقصائد المديح في شعر ابن الأبار يمكن تقسيمها من حيث البنية الهيكلية إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ قصائد تستفتح بمقدمات غزلية .

٢ ـ = = بالشكوى أو الشكر .

٣ ـ = يدخل فيها إلى غرض المدح مباشرة .

و سنعرض في الصفحات التالية نماذج لهذه الأنواع لنتبين من خلالها ، البنية الهيكلية لكل نوع منها ، ومدى قربه وبعده عن بناء القصيدة الهيكلي القديم .

١ ـ قصائد تستفتح بمقدمات غزلية :

في الديوان ثلاث و عشرون قصيدة مدح افتتحها ابن الأبار بمقدمات غزلية ، متباينة في الطول والقصر ، ويخلص من المقدمة إلى غرض المدح ، ومن نماذج ذلك ، قوله يمدح أبا زكريا :

نأت ومزارها ضدد فهل لك بالمعاد يد
مهاة من بني أسد فريسة لحظها الأسد
تفوت العد قتلاها ولا دية ولا قود

....

أتاها أنني وصب كما شاء الهوى كمد
إذا ما النوم نعمها يعذبني بها السهد
فما عبأت بما ألقى ولا رقت لما أجد

....

هواها جل في خلدي فيا ما أودع الخلد
وصبري بان مذ بانت فأنى الصبر والجلد
وكنت أصيح واكبدي وكيف وليس لي كبد
وقالوا : قلبها حجر فقلت : وثغرها برد
ومن عجب قساوتها وملء أديمها الغيد (١)

---

(١) الديوان ص ١٤٣

ثم ينتقل إلى غرض المدح :

سأعتـمد الأمـير وهـل — سـوى رحـماه معتمدُ
وأقصد فيه إسراف المدائـ — ـح لسـتُ أقتصـد
على عـذرٍ بـما أولـى — متى خصمتـني الرفـد
مصيبٌ كلُّ من هو في الثنـ — ـاء عليـه مجتهـدُ

ثم ينتقل من غرض المدح إلى غرض الوصف ، فيصف حديقة كبيرة من حدائق السلطان ، وهي البستان المسمى (أبو فهر) ، وكان أبو زكريا يستدعي ابن الأبار ضمن شعراء آخرين لينظموا قصائد في وصف هذا البستان (١) :

ويومٍ فـي (أبـي فـهرٍ) — يـؤرخ فخـره الأبـدُ
تَغـذى الروحَ والريـحا — نَ منـه الروحُ والجسدُ
أفانـينٌ مـن النعمـى — إذا مـا أُصـدرت ترد
وجـنـاتٍ مزخرفـةٍ — يشـوق حمامها الغردُ
ربيـعٌ قيـظها الـحامي — فـلا صـخدٌ و لا ومـدُ
ورغـدٌ عيـشها الراضي — فـلا كبـد ولا نكـدُ

ثم يعود ثانيةً إلى مدح السلطان مشبهاً أخلاقه بأريج تلك الحديقة :

فـخلتُ خـلال مـولانا — علـى أرجـائها تـفدُ
بدولـته حـلا طـعم الـ — ـحياة فشربـها شـهدُ
ولولا كونـها ظهـر الـ — فسـاد وعـاد يطـرد

---

(١) انظر : الديوان هاش ص ١٤٦

ولانقرض القريض وآضت الآداب تضطهد
وأصبح دائراً مغناه لا سببٌ ولا وتد

ثم ختم قصيدته بالدعاء للسلطان وبنيه ودولته بالخلود والبقاء :

فلا زالت منفقةً بنيه كلما كسدوا
فما نهضت بهم نهضوا وما خلدت لهم خلدوا (١)

وملحوظٌ في القصيدة تعدد الأغراض ، والانتقال من الغزل إلى المديح ثم إلى وصف الحديقة ، ثم العودة إلى المديح ثانية ، وختمها بالدعاء ، وذلك على عادة القدماء في تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة .

٢ـ قصائد تستفتح بالشكوى أو الشكر :

وفي بعض المدحيات يدخل ابن الأبار إلى غرض المدح من خلال الشكوى أو الشكر ، وهذا يكثر في قصائده التي أنشأها في فترة جفاء السلطان له ، وعفوه عنه ، ويظهر فيها المزج بين المدح والاعتذار والشكوى والشكر ، فمن ذلك قوله :

رقّ مولانا لعبدٍ زمِنٍ دنف الجسم لشكوٍ مدمنٍ
لم يكن يبعد عهداً بالصبى وهو في ضعف الكبير اليفنِ
قد ونى خطواً كما شاء الضنى وله نهضة شكرٍ لا تني
فشفى شكواه من عسرته وضناه بالسماح الـهتن
ورأى إبقاءه في خدمته وهو أهلٌ لجسيم المنن

---

(١) الديوان ص ١٤٦ ، ١٤٧

لم يزل عطف الأمير المرتضى ونـــداه أبداً ينعشنـــي

إلى أن يقول :-

دام للـــدين والدنـــيا حمىً خالـــد الملك خلود الزمن (١)

ومن ذلك قوله مستهلاً قصيدة مدح للسلطان أبي زكريا :

أسرف الدهر فهلا قصدا ما عليه لو شفى برح الصدى

ومنها :-

حسبي الله لشتى نوبٍ ليس يحصيها حسابٌ أبدا

قد خلعت الصبر في أثنائها فرط جهدٍ ولبست الكمدا

هذه مـــما أعاني كبدي تتلظى وتشظـــى كـــبدا

أنا جار البحر إلا أن لي منه في حال الورود الثمدا

وعلى ذلك يا نفسي فلا تيأسي إن مع اليوم غـــدا

للإمام المرتضى مما مضى خلفٌ يوليك عيشاً رغدا (٢)

٣ـ قصائد يدخل فيها إلى غرض المدح مباشرةً :

وأحيانا يدخل ابن الأبار إلى غرض المدح مباشرة ، يقول من قصيدة في مدح أبي زكريـــا المرتضى :

نور الهداية ما أضـــاء ولاحـــا فقف السفين وبشر الملاحـــا

وسنى الإمارة ما تطلع في الدجى من قبل إسفار الصباح صباحا (٣)

---

(١) الديوان ص ٢٩٥ ، ٢٩٦

(٢) السابق ص ١٥٩ ، ١٦٠

(٣) السابق ص ١١٣

ومن خلال ما تقدم من نماذج يلاحظ أن البنية الهيكلية لقصيدة المديح عند ابن الأبار تلتزم شكل قصيدة المدح القديمة من حيث المطلع والخلوص إلى الغرض (المدح) وتعدد الأغـواض في القصيدة ، والخاتمة ، كما تمتاز مدائحه بطولها إذ تزيد بعضها على المائتي بيت .

ب ــ البنية الهيكلية في قصيدة الغزل :

قصائد الغزل الخالص (١) في ديوان ابن الأبار ، قليلة جداً ، قالها في فترة الصبا ، وهـي مقطوعات قصيرة بعضها لا يتجاوز ثلاثة أبيات ، وأكثر غزله مقدمات لقصائد مدح ، وهي تتراوح بين الطول والقصر ، وغزله عموماً من حيث البناء الهيكلي تقليدي ، يسير فيه علـى نهج القصيدة العربية القديمة ، يقول:

لا تطلبوا بدمي سوى أدماء في السر من تيمٍ ومن تيماءِ
رمت الفؤاد فأقصدته سهامها لم تحن رامية على أحناءِ (٢)

يقول :

أنت يا شغل خاطري نصب عيني حيثما شئت أن أراكِ أراكِ
وإذا نـمت عن يمينك سهواً أيقظتني ورقاء فوق أراكِ (٣)

ج ــ البنية الهيكلية في قصيدة الرثاء :

الواقع أن قصائد الرثاء في ديوان ابن الأبار معدودة ، منها ثلاث قصائد في رثاء السـلطان أبي زكريا ، وقصـيدة في رثاء شيخه أبي الربيع ابن سالم ، ومقطوعة في رثـاء شخصٍ اسمه

---

(١) نعني بالغزل الخالص أي أن غرض القصيدة كله في الغزل

(٢) الديوان ص ٩٥ (٣) الديوان ص ٢٢٠

محمد ، وقصيدة في رثاء والدة الخطيب أبي عبد الله ابن قاسم .

ويمتزج رثاؤه بالتعزية أو التهنئة ، كما في قصيدته التي رثا بها أبا زكريا ، وهنأ ابنه المستنصر بالإمارة ، وتمتاز قصائد الرثاء عند ابن الأبار بطولها ، وهو يسير في رثائه من حيث البناء الهيكلي على نهج القصيدة التقليدية القديمة .

د ـ البنية الهيكلية في قصيدة الزهد :

لابن الأبار في ديوانه بعض القصائد والمقطوعات ، قالها في غرض الزهد والحكم وبعض النبويات ، و هي قياساً بما قاله في غرض المدح قليلة جداً ، من حيث عددها وعدد أبياتها ، ومن ذلك قوله :

قصاراك جهلاً في حياةٍ قصيرة   أمانٍ طوالٍ بئس ما تتزود
تجود بمحياك الليالي على الردى   وأنت على دنياك بالدين أجود
لقد أبرقت فيها الأماني و أرعدت   و مالك عن طول الذهول مطرد
تجرد من الدنيا فإنك إنما   خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد(١)

ومن ذلك قصيدة ، يستهلها بقوله :

دنياك للأخرى سبيلٌ سابل   فاعمل لها ، إن الموفق عامل (٢)

وهي مليئة بالتوجيه والإرشاد والنصح والدعوة للتوجه إلى الله ، والزهد في الدنيا .

---

(١) الديوان ص ١٧٩

(٢) السابق ٢٥٢

ومثلها قصيدته التي يفتتحها بقوله :

نادى المشيب إلى الحسنى به و دعا   فثاب يشعب بالإقلاع ما صدعا (١)

وفيها يمتزج الوعظ بالتمني ، والنصح بالتحسر على ضياع العمر في مطاردة الدنيا ، والبعد عن الله

ومن ذلك أبيات في نعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، مطلعها :

سجامٌ لعمري أدمعٌ وسجال   لئن عزّ من نعل الرسول مثال

ومنها :

مرادي من تمريغ شيبي عليه أن   تسح من الرحمى عليّ سجال
ومن وضعه في حر وجهي و رفعه   لقمة رأسي أن يعزّ مآل
فأحظى بحظي من جوار محمدٍ   وهل بعد تنويل الجوار نوال(٢)

و تمتاز زهدياته ونبوياته من حيث البناء الهيكلي بالقصر ، كما يغلب عليها وحدة الموضوع .

هـ ـ البنية الهيكلية في قصيدة الفخر :

ليس لابن الأبار قصائد خالصة في الفخر ، غير أننا نلمح الفخر في بعض قصائده المدحية ، حيث يفخر بعروبته وانتمائه إلى قضاعة . ويفخر بعروبة السلطان المرتضى

---

(١) الديوان ص ٣٦٢   (٢) السابق ص ٤٥٦

كما يفخر بشعره ، ويعتد بنفسه في كثير من مدحياته ، يقول من قصيدة في مدح أبي زكريا :

فخرت بقرب العز من حضرة العلى   ولولا مكان القرب عزني الفخر
فإن عدّ بـــيتي في قضـــاعة أولاً   فمن عدّ مولاها هو الماجد الحرّ (١)

و يقول مفتخراً بشعره :

فها أنا منه في حـــباءٍ منثرٍ   و هـــاهو مني في ثناءٍ منظمٍ (٢)

و مثل ذلك قوله :

دعني أعيد فـــيه وأبدي جاهداً   فلعل فـــكري حين يبدئ يبدع
إن سال طبعي في ذراهم سلسلا   فالعذب في الأرض الكريمة ينبع (٣)

ومثل ذلك قوله :

قرت الحـــال بكم في نعمٍ   أنطقتني بالقوافي الشردِ (٤)

ويقول في وصف شجاعته :

وإنـــي لمقدامٌ إذا الحرب سعرت   لظاها ومجزاع من البين إذ ينوى (٥)

وهو في فخره كذلك يسير على نهج الشعراء السابقين .

---

(١) الديوان ص ٢١٦
(٢) السابق ص ٢٨٨
(٣) السابق ص ٣٥٥
(٤) السابق ص ٣٥١
(٥) السابق ص ٤١٩

ثانياً : البنية الهيكلية في الأغراض التي توسع فيها الأندلسيون :

القارئ للشعر الأندلسي بعامة يلاحظ توسع الأندلسيين في ثلاثة أغراض ، هي (شعر الاستنجاد والاستغاثة ، ووصف الطبيعة ، ورثاء المدن والممالك) ، وهذه الأغراض عرفت في الشعر المشرقي ، إلا أن الأندلسيين أجادوا فيها و أكثروا .

أ ـ البنية الهيكلية في قصيدة الاستنجاد والاستغاثة :

لابن الأبار في ديوانه بعض القصائد في هذا الغرض ، وأشهرها قصيدته التي مطلعها :

أدركْ بخيلك خيل الله أندلسا   إنّ السبيل إلى منجاتها درسا (١)

وهي رائعة مشهورة استنفر فيها ابن الأبار قدراته وطاقاته الإبداعية ، وقد ألقاها بين يدي السلطان أبي زكريا لما حوصرت بلنسية .

وقريب منها قصيدته التي مطلعها :

نادتك أندلسٍ فلبِ نداءَ هـا   و اجعل طواغيت الصليب فداءَها (٢)

وفي كلتا القصيدتين يمتزج طلب النجدة مع وصف حال المدينة وحال أهلها ، مع الكفار الظالمين .

ومن حيث البنية الهيكلية فابن الأبار يدخل في الغرض مباشرة ، وبدون مقدمات ، إلا أن تعدد الأغراض يلمح فيهما ، وفي غيرهما من قصائد الاستنجاد ، إذ يمتزج المدح مع وصف حال المدينة ، وهجاء الكفار وتحديهم .

---

(١) الديوان ص ٣٩٥

(٢) السابق ص ٣٣

ب ـ البنية الهيكلية في قصيدة وصف الطبيعة :

برع الأندلسيون في وصف الطبيعة ، واتسع هذا الغرض لديهم مقارنة بالمشارقة ، وذلك لما تمليه الطبيعة الأندلسية الرائعة على الشعراء .

ولقد وصف ابن الأبار في بعض المقطوعات السوسن والياسمين والورد الأبيض ، كما وصف بعض الرياض والحدائق (١) وغير ذلك ، كما يلمح في كثير من قصائده في شتى الأغراض وصف الطبيعة ، إلا أنه مقارنة بغيره من شعراء الأندلس مقلٌ في وصف الطبيعة ، ولعل السبب وراء ذلك أن الطبيعة لم تكن الشغل الشاغل لابن الأبار كما كانت لدى ابن خفاجة مثلاً ، وعمله في الدولة كان يفرض عليه اتجاهاً معيناً في أغراض الشعر برز في كثرة مدحياته ، ورصد أحداث الدولة الموحدية في عهد أبي زكريا المرتضى ، وأوائل عهد ابنه المستنصر .

ج ـ البنية الهيكلية في قصيدة رثاء المدن والممالك :

لقد فجع ابن الأبار بسقوط كثير من مدن الأندلس في أيدي المسيحيين الأسبان ، غير أن الفاجعة الكبرى له والتي برزت واضحة في شعره ، سقوط بلنسية مسقط رأسه ومرتع صباه وشبابه ، ولقد بكاها ابن الأبار كثيراً في شعره ، وندب ذكرياته بها ، وتشوق إليها ، وتألم من الغربة ، وترك فقده لها جرحاً لا يندمل ، يلمح أثره في كثير من قصائده :

ملكت جوارحَه عليه جراحُه   فشفاؤه لا يرتجى وسراحه (٢)

---

(١) انظر: الديوان قصيدة رقم ٦٤ ، ١٧٥

(٢) الديوان ص ١٣١

ولا يوجد في ديوان ابن الأبار قصيدة خالصة في رثاء المدن ، إذ يمتزج رثـــاء المـــدن في شعره بغرض الاستنجاد أو الغزل أو المديح .

وعموماً فإن قصائد ابن الأبار من حيث البنية الهيكلية ،تتخذ الشكل التقليدي للقصيـــدة العربية ذات الروي الواحد ، و تسير على النهج القديم في كثير من الأحيان ، حيـــث يقـــدم للمدح بمقـــدمات غزلية على سنن أسلافه من الشعراء ، ثم ينتقل إلى الغرض الرئيس وهـــو المدح ، وأحياناً يدخل إلى غرض المدح مباشرة .

كما أن تعدد الموضوعات والأغراض وامتزاج بعضها ببعض ظاهر في جـــل قصـــائده ، وتمتاز كثير من قصائده بحسن الاستهلال أو حسن المطلع ، وتختم ببيت الخلاصة .

ولقد استفاد ابن الأبار من مطالعاته لقصائد السابقين ، إذ نجده أحيانـــا يبـــني إبداعـــه الشعري على هياكل شعرية جاهزة عند معارضته لقصيدة ما (١) .

....

(١) راجع فصل التناص

الفصل الثاني

في البنية الإيقاعية

****

في البنية الإيقاعية

_١_

لعل أهم ما يميز الشعر عن النثر هو كون الأول موزوناً ومقفىً ، والوزن يعني إحداث موسيقى وإيقاع ، وبطبيعة الحال فالإيقاع في الشعر ، ليس زينةً عارضة ، أو حليةً ثانوية ، وإنما هو _ بالإضافة إلى أنه يسهل حفظ الشعر _ عنصرٌ مهمٌ وضروريٌ في إقامة البناء الشعري.

والقصيدةُ الشعرية عملٌ فنيٌ لا ينفصل فيها الشكل عن المضمون ، ولذا فالوزن ليس مجرد قالبٍ خارجي يصب فيه الشاعر تجربته ، ويفرضه على تلك التجربة فرضاً ، بل هو جزءٌ لا يتجزأ من العمل الفني ، يمنح القصيدة قدرة على الإيحاء والتصوير ، وإذا فقدت القصيدة الوزن ، واختلت فيها الموسيقى ، ظهر نشازها ، و فقدت أثرها الموحي والمثير والمدهش (١).

ويرى الدارسون المحدثون أن النصّ بنيةٍ تتكون من عناصر متعددة ، ومترابطة ، ومتداخلة تؤلف بينها علاقات ، ولكل عنصرٍ خصوصية أو خصوصيات متميزة عن غيره ، ولذلك وضعوا " أركاناً ثلاثة يجب أن تتحقق في الكلام ليسمى شعراً :

أولها : أن معانيه تصب في صور خيالية تثير خيال القارئ أو السامع .

ثانيها : أن تتوافر في ألفاظه صفة التجانس بين اللفظ والمعنى ، وذلك بأن يكون اللفظ رقيقاً في موضع الرقة ، قوياً عنيفاً في موضع القوة والعنف ، وأن تتوفر فيه صفة الجرس الموسيقي ، وألا يكون اللفظ مبتذلاً أو كثير الشيوع لا يرتاح إليه الذوق الشعري .

---

(١) انظر النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري ص ٣٨٥وما بعدها

ثالثها : الوزن الشعري وخضوع الكلام في ترتيب مقاطعه إلى نظامٍ خاص " (١)

إذن ، فالقصيدة بناءٌ تركيبيٌ يتألف من الحروف والألفاظ ، والصور ، وسبكها وصياغتها وتركيبها وعلاقاتها مجتمعة ، وإن شئت قل : هي بناء لغوي عروضي بكل مؤثراته وإيحاءاته ، وليست نقل معلومات ، ورصّ ألفاظٍ فارغة ، أو تعبيراً مباشراً ، وإنما هي نقـــل أحاســـيس ومشاعر من خلال الصور والموسيقى ، تثير المتلقي فيتأثر بها ، وهنا تكمن قيمة الشعر ورعتـه أو برودته ، وجودة الشاعر ومقدرته وموهبته وخياله .(٢)

والموسيقى عنصرٌ فعالٌ في النصّ الشعري ، وبها تكمل عناصر التجربة الشـــعرية ، مـــن خلال الإيقاع والنبر والتركيب والدلالات ، وينسحب هذا القول على اختيـــار الشـــاعر للبحر والقافية ، والألفاظ وما بينها من تواؤم وتلاؤم صوتي وموسيقي .

ولقد أشار بعض النقاد القدامى إلى هذا التلاحم بين الأوزان الشـــعرية وبـــين المعـــاني والمضامين .

يقول حازم القرطاجني : " ولما كانت أغراض الشعر شتى ، وكان منها ما يقصد به الجـد والرصانة ومنها ما يقصد به الهزل والرشاقة ومنها مايقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد بـــه الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكيٰ تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويحليها للنفوس فإذا قصد الشاعر الفخر حاكيٰ غرضـــه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد في موضع

(١) موسيقى الشعر ـــ إبراهيم أنيس ٢٢

(٢) انظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ص ٤٤ وما بعدها .

موسيقى الشعر بين الثبات والتطور ص ٢٥ وما بعدها .

قصداً هزلياً أو استخفافياً وقصد تحقير شيءٍ أو العبث به حاكىٰ ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء ، وكذلك في كل مقصد ، وكانت شعراء اليونان تلتزم لكل غرضٍ وزناً يليق به ولا تتعداه فيه إلى غيره "(١)

وثمةَ تلاحمٌ بين الإيقاع الصوتي والإيقاع النفسي أو المعنوي في التجربة الشعرية ، التي هي مزيجٌ من تدفق الشعور والأحاسيس ، ينقلها الشاعر كما أحسّ بها من خلال الرتم الموسيقي الذي تحدثه الألفاظ بحروفها وتركيبها ، فيشعر المتلقي بالنصّ ، وتحدث له الدهشة والإثارة والإعجاب ، من خلال إيحاءات النصّ بموسيقاه وصوره وتراكيبه ، وهذا هو الذي يجعل القارئ أو السامع ، يشعر بالحزن أو الصخب أو الهدوء ، أو غير ذلك من الأحاسيس عند قراءته أو سماعه لنصٍ ما .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الغربيين يربطون في بحثهم وزن الشعر ، بينه وبين نبض القلب الذي يقدره الأطباء في الإنسان السليم بعدد ٧٦ مرة في الدقيقة ، ويرون صلةً وثيقة بين نبض القلب وما يقوم به الجهاز الصوتي وقدرته على النطق بعدد من المقاطع ، ويقدرون أن الإنسان في الأحوال العادية يستطيع النطق بثلاثة من الأصوات المقطعية كلما نبض قلبه نبضة واحدة ، وعليه فإنه يمكن القول بأن النطق ببيتٍ من بحر الطويل الذي يشتمل على ٢٨ صوتا مقطعياً ، يتم خلال حوالي تسع نبضات من نبضات القلب ، ونبضات القلب تزداد مع الانفعالات النفسية ، وهذا يعني أن نبضات قلب الشاعر حالة الفرح تختلف عنها حالة الحزن واليأس ، فهي سريعة حين يتملكه السرور ، وبطيئة حين يستولي عليه الهم والجزع ،

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٦٦

وانظر : المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر ، د. ممدوح عبد الرحمن ص ٢٥ وما بعدها

وهذا يجعل نغمة الإنشاد عند السرور والفرح سريعة متلهفة ، وعند اليأس والحزن بطيئة حاسمة ، ولذا فالشاعر حالة الجزع والحزن يختار عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع ليصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه ، فإذا ما قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي ، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس وزيادة النبضات القلبية ، ومثل هذا الرثاء الذي قد ينظم ساعة الهلع لا يكون عادة إلا في صورة مقطوعة قصيرة لا تكاد تزيد عدد أبياتها عن عشرة ، أما تلك المراثي الطويلة فأغلب الظن أنها نظمت بعد أن هدأت ثورة الفزع ، واستكانت النفوس باليأس والهمِّ المستمر .(١)

بل إن بعض الدارسين المحدثين يرى أن للألفاظ والحروف دوراً ، من حيث أن لها دلالات نفسية معينة ، تثيرها طبيعتها ، وأن كثرة شيوع بعض الحروف أو قلتها يعزى إلى طبيعة تلك الحروف ، فحروف اللام والميم والنون والراء والباء ، مثلاً تصلح أن تكون قوافي ، وقد استعملت كثيراً في أشعار العرب ، وذلك لأنها من أكثر الأصوات وضوحاً وأقربها إلى طبيعة الحركات ، "ولذا يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات لين ، ومن الممكن أن تعد حلقةً وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين ، ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل ، وفيها أيضاً من صفات أصوات اللين أنها لا يكاد يسمع لها أي نوعٍ من الحفيف ، وأنها أكثر وضوحاً في السمع ".(٢)

ومثل ذلك ما يراه د. شكري عياد ، من أن حرف الألف صوت لا لون له ، ولذا قل الاعتماد عليه في القافية ، وإن كثر وروده في الحشو .(٣)

---

(١) انظر : موسيقى الشعر ص ١٧٥ وما بعدها .

(٢) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٢٨

(٣) موسيقى الشعر العربي ، د. شكري عياد ص ١٢٧

ومنهم من يقرر أن للحركات الثلاث إيحاءً ودلالة ، فالكسرة توحي بالانكسار ، والضمة تعبر عن الفخامة ، والفتحة تعطى معنى الاستعلاء (١)

....

والموسيقى ـــ مع مالها من فائدة في تسهيل حفظ الشعر في ذاكرة المستمع أو القارئ ـــ تضفي على الشعر مع الأخيلة والصور ، روعةً وجمالاً ، لما فيها من جرس الألفاظ وتناغمها وتآلفها وانسجام توالي المقاطع وتردد بعضها وتكراره بعد قدر معينٍ منها ، فيسترعي الشاعر الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه.(٢)

وموسيقى الشعر على نوعين : خارجية ؛ وتنتج عن الوزن والقافية واتحاد الروي في الأبيات ، وداخلية ؛ وتنتج عن انتقاء الألفاظ وتركيب العبارات .

والسبيل إلى ذلك استخدام البديع ، بنوعيه المعنوي واللفظي وهو تفنن " في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغمٌ وموسيقى " (٣)، ولا يخفى ما للمحسنات مع الوزن والقافية من فضل في زيادة موسيقى الشعر ، ورفع درجة الاستمتاع به لدى المتلقي .

....

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ص ٣٣

(٢) راجع : موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ص ٤٤، ٤٥

(٣) السابق ص٤٤

_ ٢ _

ولقد عرف الشاعر العربي بحورَ الشعر بالفطرة ، وبما يملكه من أذنٍ موسيقيةٍ مرهفةٍ ، وصاغ قصائده في كثيرٍ منها ـ قبل أن يضع الخليل أوزانه الرياضية وتقسيمات بحور الشعر ـ ، وعني عنايةً فائقة بالقافية ، كما اهتم بانتقاء الألفاظ وتركيب العبارات .

وعنيَ النقاد القدماء ببناءِ القصيدة الإيقاعي ، وجعلوا له ضوابط في الوزن والقافية ، وعابوا من تجاوزها ، وتحدثوا عن كثيرٍ من عيوب الشعر التي تسيء إلى بنيته الإيقاعية ، كالإقواء والسناد والإكفاء وغير ذلك .(١)

ويرى بعض الدارسين المعاصرين (٢) ـ وفي ذلك كثيرٌ من الصحة ـ أن ثمة بحوراً شاع استعمالها بين شعراء العربية ، كالطويل والبسيط والكامل والوافر ، وبحوراً أخرى قلّ استعمالها بين الشعراء ، كالمنسرح والسريع والمتدارك والمديد والمجتث والرمل والمتقارب والخفيف والرجز .

_ ٣ _

وفي الأندلس سار الشعراء على نهج سلفهم ومعاصريهم في المشرق ، في جميع بحور الشعر ، بل واستحدثوا فنوناً أخرى كالموشحات والزجل ، ولا يخفى أن الموشحاتِ قائمةٌ على التنويع في الأوزان الشعرية ، والزجل يعتمد على استخدام اللغة الدارجة ، وبعض الألفاظ غير العربية أحيانا .

---

(١) انظر: الموشح للمرزباني ص ١٨ وما بعدها .

(٢) راجع : موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ص ١٨٩ وما بعدها .

ـ ٤ ـ

وإذا رجعنا إلى ابن الأبار ـــ موضوع دراستنا ـــ لدراسة البنية الإيقاعية في شعره ، فإنه ينبغي لنا أن ندرسها من خلال المحورين التاليين :

١ـــ الموسيقى الخارجية ، وتتمثل في : أ ـــ الوزن

ب ـــ القافية

٢ـــ الموسيقى الداخلية ، وتتمثل في انتقاء الألفاظ وتركيب العبارات.

....

أولاً : *الموسيقى الخارجية :*

أ ـــ الوزن :

اختيار الشاعر للبحر الذي يصوغ فيه قصيدته ، لا يتأتى من قبيل الصدفة (١)، كما أسلفنا ، ولكن مرجعه إلى أمرين :

الأول : هو مطالعات الشاعر لما سبقه من قصائد ، ومدى إعجابه بذلك .

الثاني : تلاؤم البحر مع الغرض ، من جهة ، ومع حالة الشاعر النفسية ، وما يريد رصده في إبداعه ، من جهة أخرى .

والقارئ لديوان ابن الأبار ، والناظر في مؤلفاته المختلفة ، واختياراته للأشعار فيها ، يشعر بأنه كان مطلعاً على علم العروض محيطاً بجوانبه وقضاياه .

---

(١) انظر : موسيقى الشعر ـــ إبراهيم أنيس ص ١٨٤ وما بعدها .

ونظرة إلى الجدول التالي تظهر نسبة استخدام ابن الأبار للبحور ، من حيث عدد القصـــائد ، وعدد الأبيات :

البحر	عدد القصائد	نسبتها	عدد الأبيات	نسبتها
الطويل	٦٦	٢٦ر٩%	١٦٨٧	٣٤ر٥%
البسيط	٢٧	١١ر٠%	٦٧٤	١٣ر٧%
مخلع البسيط	٠٨	٣ر٣%	٩٦	٢ر٠%
الكامل	٥٥	٢٢ر٥%	١٠٩٤	٢٢ر٣%
مجزوء الكامل	٠٣	١ر٢%	١١	٠ر٣%
الوافر	٣٥	١٤ر٣%	٥٨٩	١٢ر٠%
مجزوء الوافر	٠٣	١ر٢%	٧٣	١ر٥%
المنسرح	٠٤	١ر٦%	١١	٠ر٣%
الخفيف	٠٩	٣ر٧%	٥٣	١ر١%
الرمل	٠٨	٣ر٣%	٢٢٣	٤ر٦%
مجزوء الرمل	٠١	٠ر٤%	٠٢	٠ر٠٤%
السريع	٠٦	٢ر٥%	٢٥	٠ر٥%
المتدارك	٠٣	١ر٢%	٩٢	١ر٩%
المتقارب	٠٥	٢ر١%	٥٩	١ر٢%
الرجز	٠٣	١ر٢%	٧١	١ر٤%
مجزوء الرجز	٠٣	١ر٢%	١٣	٠ر٣%
المديد	٠٣	١ر٢%	١١٥	٢ر٤%
المجتث	٠٣	١ر٢%	٥	٠ر١%
المجموع	٢٤٥	ــــ	٤٨٩٣	ــــ

ويلاحظ في الجدول أن عدد القصائد التي صيغت في كلٍ من البحر الطويل والكامل والوافر والبسيط ، على التوالي ، تحقق أعلى نسبة في القصائد .

وتأتي بقية البحور بنسب مختلفة ، إلا أنها متقاربة ، أعلاها في الخفيف ، والرمل ، ومخلع البسيط ، وقصائده في كل بحر منها لا يتجاوز التسعة قصائد .

أما في مجزوء الكامل ، ومجزوء الرمل ،و مجزوء الوافر ، والمنسرح ، والمتدارك ، والمتقارب ، والسريع ، والمديد ، والرجز ، ومجزوئه ، والمجتث ، فتتراوح القصائد بين الواحدة والستة قصائد .

وكما يظهر من خلال الجدول ، فقد تحققت أعلى نسبة من حيث عدد الأبيات في بحر الطويل ، حيث بلغ عدد الأبيات فيه (١٦٦٧) بيتاً ، من (٤٨٣٣) بيتاً هي إجمالي أبيات القصائد المنسوبة لابن الأبار ، أي بنسبة ٥ر٣٤% ، ثم تلاه بحر الكامل حيث بلغت عدد أبياته (١٠٨٤) بيتاً ، أي بنسبة ٤ر٢٢% ، ثم بحر البسيط ، إذ بلغت الأبيات فيه (٦٦٤) بيتاً ، أي بنسبة ٧ر١٣% ، ثم الوافر الذي بلغت عدد الأبيات فيه (٥٧٩) بيتاً ، أي بنسبة ٤ر١٢% .

ثم تأتي الأبيات في بقية البحور بنسبٍ متفاوتة وقليلة ، أعلاها في الرمل والمديد .

وابن الأبار يسير على نهج القدماء من حيث الإكثار من استخدام بحر الطويل فالكامل فالبسيط (١).

---

(١) انظر موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ص ١٨٩ وما بعدها .

ويلاحظ أن ابن الأبار لم ينظم في بحري المضارع والمقتضب ، ولم يكتب في الزجل والموشحات مع أنه أندلسي ، وقد عرف هذان الفنان في موطنه ، وبلغا في عصره مكانةً عالية ، وهذا يدل على شدة محافظته على القديم ، وتعلقه به ، ورفضه للجديد والمعاصر له ، وهو في هذا يشبه المحافظين الجدد الذين التزموا بالصياغة القديمة ، مع قدرتهم على الإبداع فيما استحدث من أوزان ، كشعر التفعيلة ، والشعر الحر والمرسل .

ب ـ القافية :

لا ينبغي أن نتعسف لنحمل القافية ما لا تحتمل من الأحكام ، لأن إفراد القافية ورويها بدلالة خاصة ، دون نظر إلى البناء في البيت ، يعطي للصوت المفرد دلالة فوق طاقته ، ويتناقض مع ما يعهده قارئ الشعر ، من اختلاف دلالة الروي الواحد وإيقاعه من قصيدة أخرى وشاعر آخر (١).

واختيار الشاعر للقافية كاختياره للبحر ، ليس وليد الصدفة ، وقد يرجع إلى أمرين :
الأول : قدرته على النظم فيها ، و مدى ما يملك من ثروته لفظية تمكنه من رصد تجربته الإبداعية ، في هذا الروي أو ذاك .

الثاني : اختيار القافية الملائمة للغرض ، والحالة النفسية للشاعر ، وفي حالة معارضة الشاعر لنصٍ سابق ، فإنه قد يلتزم بقافية ذلك النصّ .

ومن خلال الجدول التالي نتبين نسبة الحروف التي اختارها ابن الأبار روياً لأبياته .

---

(١) انظر : النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري ص ٤١٢ ، ٤١٣

م	حرف الروي	عدد الأبيات	النسبة
١	الهمزة	٢٣٠	٤ر٧ %
٢	الباء	٥٠٠	١٠ر٢ %
٣	التاء	٤	٠ر٠٨ %
٤	الثاء	٢	٠ر٠٤ %
٥	الجيم	١٠٧	٢ر٢ %
٦	الحاء	٢٣٦	٤ر٨ %
٧	الدال	٦٦٨	١٣ر٧ %
٨	الذال	٤٢	٠ر٩٠ %
٩	الراء	٤٩٤	١٠ر١ %
١٠	السين	٧٦	١ر٥ %
١١	الشين	٣١	٠ر٦ %
١٢	الصاد	١٣٢	٢ر٧ %
١٣	الضاد	٤٨	١ر٠ %
١٤	الطاء	٧	٠ر١٤ %
١٥	العين	٢٢٤	٤ر٦ %
١٦	الغين	٥٩	١ر٢ %
١٧	الفاء	٧٥	١ر٥ %
١٨	القاف	٢٢٠	٤ر٥ %
١٩	الكاف	٤٤	٠ر٩ %
٢٠	اللام	٤٧٩	٩ر٨ %
٢١	الميم	٤٢٨	٨ر٧ %
٢٢	النون	٤٦٧	٩ر٥ %
٢٣	الهاء	١٢٠	٢ر٥ %
٢٤	الواو	٧٤	١ر٥ %
٢٥	الياء	١٢٦	٢ر٦ %
—	المجموع	٤٨٩٣	———

ويلاحظ من خلال الجدول أن ثمة حروفاً شاع استعمالها كروي في أبيات ابن الأبـــار ، وهي: حرف الدال ، حيث نظم على هذا الحرف (٦٦٨) بيتاً ، من مجمـــوع (٤٨٩٣) بيتاً ، أي بنسبة ٧ر١٣ % ، يليه حرف الباء ، حيث نظم فيه (٥٠٠) بيتـــاً ،أي بنســـبة ٢ر١٠ % ، ثم حرف الراء ، حيث نظم فيه (٤٩٤) بيتاً ، أي بنســـبة ١ر١٠ % ، ثم حرف اللام ،حيث نظم فيه (٤٧٩) أي بنسبة ٨ر٩ % ، ثم حرف النون ، الذي نظم فيـه (٤٦٧) بيتاً ، أي بنسبة ٥ر٩ % ، وأخيراً حرف الميم ، إذ نظم فيه (٤٢٨) بيتـــاً ، أي بنسبة ٧ر٨ % .

وثمة حروف أقل شيوعاً في الروي وهي : (الحاء والهمزة والعين والقاف والصاد واليـــاء والهاء والجيم) إذ نظم فيها بين (٢٣٠) بيتاً و (١٠٧) بيتاً ، وهذه الحروف تحقق نســـبة وسطى ، أعلاها ٧ر٤ % وأدناها ٢ر٢ % .

أما الحروف الأقل شيوعاً في الروي فهي على التوالي : (السين والفاء والواو والغـــين والضاد والكاف والذال والشين) حيث نظم فيها بين (٧٦ ــ٣١) بيتـــاً ، وتراوحـــت النسبة فيها بين ٥ر١% و ٦ر٠ %

وتأتي كل من الحروف(الطاء والتاء والثاء) لتصبح الحروف النادرة في روي ابن الأبـــار حيث نظم فيها بين (٧ ــ ٢) بيتاً فقط ، بنسبة بين ١٤ر٠ % و ٠٤ر٠ % .

ولم يستخدم كلاً من (الخاء والزاء والظاء) روياً في أبياته .

....

والناظر للحروف التي شاع استخدامها روياً لدى ابن الأبار ، يجد أنها هي الحروف الأكثر شيوعاً في قوافي الشعر العربي (١) ، كاللام والراء والدال والميم والنون ، وربما كان ذلك من أثر التقليد الفني ، أو لإحساس الشاعر بما في هذه الحروف من تنغيم إيقاعي ، وموسيقى ، وسهولة في مخارجها .

و يطول نفس ابن الأبار أحياناً في بعض القوافي الصعبة ، كما في قصيدته التي مطلعها :

أتجحد قتلي ربة الشنف والخرصِ   وذاك نجيعي في مخضبها الرخصِ (٢)

والأخرى التي مطلعها :

هو الفتح أدنى حوزه المغرب الأقصى   عن الصولِ يستقضي وبالعدل يستقصى (٣)

وكلا القصيدتين مبنيٌ على حرف الصاد ، وهو من الحروف الصعبة في الروي ، ومع ذلك فالقصيدتان تتسمان بكثرة عدد الأبيات ، مما يدلل على قدرة ابن الأبار اللغوية ، وثروته اللفظية ، ومثلُ هذا ظاهر في الديوان من خلال قصائد أخرى .

واعتقد أن ذلك يرجع إلى سببين كلاهما نفسي:

الأول : هو صعوبة الحياة التي عاشها ابن الأبار .

والثاني : محاولته إظهار قدرته اللغوية ، واستعراض ثروته اللفظية أمام أدباء المغرب المعاصرين له ، والذين كانوا في بلاط السلطان أبي زكريا وأبنائه .

....

---

(١)انظر : موسيقى الشعر ، د.إبراهيم أنيس ص ١٨٩ وما بعدها .

(٢) الديوان ص ٣٢٩   (٣) السابق ص ٣٣٨

ثانياً : الموسيقى الداخلية :

وتتمثل في اختيار الألفاظ وتركيب العبارات ، ذلك لأن الموسيقى في الشعر لا تتحقق من خلال الوزن والقافية ، وما تحدثانه من إيقاعٍ فحسب ، بل إن انتقاء الألفاظ ، وتركيبها ، وتآلفها ، يحدث موسيقى داخلية يضفي بها الشاعر على شعره ذاتيةً خاصة ، ونغماً مميزاً .

ولقد أدرك هذا ابن الأبار بحسّه الشعري ، فعمد إلى استخدام كثيرٍ من المحسنات اللفظية ، التي عرفت قبله ، منها :

١ـ التصريع : وهو بناء الشطر الأول من البيت الأول في القصيدة على رويها ، وقد كان النقاد القدامى يجمعون على أهميته في مطالع القصائد (١) ، ولعل هذا ما جعل ابن الأبار يحرص على الإكثار منه ، حيث يفتتح به (١٣٢) قصيدة من (٢٤٥) قصيدة ، وهي مجموع القصائد المنسوبة لابن الأبار في ديوانه ، أي بنسبة ٥٤ % ، ومن أمثلتها قوله :

ما العيد بعدك بالأماني عائدُ يا غائباً و كأنما هو شاهدُ (٢)

وقوله :

أعد نظراً إلى الزمن النضير ترَ الفذّ الوحيد بلا نظيرِ (٣)

---

(١) انظر : العمدة ج ١ ص ١٧٣ وما بعدها

(٢) الديوان ص ١٣٧

(٣) الديوان ص ١٩٣

ولا يكتفي ابن الأبار بتصريع المطالع ، بل يستخدمه أحياناً في أثناء القصائد ، فمن نماذج ذلك من قصيدته التي رثى بها السلطان أبي زكريا ، والتي مطلعها :

أودى الحمامُ بناصرِ الإســــلامِ بينـــي ثلاثـــاً ســـلوة الأيـــامِ

قوله في أثناء القصيدة :

ولو استمعتَ لقلتَ: سرب حمامِ فلو التفت لقلتَ: شرب مدامِ (١)

ومثله قوله من قصيدةٍ يمدح السلطان أبا زكريا :

وأفعاله سابقات المقـــالِ فقول الأئمـــة قبل الفعالِ (٢)

وربما كان يعمد إلى ذلك عمداً لإظهار قدرته اللغوية ، واستعراض ثروته اللفظية .

وكـــثيرٌ مـــن الـــنقاد القدامى لا يستحبون الإكثار من هذا النوع من التصريع ، وهو المسمى بالتصـــريع المستأنف ، في القصيدة الواحدة (٣) ، إلا أنه إذا وقع في موقعه كان مقبولاً لما يحدثه من موسيقى خاصة ، و كذلك هو في كثيرٍ من قصائـــد ابن الأبار .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢٦٣

(٢) السابق ص ٢٨٨

(٣) انظر : سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ص ١٨١

٢ـ التَرصيع ، أو التقسيم : وهو كما يقول قدامة : " أن يتوخى فيه تعبير مقاطع الأجزاء في البيت إلى سجع أو شبيهٍ به أو من جنسٍ واحد في التصريف " (١)

ومن أمثلته عند ابن الأبار قوله :

وضاحةٌ بلجا ، نفّاحةٌ أرجا   حسانةٌ فلجا ، فتانة دعجا (٢)

وقوله :

زهرٌ مراقبه ، شمٌ مراتبه   لها على الشهب إيفاءٌ وإيفاد (٣)

وقوله :

هذا ظهوري من التواري   وذا نشوري من الهمودِ (٤)

وأحياناً يلجأ ابن الأبار إلى التقسيم دون قوافٍ داخلية ، فيركب جملاً أو كلماتٍ متساوية بحيث تحدث نغماً متقارباً جميلاً ، ومن أمثلة ذلك قوله :

ما رسوخ الطود ؟ ما جود الحيا ؟   ما حسام الهند ؟ ما ليث الشرى ؟(٥)

و استخدام ابن الأبار للتقسيم ، أكسب الأبيات ــ كما يلاحظ ــ إيقاعاً موسيقياً مريحاً ورائعاً ، يشعر القارئ ، بموهبة ابن الأبار ، واهتمامه ببنية الشعر الإيقاعية .

---

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ص ٤٠

(٢) الديوان ص ١٠٣

(٣) السابق ص ١٤٠

(٤) السابق ص ١٦٩

(٥) السابق ص ١٨٧

٣ــ الجـــناس : وبخاصة الناقص منه ، وهو كثيرٌ في شعر ابن الأبار ، يلحظه القارئ لشـــعره بوضوح ، في كل قصيدة من قصائده ، وفي جلّ أبياته ، ومن ذلك قوله :

فيه أنـــاةٌ وإمـــهالٌ به شرفاً ... وليس مـــنه مع الإمهال إهمال
يعفو ويصفح في ذات الإله كما ... يسخو ويسمح والمفضال مفضالُ (١)

بل إنه ، في بعض الأحيان ، يلزم نفسه ما لا يلزم ، ليحقق قدراً من الموسيقية والإيقـــاع في القصيدة ، فيعمد إلى الجناس الناقص بين المفردتين الأخيرتين من كل بيـــتٍ في القصيـــدة ، يقول من قصيدة طويلة في المدح :

لم يخن في الحـــبِّ تأويلي ... هـــذه الحسناء تأويلي
أبصرت صبري على كلفي ... بين تـــنكيبٍ وتنكيلِ
ودرت أن ليس يدرأُ بي ... طول تعذيبٍ و تعذيلِ (٢)

وعلى هذا النحو تستمر القصيدة إلى آخرها ، في ثنائية متجانسة ، تحفـــل بالموســيقى ، وتمتلئ بالصنعة اللفظية .

وقد يجانس بين القافية وحشو البيت ، وهو ما يسميه علماء البديع ، برد الأعجاز علـــى الصدور ، ومن نماذج ذلك قوله :

ألم تـــره ، إذا هفت الرواســـي ... يهـــون على نـــهاه ما يهولُ
وإن هـــدرت فصاحـــته بحفلٍ ... أرمـــت ، لا تراجـــعه الفحول
أجـــاد ، مـــؤيداً ، في كل عليا ... وجـــاد بـــما الغمام به بخيل

---

(١) الديوان ص ٢٤٦
(٢) السابق ص٢٣٢

وبـــث العدل ، والعدوان فاشٍ فليـــس من الملوك لـــه عديل
بديـــلٌ في الخلائـــق للبرايا وشـــأو عـــلاه ما منه بديل(١)

وواضح ما يحققه تكرار كلمة (بديل) في البيت الأخير من موســـيقية عاليـــة ، وهـــذا التكرار ، في بعض الأحيان له صلة بما يسمى (بالإرصاد للقافية) ، وهو الذي يجعل الســـامع يتنبأ من خلاله بقافية البيت ، قبل أن يستمع إليها ، ومثل ذلك في شعر ابن الأبـــار كثـــير ، كقوله :

لا شغل للعبد إلا شكر سيده وإن عدته من الأيام أشغالُ (٢)

وقوله :

فخرت بقرب العز من حضرة العلى ولولا مكان القربِ عزني الفخر(٣)

وقوله :

أمير العلا أرجو ومثلك سامحٌ أمـــير العلا أدعو ومثلك سامع
وأشدو بما طوقتني من صـــنائعٍ جسامٍ كما تشدو الحمام السواجع
فيصدع مني باعتمادك صـــادحٌ ويصدح مني باعتمادك صادع (٤)

ولا يخفى ما يحـــققه التلاعب بالألفاظ في الأبيات ، والتقارب بين (أرجو) و(أدعو) و(سامـــــح) و (سامع) و(صنائع) و(سواجع) و (أشدو) و(تشدو) و (صادع) و(صادح) و (يصدع) و (يصدح) ، ورد العجز على الصدر في البيت الأخـــير ، مـــن موسيقية عالية .

---

(١) الديوان ص ٢٣٢
(٢) السابق ص ٢٤٨
(٣) السابق ص ٢١٦
(٤) السابق ٣٦١

٤ــ الطباق : وهو ذكر مفردتين متضادتين ، كالليل والنهار والشمس والقمر ، ونحوهمـــا ، وقد يمهد ابن الأبار أحياناً به للقافية ، وهو كثير في شعر ابن الأبار ، ومن أمثلة ذلك قوله :

فتاةٌ أفاتتها الليالي غوادراً وغادرني من بعدها مغرمـــاً مغرى
أسر هواها ثم أجهر مفصحاً به ، والهوى ما خامر السر والجهرا (١)

٥ــ المقابلة : وهي ذكر جملتين متقابلتين في المعنى ، أو متضادتين ، كقولهم (جـــاء الليـــل وذهب النهار) ، وقد استخدمها ابن الأبار كثيراً في شعره ، ومن ذلك قوله :

أيرجو النصـــارى في زمانك نصرةٌ وقد كثرت فيهم لعمري الوقائع
فأعينهم بـــعد الهجوع سواهـــدٌ وأعيننا بعد السهاد هواجـــع (٢)

وللطباق والمقابلة دور أيضا في رفع درجة الموسيقى في الشعر ، لانتقال النطق من لفـــظٍ إلى لفظ مخالف ، ومن جملة إلى أخرى ، مما يحدث تنويعاً وتناغماً في الإيقاع .

....

ولا يعني اهتمام ابن الأبار بالموسيقى ، الخارجية أو الداخلية ، في شعره ، واستخدامه لكـــل عناصر الإيقاع ، أنها مظهر من مظاهر التكلف والصنعة ، بل هو تكميلٌ للبنـــــاء الشـــعري القائم على المزج بين الصورة والخيال والأساليب والموسيقى ، مع العنايـــة في ذات الوقـــت بالمعنى ، مما يؤكد أنه قد بذل جهداً كبيراً في إبداعها ، وتنميقها ، ولعل هذا هو سرّ روعـــةِ كثيرٍ من قصائده .

---

(١) الديوان ص ٢٠٥

(٢)السابق ص ٣٦١

وإذا عدنا إلى رأي النقاد الذين أشاروا إلى أن ثمة تلاحماً بين الإيقاع الصوتي والإيقاع النفسي أو المعنوي للشاعر ، نجد أن ذلك يتحقق كثيراً في شعر ابن الأبار ، فقصائده التي قالها بمناسبة العفو عنه ، تمتلئ بالفرح والسرور ، وموسيقاها تدل على ما يحسّ به من بهجة غامرة ، واستبشارٍ بالعفو ، يقول :

بشراي هذا مبدأ الإقبالِ   في قصد غاياتي وفي استقبالِ
وافاني الزمن المسيءُ محسّناً   آثاره بمثابة الإجمالِ
وذممت ترحالاً وحلاً قبلها   فحمدت عقبى الحل والترحال (١)

وكما هو ظاهر فإن الأبيات توحي بالفرح ، وتعبر عن نفسية الشاعر المبتهجة ، وهنا نتساءل عن سر الإحساس بالفرح الذي توحي به الأبيات ؟ هل هو منبعث من خلال اللفظ أو من الموسيقى المتولدة من الوزن والتقفية ، أو من النبر ، وهو عامل صوتي يؤدى وظائف عديدة في الشعر ، أو من تركيب العبارات .

والحق أن كل تلك العوامل متضافرةً كانت وراء ما يشعر به القارئ للأبيات من إحساس بالفرح والسرور ، ولا يعزى لعاملٍ دون آخر ما تثيره الأبيات في النفس من إحساس .

وهذا الحكم يصح أن يطلق على كل الشعر ، فالصور والأخيلة والموسيقى الداخلية والخارجية ، والنبر ، والألفاظ ، وتركيب العبارات والمزاوجة بين الأساليب ، كل هذه العوامل مجتمعة تسهم في الإيحاء والإثارة ، والتعبير عما يريد الشاعر أن يعبر عنه .

....

(١) الديوان ص ٢٥٠

الفصل الثالث

في الصـــــــورة

****

في الصورة

-١-

يقرر كثيرٌ من الدارسين أن دراسة الصورة الفنية في الأدب بعامة ، وفي الشعر بخاصة من الموضوعات الشائكة التي يقف الدارس أمامها على حذر ، وذلك لتعدد المفاهيم والمناهج التي تتصل بالصورة قديماً وحديثاً ، ولكثرة المزالق التي يقود إليها البحث في مادة الشعر ، تلك المادة التي تخضع للوجدان والعاطفة أكثر من خضوعها للمنطق والعقل .

والشعر من الصناعات الصعبة ، يقول ابن رشيق : " قيل : عمل الشعر على الحاذق به أشدُّ من نقل الصخر ، ويقال : إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم ، وأتعب أصحابه قلباً من عرفه حق معرفته "(١).

ودراسة الشعر ونقده لا تقل صعوبةً عن صنعته ، بل إن معاناة الدارس للصورة في الشعر لا تقل عن معاناة الشاعر عند الإبداع أو ربما أكثر ، وذلك لأن دراسة الصورة تحتاج إلى ذوق الدارس وحاسته ، بقدر ما تحتاج إلى امتلاكه للأدوات الفنية (٢).

وعلى الرغم من كثرة الخلاف حول مفهوم الصورة ، قديماً وحديثاً ، إلا أن كل الدارسين يجمعون على أهميتها في التعبير الشعري ، إذ لا يمكن للشعر أن يحقق وظيفته بدونها ، ولا يسمى الشعر شعراً بدونها (٣).

---

(١) العمدة ص ١١٧

(٢) انظر الصورة الشعرية في شعر ابن دراج ص ٨ .

(٣) راجع السابق والصفحة

_ ٢ _

وهنا نتساءل ما هو أوضح مفهومٍ للصورة ... ؟

إن مصطلح الصورة من المصطلحات التي تعددت مفاهيمها ، ولم يتفق فيها على مفهومٍ معـين ، ومن هنا تنوعت واختلفت آراء النقاد حوله (١) .

والواقع أن " الصورة كمصطلحٍ حديثٍ هي : تشكيلٌ لغويٌ يكونها خيال الفنان من معطيـاتٍ متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها " (٢) ، أو بتعبيرٍ آخر : " هي الصوغ اللساني المخصـوص الذي بواسطته يجري تمثل المعاني تمثلاً جديداً ومبتكراً ، بما يحيلها إلى صورةٍ معبرة " (٣)

وبـهذا فهي وسيلة خاصة أو طريقة من طرق التعبير يستخدمها الشاعر ليحدث بها خصوصيةً أو تأثيراً في أداء المعنى .(٤)

فالشاعر يولد علاقاتٍ بين الأشياء ، هذه العلاقات ينقلها من خلال تركيب الألفاظ بشـكلٍ لطيف وخلاب ، للتعريف بما هو معروف ، أو لجعل الواضح أكثر وضوحاً (٥) .

---

(١) انظر : الصورة الشعرية ، بشرى موسى صالح ص ١٩ وما بعدها .
(٢) الصورة الشعرية ، د. علي البطل ص ٣٠ .
(٣) الصورة الشعرية ، بشرى صالح ص ٣
(٤) راجع الصورة الفنية في شعر ابن دراج ص ٣٨.

إذن فالصـــورة هي اصطلاحٌ يشير إلى العلاقة الشاملة بين الحقيقـــة والمجـــاز ، لا إلى أحدهمـــا فحسب (١) ، وبذلك تكون الصورةُ مرآةً عاكسةً لعلاقة الشاعر مع الخيال والواقع ، ونمط هـــذه العلاقة وكيفية امتزاجها بحيث يكشف عن خصوصية ذهن الشاعر ، والمؤثرات فيه . (٢)

ولذا كانت الصورة جوهراً في الإبداع الشعري ، ذلك لأنها تنحرف بالألفـــاظ مـــن دلالتـــها المعجمية إلى دلالاتٍ خطابية جديدة ، مما يمنح النصّ هويته المتجددة دائماً .

_ ٣ _

وهـــنا يبرز سؤالٌ ، هل عرف النقاد القدامى الصورة بهذا المفهوم ؟ ، وهل طبقوه في دراساتهم النقدية ؟

لقد حام النقاد القدامى حول مفهوم الصورة ، فسماها الجاحظ وابن طباطبا الصياغة والنسيج ، وأطلق عليها عبد القاهر الجرجاني جانب الأسـلوب والصورة ، ويســـميها الآمـــدي والقـــاضي الجرجاني جانب الاختراع والبديع ، غير أنهم لم يصلوا إلى مفهومها الحديـــث ، ولم تطبـــق كمعيـــارٍ شعري إلا في النقد الأدبي الحديث .(٣)

---

(١) راجع : الصورة الفنية في شعر ابن دراج ص ٨٧

(٢) انظر : الصورة الشعرية ، بشر ى صالح ص ١٤٥ وما بعدها .

(٣) انظر : الصورة الفنية في شعر ابن دراج ص ٦١

: الصورة الشعرية ، بشرى صالح ص ٤٢ وما بعدها .

ولتوضيح مفهوم الصورة الحديث أكثر ، ننقل ما قاله الدكتور علي البطل في حديثه عن الصورة في قول الشاعر:-

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدّت على حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

يقول : " لقد ركز النقاد القدامى حسب مفهومهم القديم على جملة (وسالت بأعناق المطي الأباطح) ، وظنوا أن جمال الأبيات نابعٌ من جمال الاستعارات ، سيلان الأباطح بأعناق المطي ، وهذا يقصر الجمال على الصورة البلاغية فحسب ، لذلك يمزق التشكيل اللغوي الكلي للصورة الفنية الجميلة في الأبيات ، بينما ينبغي أن ينظر إليها بوصفها بناءً فنياً متكاملاً ، تقوم الاستعارات بدورٍ جزئيٍ في تشكيله ، ولكنه لا يقتصر عليها وحدها ، فالشاعر يصور موجات مستمرة من الحركة الدائبة ، ترفد كل جزئية منها للتشكيل العام ، فطائفة من الحجيج تؤدي المناسك في منى ، وطائفة أخرى تسبق إلى الطواف بالكعبة منهية شعائرها ، تقدمتها طائفة تحللت فبدأت الاستعداد للرحيل ، بجمع الأمتعة وإعداد الدواب ، حيث يُشغل كل إنسانٍ عن غيره ، بينما تُرى طائفة كانت أسبق من الجميع في أداء المناسك قد رحلت بالفعل ، وبدأت الأحاديث التي تدل على رجوعٍ إلى شئون الدنيا بعد أن كانت تشاغلت عنها بشئون الآخرة ، فترى في هذا البناء تموج الحركة الداخلية وتدفقها ، وتغير الحركة النفسية الداخلية باختلاف اهتماماتها . "(١)

— ٤ —

ومن هنا يظهر لنا أن الصورة بمفهومها الحديث هي بناءٌ أو تشكيلٌ لغوي تتضافر فيه أدواتٍ كثيرة لرسمها ، فما هي تلك الأدوات ؟.

---

(١) الصورة الشعرية ، علي البطل ص ٣١

أدوات الصـــــورة :

لقد درس القدماء علم المعاني من تقديمٍ وتأخيرٍ وخلافه ، وعلم البيان من تشبيهٍ واستعارةٍ وكناية ومجاز ، وعلم البديع من محسناتٍ لفظية ومعنوية ، وكل هذه ليست هي الصورة ، وإنما هـي أدواتٌ لرسم الصورة تقوم بأدوارٍ جزئية في تشكيل الصورة ، أما الصورة فهي بناءٌ مستقل ، هي حركـــة دائمة مستمرة ، ليست نقلاً فيتوغرافياً ، بل حركة دائبة ، وتشكيلٌ يوحـــي ويثـــير ويدهـــش ، ويتجاوز رؤية المتلقي البصرية إلى الشعور والإحساس الإنساني . (١)

مصادر الصـــــورة :

ومصادر الصورة كثيرة ، منها داخلي ذاتي يرجع إلى قدرة الشاعر وإبداعه وموهبته ومقدرتـــه على الخيال أو التخيل ، ومنها خارجي ، وهو مكتسب يعكس ثقافة الشاعر و واقعه .

وظيفة الصـــــورة :

إن الصورة تؤدي دوراً مهماً في الشعر ، إذ هي توضح وتكشف المعنى وتثبته في نفس المتلقـي ، إضافةً إلى دورها الجمالي ، وفي النقد يلمس الناقد بالصورة مظاهر التفرد للشاعر ، ويتبين الملامـــح المميزة لأسلوبه ، وبهذا تصبح الصورة أداةً ووسيلة نقدية في دراسة الإبداع الشعري (٢).

ومصدر الإعجاب بالصورة وجمالها ينبع من كونها صورة فحسب ، توحي وتذكر وتثير في نفس

---

(١) راجع الصورة الشعرية ، بشرى صالح ص ١٤٥ وما بعدها .

(٢) راجع : الصورة الفنية ، د. جابر العصفور ص ٣٨٢ وما بعدها .

المتلقي أحاسيسَ مختلفةً كالحزن والفرح والدهشة والضحك وغير ذلك .(١)

أنواع الصـــــــورة :

شاع من أنواع الصورة عند القدماء الصورة البيانية ، والمباشرة ، والرمزية ، وصورة الحركة ، والصـــورة النفسية ، وهذا التنوع لا يعني المغايرة ، إذ قد تتداخل الصور لرسم صــــورة كاملـــة يتشكل منها النص الشعري (٢)

ـ ٥ ـ

أ ـــ أنواع الصورة في شعر ابن الأبار :

القارئ لديوان ابن الأبار ـــ موضوع دراستنا ـــ يجده قد اتبع سابقيه من الشعراء فاســـتخدم كل أنواع الصورة السالفة الذكر ، فمن ذلك :

١ـــ الصورة البيانية :

يعتمد ابن الأبار في هذا النوع التصوير غير المباشر القائم على التشـــبيه والاســـتعارة والكنايـــة والتمثيل والتجريد والتجسيد والمجاز المرسل ، واحتلت الصورة البيانية مكان الصدارة بـــين ســـائر صوره ، ويكثر استخدامها لديه في غرضي المديح والغزل ، يقول من قصيدة يمدح بها أبا زكريـــا ، إثر العفو عنه :

تحلت بعلياك الليالـــي العواطـــل ... ودانت لسقياك السحاب الهواطل
وما زينـــة الأزمـــان إلا مناقـــبٌ ... يفـــرعها أصلان : بـــأسٌ ونـــائل
إذا الصول والطول استقرا براحةٍ ... ترقت لـــها نحو النجوم الأنامل (٣)

---

(١) انظر : الصورة الشعرية ، د . علي البطل ص ٣٠

(٢) راجع : القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري مج ٢ ص ٣٧٠

(٣) ديوان ابن الأبار ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

ويلاحظ استخدامه التعبير غير المباشر ، أو التعبير بالصورة البيانية المعتمد على الاستعارة ، ففي البيت الأول الليالي كأنهن نساءٌ عواطل ثم تحلت بعلياء الممدوح ، وكأن السحب تدين لكرم الممدوح فقد تعلمت العطاء منه ، وفي البيت الثاني كأن الأزمان نساءٌ تزين وزينتها الشجاعة والكرم ، ثم يرسم في البيت الثالث صورةً من خلال جملتي الشرط وجوابه ، فإذا استقرت الشجاعة والكرم براحة اليد سمت وصارت ترقى لتلك الراحة أنامل المادحين .

ويقول في مقدمة غزلية من قصيدة أخرى في مدح السلطان أبي زكريا :

طلعت عليك مع المساء صباحا   فوشى بمشيتها النسيم وباحا
ما في قوى الأرواح كتمان الشذى   أفضح بمن يستكتم الأرواحا
هيفاء لم تنهض بخصرٍ أهيفٍ   إلا ونت ردفاً يكون رداحا

ومنها :-

بأبي التي نهدت لحربي ناهداً   في السلم يعتقل الثدي رماحا
تفاحتان بخوط بانٍ بانتا   ما البان مما يثمر التفاحا
ألف التأود عطفها فتخاله   غصناً ، وإن لم يألف الأدواحا (١)

والتعبير بالصورة البيانية القائمة على التشبيه والاستعارة ظاهرٌ في الأبيات من البيت الأول ، فالمحبوبة طلعت مع المساء وكأنها صباح ينير ظلمة الليل ، والنسيم يشي بمشيتها من خلال طيب شذاها ، لأنه ليس من قوى الأرواح أن تكتم الشذى ، ثم يصف الحبيبة بأنها نحيلة الخصر مكتنزة الأرداف وشعرها طويلُ غزيرٌ يغطي خصرها إذا زال عنه الوشاح .

وهذه المحبوبة تتخذ من الثدي المنتصبة شبه الرماح لتجهز بها على ضحايا حبها ، ثم يصف بأسلوب تعجبي ثديٌ تلك الكاعب ، فهما تفاحتان أثمرتا في غصن بانٍ مع أن البان لا يثمر التفاح ، وقدها ألف التأود كأنه غصن إلا أنه ليس من أغصان الحدائق .

---

(١) السابق ص ١١٦

والصور هنا تكاد تكون في كل بيتٍ مستقلةٌ عن بعضها ، وبعضها قائمٌ على التشبيه وأخر تتخذ الاستعارة ، وهي تقليدية قديمة تتضافر لرسم صورة كلية موحية ومليئة بالحركة الدائبة تثير السامع وتدهشه .

ومن نماذج الصور البيانية قوله من قصيد يمدح بها السلطان أبا زكريا ، يقول :

ملكٌ تبحبح في عليــاءِ ســؤدده … فأحرز السلف القدسـي والعقبا
تهوى الكواكبُ لو أهوت لسدته … فقبـلت راحـةً لا تأتلي تعبا
طعناً وضرباً وبـذلاً كلَّ آونـة … ولا نصيب لمن يستنكف النصبا
فمن سماحٍ إذا القطر الملثُّ ونـَى … ومن مضاءٍ إذا العضبُ الحسام نبا
لم يدنُ من بابه مستشعرٌ وجـلاً … إلا دنـا من أمان الله واقـتربا

ومنها :

الطودُ والبحرُ من حساده أبداً … إذا احتبى في سرير الملك ثم حبا
لأجلها طاش هذا مزبـداً قلقاً … وقـرَّ ذاك طويل الفكر مكتئبا (١)

والمتأمل للأبيات يجدها تغصّ بالصور البيانية القائمة على المجاز والاستعارة ، وهي وإن كانت في أكثرها صوراً قديمةً مكررة ، إلا أن ربطها ببعضها فيه إتقانٌ وفكر ، فالكواكب تهوى لو نزلت لتقبل راحة الممدوح ، والبحر طاش مزبداً قلقاً ، والطود قرّ طويل الفكر مكتئباً ، كل ذلك حسداً للممدوح ، ويلاحظ ما في البيت الأخير من صورة للحركة .

ومن الصور البيانية قوله في مدح السلطان وابنه بمناسبة قدوم الابن ولي العهد من بجاية لزيارة والده السلطان بتونس :

ألا هو شبلُ البأسِ زارَ هزبـرَه … فقـرَّ قرارُ الناس منـه على الزأر
وسيلُ الندى أفضى إلى البحرِ فيضُه … وما برحت تفضي السيولُ إلى البحر(٢)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٧٥   (٢) السابق ص ١٩٠

٢ــ الصورة المباشرة :

وهي تلك الصورة التي لا يستخدم فيها الشاعر ضروب البيان من تشبيهٍ واستعارة وخلافــه ، وإنما هي وصف وتصوير تقريريٌ حقيقيٌ قد يكون موسعاً ، وأكثر ما يكون هذا النوع من الصــورة في الأبيات المفردة ، وهي حاضرةٌ في شعر ابن الأبار غير أنها قليلةٌ من حيث الكم قياساً بالبيانيــة ، ويتداخل كثيراً هذا النوع من الصورة مع غيره من الأنواع ، ومن نماذج الصورة المباشرة قولــه في مدح السلطان أبي زكريا :

ملكٌ يدعـــو نــداه الجفلىٰ   حين لا تدعـو الملوك النقرىٰ
نصر الإحســان والعدل بــه   من قضت أقــداره أن ينصرا
أروعٌ ، طلْق الــمحيا ، لم يزل   ينشر الأمنَ ويطوي الــحذرا
كلما فَـتّح ذكــراً باســمه   مــادحٌ فتق مسكاً أذفــرا
أطلعت مــنه الليالي بوركــت   في سماء المجد بــدراً نيــرا
أحــرز الســؤددَ عن آبائــه   و اقتفاهم أكــبرًا فأكـــبرا
فجرت يــمناه يــنبوع الندى   فجرى يروي الصدى ما فجرا
ما رسوخُ الطود ؟ ما جودُ الحيا ؟   ما حسامُ الهند ؟ ما ليثُ الشرى ؟ (١)

ومن نماذج الصور المباشرة أيضاً قوله في مدح السلطان المرتضى أبي زكريا :

الأمرُ أمرُك تعطيه وتمنعــه   والحكمُ حكمك تمضيه وترجئه (٢)

ومن نماذج ذلك قوله متغزلاً :

يا ربــةَ القلبِ كيف القلبُ كيف به   مع المخيفين منكِ الدلّ والغنجِ (٣)

---

(١) السابق ص ١٨٧

(٢) السابق ص ٤١

(٣) السابق ص ١٠٩

٣ـ الصورة الرمزية :

وهي تلك الصور القائمة على استخدام الرمز ، كاستخدام الحمامة رمزاً للسـلام ، و البحـر رمزاً للعطاء ونحو ذلك ، و مثل هذا نجده في شعر ابن الأبار مثل قوله في مدح السلطان :

يا بحر علـمٍ و جـودٍ لا كفاء له   مرجانه بين أيديـنا ولؤلؤه (١)

والبحر هنا رمز للسعة والعطاء .

ومثل ذلك قوله :

تقع الجلائل وهو راسٍ راسـخٌ   فيـها يوقـع للسعود جـلاءَها
كالطود في عصف الرياح وقصفها   لا رهـوها يخشى ولا هيجاءَهـا (٢)

والطود هنا رمزٌ للمنعة والقوة .

وقوله :

تعالوا إنها أسدٌ خماصٌ   بأيديها لكم أسلٌ ظماء (٣)

والأسد الخماص بأيديها رماحٌ ظمأى رمزٌ للجنود البواسل .

ومن الصور الرمزية قوله في مدح السلطان أيضاً :

على الكواكب مضروبٌ سرادقـه   بحيث يبلغ أوج الشمس موطنه (٤)

و واضحٌ أن صورة الكواكب ترمز للرفعة في المترلة والمكانة .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢٠٠

(٢) السابق ص ٣٩

(٣) السابق ص ٤٧

(٤) السابق ص ٤٣

ومن الصور الرمزية التي استخدمها ابن الأبار قوله في قصيدة الاستنجاد التي ألقاها بين يـــدي أبي زكريا يصف حال بلنسية :

راحت بها الورقاء تُسمع شدوها   وغدت تُرجِّع نوحها وبكاءها (١)

والورقاء هنا رمز للسلام الذي كان قبل حصار المدينة ، كما هي رمز لما حل بالمدينة من حـــزن وأسى .

٤ـ صورة الحركة :

و من نماذجها قوله في وصف السهر والسهاد لبعد المحبوبة :

أقول للنوم والسمار قد هجعوا   ولي تململٌ عاني القلب مترعجِ

للسهد فوق جفوني لا يفارقها   مراقبٌ فان اسطعت الولوج لجِ (٢)

ويلاحظ هنا وصفه لحركة التململ والسهاد .

ويقول متغزلاً يصف الخصر والردف والحركة :

فالخصر ينهضها ظمآن مندمجـــا   والردف ينبضها ريان منتفجا (٣)

ومثل ذلك قوله في وصف كثافة الشعر وطوله :

خصراً إذا مازال عنه وشاحـــه   ثبتت ذوائبه عليه وشاحا (٤)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٣٥

(٢) السابق ص ١٠٩

(٣) السابق ص ١٠٣

(٤) السابق ١١٦

٥ـ الصورة النفسية :

ويكثر استخدام ابن الأبار لهذا النوع من الصورة في غرضي الرثاء والشكوى ، يقـول مـن قصيدته التي رثى بها السلطان أبا زكريا :

سيفُ الهدى أودى به سيفُ الردى   قد يفتـكُ الصمصامُ بالصمصامِ
مـا للنجومِ طوالـعاً ؟ ما للجبـا   لِ رواسياً ؟ ما للبحارِ طوامي ؟
لِم لم تـغرْ ، لِم لم تـزُلْ ، لِم لم تغضْ   من شـدة الحـسرات والآلآم (١)

وتتداخل الصورة النفسية في الأبيات مع الصور البيانية ، ويوظف ابـن الأبـار الاسـتفهام والتعجب ليوحي بشدة الحزن والأسى ، وكأنه يقول إن كل شيءٍ ينبغي أن يكون حزيناً على فقد السلطان فلم لا تغور النجوم ، ولم لا تزول الجبال ، ولم لا تغيض البحار حزنًا على موته .

ويستمر في تصوير شدة الحزن على السلطان ، يقول :

لـمّا ثـوى دار السلام ترحلت   عـنّا محاسن دهـرنا بسـلام
لا طيبَ في الأسحارِ والآصالِ مذ   طـابَ الثرى مـنه بخير إمـام
عَطِلتْ ظهور الأرض من تلك الحلى   إذ حلـيت منها بـطونُ رجـام(٢)

والقصيدة مليئةٌ بالصور القائمة على الخيال والاستعارات والتعجب والاستفهام ، وهي صـورٌ متنوعة ، إلا أنها تتضافر لترسم صورةً نفسيةً كليةً توحي بالحزن الشديد على فقد السلطان .

ومن الصور النفسية ما يلقانا في قصيدته التي رثى بها شيخه أبا الربيع ابن سالم ، لـما استشهد

---

(١) السابق ص ٢٦٣
(٢) السابق ص ٢٦٤

في موقعة أنيتشة عام ٦٣٤هـ ، وهي طويلة (١) ، منها قوله :

نحييّ وجوهاً في الجنان وجيهةً ... بما لقيت حمراً وجوه الملاحم
وأجسادَ إيمانٍ كساها نجيعُها ... مجاسدَ من نسج الظبى واللهازم
مكرمةٌ حتى عن الدفن في الثرى ... وما يكرم الرحمن غير الأكارم(٢)

ومنها يصف حاله إثر المصائب التي حلّت ببلاد الأندلس ، وسقوط مدنٍ إسلاميةٍ كثيرة :

جلائلُ دقّ الصبرُ فيها فلم نُطق ... سوى غَضّ أجفانٍ وعَضّ أباهمِ
أبيتُ لها تحت الظلام كأنني ... رميّ نصالٍ أو لديغُ أراقم
أغازلُ من برحِ الأسى غير بارحٍ ... وأصحبُ من سامي البكا غيرَ سائم
وأعقد بالنجم المشرّق ناظري ... فيغربُ عني ساهرٌ غير نائم
وأشكو إلى الأيام سوءَ صنيعها ... ولكنها شكوى إلى غير راحم (٣)

وفي الأبيات صورٌ كثيرةٌ متنوعة تتضافر لرسم صورةٍ نفسيةٍ توحي بالألم والمرارة ، والحزن والأسى والحسرة ، ويستمر في رصد تلك الصور ويصف حال الشهداء في تلك الموقعة :

وبين الثنايا والمخارم رمةٌ ... سرى في الثنايا طيبها والمخارمِ
بكتها المعالي والمعالمُ جهدها ... فلهف المعالي بعدها والمعالم
سعيدٌ صعيدٌ لم ترمه قرارة ... وأعظم بها وسط العظام الرمائم
كأن دماً أذكى أديم ترابها ... وقد مازجته الريح مسكَ اللطائم
يشقّ على الإسلام تسليمُ مثلها ... إلى خامعاتٍ بالفلا وقشاعم

---

(١) عدد أبياتها مائة وواحد بيتاً .

(٢) ديوان ابن الأبار ص ٢٧٦

والظبى : السيوف ، واللهازم : الرماح ، والنجيع : الدم والمجاسد : الزعفران .

(٣) السابق ص ٢٧٨

كأن لم تبت يغشى السراةُ قبابها ويرعىٰ حماها الصِّيدُ رعي السوائم (١)

وهو هنا يصور حالة أولئك الشهداء ، كيف صارت جثثهم رمماً بالية ، ملقاة بالعراء ، إلا أنها طيبة الرائحة حتى أن الصعيد سعيدٌ بهم ، فلم تعفنه تلك الجثث التي كأن دمها لما اختلط بالتراب مسكاً ، ثم يصور كيف أنه من الصعوبة أن يُسَلم الإسلام مثل هؤلاء لتأكلهم الضباع والنسور وهم الذين كان السراة وعلاة القوم من الناس يغشون قبابهم طلباً للعلم ، ويرعى الصِّيد من الرجال حماهم ، ثم يستمر في وصف حاله وأسفه وبكائه وبكاء الباكيات على فقد هؤلاء النخبة ، وعلى فقد هذا العالم الجليل الذي بفقده أقوت ربوع العلم وخبا نور كوكبه الوقاد :

فوا أسفاً للدين أعضلَ داؤه وأيأسَ من آسٍ لمسراه حاسم
ويا أسفاً للعلم أقوت ربوعه وأصبحَ مهدودَ الذرىٰ والدعائم
قضىٰ حاملُ الآثار من آل يعربٍ وحامي هدىٰ المختار من آل هاشمِ
خبا الكوكبُ الوقادُ إذ متع الضحى لنخبطَ في ليلٍ من الجهل فاحم

ومنها :-

فأيُّ بهاءٍ غارَ ليس بطالعٍ وأيُّ سناءٍ غابَ ليس بقادم
سلامٌ على الدنيا إذا لم يلحْ بها محيا سليمانٌ بن موسىٰ بن سالم
وهل في حياتي متعةٌ بعد موته وقد أسلمتني للدواهي الدواهمِ
فها أنا ذا في خوف دهرٍ محاربٍ وكنتُ به في أمن دهرٍ مسالمِ

ويستمر على هذا النحو من تصوير حالته النفسية الحزينة على فقد شيخه ، ويصف محاسن ذاك الشيخ العالم الفاضل الشهيد الجليل :

له منطقٌ سهلُ النواحي قريبُها فإن رمته ألفيتَ صعبَ الشكائم

---

(١) السابق ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ والمخارم : الطرق في الجبال ، واللطائم : العير التي تحمل الطيب ، الخامعات: الضباع ، القشاعم : النسور .

وسحر بيانٍ فات كلَّ مفوهٍ ... فبات عليه قارع السن نادم
وما الروضُ حلاه بجوهره الندى ... ولا البُرْدُ وشته أكفُّ الرواقمِ
بأبدع حسناً من صحائفه التي ... تسيرها أقلامُه في الأقالمِ(١)

والأبيات بمجملها تحمل صوراً نفسية توحي مجتمعة بشدة التحسر والحزن ، ذلك لأن استشهاد شيخ ابن الأبار قد هزه هزةً عظيمة ، فجاءت هذه القصيدة التي حشدَ فيها طاقاته الإبداعية واللغوية ليعبرَ عن صدمته وفجيعته وحالته النفسية بعد استشهاد شيخِهِ ، واستخدم فيها التعبير بالصورة القائم على التشبيه والاستعارات والمجاز وغير ذلك ليثير ذهن السامع ويدهشَه ويهزَه ويبكيه .

ويمكن القول بأن استخدام التعبير بالصورة في شعر ابن الأبار يبرز في كل الأغراض ، غير أنه أظهر في المدح والرثاء والغزل ، ففي المديح (٢) يصور ممدوحه بصور بيانية قائمة على تشبيهات واستعارات قديمة ، فهو كالقطر الملمث في الكرم ، وكالبحر في سعته علماً وعقلاً وعطاءً ، وكالطود في ثبوته وشموخه ، وكالسيف العضب في مضائه ، وهو في كل تلك الصور يتبع نهج أسلافه من الشعراء ، إلا أن ما يحسب له هو قدرته على ربط هذه الصور بعضها ببعض في اتقانٍ وفكر ، واستحداث بعض العلاقات بين المشبه والمشبه به أو بين الحقيقة والمجاز ، ولنتأمل قوله :

الطود والبحر من حساده أبدا ... إذا احتبى في سرير الملك ثم حبى
لأجلها طاش هذا مزبداً قلقاً ... وقرّ ذاك طويل الفكر مكتئبا (٣)

---

(١) السابق ص ٢٨٠ ، ٢٨١

(٢) يقرر النقاد القدامى أن على الشاعر إذا كان مادحاً أن يمدح الحاكم بالعدل والعفة والعقل والشجاعة والكرم ، ويمدح العالم أو الفقيه بالعقل والعلم والحكمة والأدب ، والقاضي بالعدل والعقل والعفة ، وهكذا انظر الصناعتين ص ١٠٤ وما بعدها .

(٣) ديوان ابن الأبار ص ٧٥

وفي تصوير عطاء الممدوح ــ وهو مما يؤكد قدرة ابــن الأبــار علــى تشــكيل العلاقــات واستحداثها ــ يقول :

ما هــزه المدحُ إلا انثالَ نائله كالجذعِ سَاقط لمّا حُرّك الرطبا (١)

و قد اســتفاد هذه الصورة من قوله تعالى { وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبــاً جنيا }مريم : ٢٥ ، إلا أن تكوين العلاقة هنا ، وهي علاقة قائمة على التشبيه يدل على مقدرةٍ فنيــة عالية .

وفي الرثاء (٢) يستخدم الصور النفسية القائمة على الصور البيانية أو المباشرة أو الرمزيــة ، فينقل من خلال تعبيره عن الأسى والحزن حزنه وأساه إلى قارئه ، وتأمل قوله :

بــيني ثلاثــاً سلوة الأيام أودى الحمامُ بناصرِ الإسلامِ (٣)

وقوله :

سلامٌ على الدنيا إذا لم يلحْ بها محيا سليمان بن موسى بن سالمِ (٤)

وقوله في رثاء بلنسية :

راحت بها الورقاءُ تسمعُ شدوهــا وغدتْ ترجّــع نوحها وبكاءها (٥)

---

(١) السابق ص ٧٦

(٢) لا يخفى أن من أهم سمات الرثاء صدق العاطفة ، ولذا فالشاعر يصف أحاسيسه وحزنه على فقد المرثي مازجاً ذلك بمدحه وتأبينه وبيان فضله .

(٣) ديوان ابن الأبار ص ٢٦٢

(٤) السابق ص ٢٨٠

(٥) السابق ص ٣٥

وفي الغزل (١) تتداخل الصور البيانية مع صورة الحركة والصورة المباشرة والرمزية والنفسية ، للتعبير عن جمال المحبوبة أو صدودها وقسوتها أو منعتها ، يقول :

إنّ في الهودج حمراءَ الحلى   من بنات الحي تصبي الهودجا
حمَلت فتنةٌ من يرمقها   مبسماً عذباً وخصراً مدمجا (٢)

ويقول في وصف سواد الشعر وبياض الوجه :

ضدٌّ لغرتها بادٍ لطرتها   لله رأد الضحى يغشاه جنحُ دجى (٣)

ويقول أيضاً :

وفروعٍ أرسلوها ظلما   وخدودٍ أرسلوها سرجا (٤)

ويقول في وصف الطلعة ، وفيه صورة نفسية :

من لي بصبر خليٍ والفؤاد شجي   شوقاً إلى البلج الفتان والفلجِ (٥)

---

(١) صورة المرأة في شعر ابن الأبار لم تتخذ بعداً جديداً إذ نجده ، كغيره من الشعراء القدامى يتحدث عن المرأة من خلال صفاتها الحسية ، فهي الجمال الذي يحبه القلب وتشتهيه النفس ، هي الظبية التي تصيد الأسود ، والناهد ذات العيون النجل والقد المياس والشعر الفاحم والبنان المخضب والخصر النحيل والردف المكتنز ،هذه هي صورة المرأة عند ابن الأبار لم تتجاوز ذلك إلى البعد الإنساني ، فالمرأة في شعره جمال ودمية ولعبة ، بعدها سهر وسهاد ، وقربها أنسٌ ولذة ومتعة وعشق .

(٢) ديوان ابن الأبار ص ١٠٨

(٣) السابق ص ١٠٣

(٤) السابق ص ١٠٧

(٥) السابق ص ١٠٩

ويقول في القد والطلعة ، وهي من الصور البيانية :

إن تثنت فقضيباً أملدا أو تجلت فصباحاً أبلجا(١)

وفي العيون والثغر :

بالله كيف يفيق من سكراته من نادم الأحداق والأقداحا(٢)

ويقول في العيون :

كأنما ركبت عيناه في ظبتي أمضى السيوف برسم الفتك بالمهجِ (٣)

ويقول فيها أيضاً :

تذود عن الثغرِ الشنيبِ بلحظها فيا من رأى عضب الظبا يحرس العذبا (٤)

وأوصاف ابن الأبار وتشبيهاته تقليدية ؛ فهو يشبه كثيراً النساء بالظباء ، ويشبه الخدود بالتفاح ، ويشبه خضاب الأصابع والأيدي بالعناب ، وأحيانا بالدم ، واللحظ بالسيف والسهام ، وطلعة المحبوب بالصبح أو النور ، والثغر والريق بالأقداح والخمر ، يقول :

لا أعصر الخمرَ بل لا أشرب العنبا حسبي ثغورٌ تبيح الظلم والشنبا
إذا تدار على صاحٍ سلافتها يوماً تهافت سكراً وانثنى طربا
وظل يهزج في أثناء نشوته حتى كأن دم العنقود ما شربا (٥)

---

(١) السابق ص ١٠٨
(٢) السابق ص ١١٦
(٣) السابق ص ١٠٩
(٤) السابق ص ٦٦
(٥) السابق ص ٧٣

وكما استخدم ابن الأبار الصورة الرمزية للتعبير عن المرأة ، جعل المرأة رمــزاً للتعبـــير عــن حرمانه (١) إذ نجده يعبر عن منعة محبوبته يقول :

أما بعدَ حــبِّ العامرية من عتبىٰ   لقـــد قطعت حتى الولائد والكتبا
إذا زرتــها لاقيت حجباً من القنا   وبيض الظبى تحمي البراقع والحجبا
فأرجع أدراجي ولو شئتُ خاض بي   ••••• •••• •••(٢)
وما ذاك جــبناً بل حــياءً وعفةً   من الحي أن يدروا بمن شفني حــبا (٣)

و محبوبته في شعره عربيةٌ من جزيرة العرب ، وليست بأندلسية (٤)، وهي دائماً غاضبةٌ صــادةٌ نافرةٌ هاجرةٌ ، وهو في هذا يسير على نهج القدماء :

ولله ذات القلب والحجل كلما   أحاول أن ترضىٰ تطلّع لي غَضبیٰ (٥)

ويقول :

يا من لها خلف المواعــد عادةً   أمــن الوفاء سطاك بالهيمان
أردفت في هجري كردفك غلظةً   وشــبيه خصرك رقةً جثماني
بالله قولي يا ابنة الأقيال مــا   هذا العقاب و ما أنا بالجانــي
هلا أبحت من الرضى ممنوعه   إن الكرامَ مظنة الإحسان (٦)

---

(١) راجع: فصل الغربة والحنين .
(٢) غيرواضح في نص الديوان
(٣) ديوان ابن الأبار ص ٦٦
(٤) راجع : فصل الصراع والمواجهة
(٥) السابق ص ٦٦
(٦) السابق ص ٢٩٤

ويقول وفيه إشارة إلى مواضع بالجزيرة :

أمّوا العقيق فعاقوا العاشقين ولو عاجوا على منعجٍ قضى الهوى إربا(١)

وهو على عادة القدماء متذللٌ للمحبوبة :

لا تشمتوا بي إن ذللت لعزها فهوى الغواني أصل كل هوانِ (٢)

وأحيانا يبالغ في تصوير البكاء من هجر الحبيبة ، فيبكي بدموع غزيرة ، بل يبكي بدل الدموع دماً :

بكيت على تلك الحقائب حقبةً وحقّ لعيني أن تسحّ وتسكبا
نزاعاً لخودٍ أُشرب القلبُ حبَها فبات على جمر الغضى متقلبا
أراد بإردائي سوابق عبرتي ولو شئتُ لم يفقد بها الركب مشربا
وأدرؤها حمراً كلون خضابها بفضل ردائي خائفا مترقبا (٣)

....

(١) السابق ص ٧٣

(٢)السابق ص ٢٩٥

(٣)السابق ص ٩٦ والأرداء : أكمام القميص انظر : الصحاح .

ب ـ مصادر الصورة في شعر ابن الأبار :

يمكن إرجاع الصورة في شعر ابن الأبار إلى ثلاثة مصادر :

الأولى : الطبيعة والكون من حوله ، إذ يكثر في صوره ذكر النجوم والشمس والقمر والصحراء والمطر ، وغير ذلك ، يقول مثلاً :

هل العيش إلا أن أغازل غادةً يحاسن مرآها الغزالة والبدرا (١)

ويقول :

قد أخجل الشمس أن الشمس غاربةٌ ومذ تطلعت لم يغربْ محياكِ (٢)

ويقول :

كأن كتائب الباغين حَزنٌ وبأس المرتضى ريح الشمال (٣)

الثاني : مصادر تراثية تعتمد على محفوظه من الصور في الشعر العربي ، مثل تشبيه جرأة الممدوح بجرأة الأسد ، وتشبيه استدارة وجه الحبيب وضوئه باستدارة القمر وضوئه ، وما شابه ذلك من الصور التراثية ، يقول مثلاً :

واهاً لهيمانَ يلقى الأسد ضاريةً يوم النزال وينبو حين يلقاك (٤)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢٠٦

(٢) السابق ص ٢٢٠

(٣)السابق ص ٢٢٦

(٤)السابق ص ٢٢١

ويقول :

لا تستطيع حميا الخمر تسكرني   وقد تساقطت سُـــكراً من حمياكِ (١)

ويقول في مدح المرتضى :

ولا زالت الدنيا بجدواه روضةً   وأبناؤها تشدو بأمداحه ورقـــا (٢)

الثالث : مصادر ثقافية عامة ، ولا يخفى ما يمتاز به ابن الأبار من الثقافة الواسعة ، والاطـــلاع في شتى مناحي الفكر ، فهو ــ كما أسلفنا ــ حافظ للقرآن الكريم ولكثيرٍ جداً من أحاديث الرســول صلى الله عليه وسلم ، و مطلعٌ على الأدب العربي الذي سبقه ، شعره ونثره ، ويمتلك ثروةً لغوية ، تدفع القارئ لشعره ، في أحايين كثيرة ، للعودة إلى المعاجم ، لتجلية معاني بعض الألفاظ ، كمـا أنّ لديه معرفةً واسعةً بعلوم البلاغة المختلفة ، وله إطلاع على علوم الفلك والنجــوم ، وكثــيرٍ مــن معارف عصره المختلفة (٣).

....

(١) السابق ص ٢٢٠

(٢)السابق ص ٣٨٦

(٣) راجع : فصل التناص .

الفصل الرابع

في التنـــــــاصّ

****

في التناص

_ ١ _

يعرف علماء البلاغة الاقتباس بأنه تضمين المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ، على وجهٍ لا يُشعر بأنه منهما ، وأجازوا أن يُغَيَّر في الأثر المقتبس قليلاً ، وهو بذلك يختلف عن الاستشهاد ، ومن أمثلة الاقتباس من القرآن في الشعر قول الشاعر :

وثغرٍ تنضد من لؤلؤٍ ... بألباب أهل الهوى يلعبُ
إذا ما ادلهمت خطوب الهوى ... (يكاد سنا برقه يذهبُ)

ومن النثر كقول الحريري صاحب المقامات : " أنا أنبئكم بتأويله ، وأميز صحيحه من عليله "

ومثال الاقتباس من الحديث قول الشاعر :

لا تعادِ الناس في أوطانهم ... قلما يُرعى غريب الوطنِ
وإذا ماشئت عيشاً بينهم ... (خالق الناس بخلقٍ حسنِ)

ومن النثر قول الحريري أيضاً :" وكتمان الفقر زهادة ، و (انتظار الفرج بالصبر) عبادة " (١)

---

(١) انظر جواهر البلاغة ص ٤١٤، ٤١٥وكتاب علم البديع / د. عبد العزيز عتيق ص ٢٠٨ وما بعدها

ويقسم علماء البلاغة الاقتباس إلى قسمين هما :

١ــ اقتباس الفظ والمعنى .

٢ــ اقتباس الفظ مع تغيير المعنى .

وقد ذمّ علماء البديع الاقتباس في الهزل ، لأن ذلك يسيء إلى قدسية القــــرآن الكـــريم والحديث ، واستنكروا قول الشاعر :

أوحى إلى عشاقه طرفه   هيهات هيهات لما توعدون

و ردف ينطق من خلفه   لمثل هذا فليعمل العاملون (١)

أما التناص فهو مصطلح حديث لعل أبسط تعريف لـــه هو التقاء نصٍ بنص أقــدم منــه ، أو بصيغةٍ أخرى هو تسلل المخزون الذهني من المقروء إلى النص بقصد أو بدون قصد ، ولــذا يمكن القول إنه جزء من التأثر بالمقروء ــ أيــاً كان نوع هذا المقروء ــ من حيث الفكــرة أو اللفظ ، وقد يسهم تداعي المعاني وتوارد الخواطر في التناص (٢) .

ومن النقاد من يدخل الاقتباس في التناص ، أو يعد الاقتباس تناصاً ، غير أن هذا فيه إساءة إلى القرآن والحديث ، ذلك لأن توارد الخواطر يعد من التناص ، و من الإساءة أن نقــول إن هذا المبدع أو ذاك تواردت خواطره مع الوحي الإلهي ، ولهذا ينبغي التفريق بينهما .

ولقد حل التناص إشكالــية الســرقات الشعرية التي كثر الحديث عنها عنـــد النقــاد القدماء ، ذلك لأن الاســتفادة من النصوص القديــمة وتوظيفها في نصٍ جديد ــ سواء من

---

(١) انظر جواهر البلاغة ص ٤١٤

(٢) انظر النص و التناص ، مقالة بقلم رجاء عيد عن مجلة علامات في النقد مج٥ ج١٢رجب ١٤١٦

السرقات الشعرية أو التضـــمين أو المعارضات ـــ بشكلٍ يسهم في إثراء النـــص اللاحـــق ، ويكسبه شيئاً من القيمة والجمال يعد إبداعاً .

والتناص لا يعني المحاكاة ، أو التكرار الباهت ، وإنما يقصد به الاستفادة من النصـــوص السابقة ، لتكوين علاقات جديدة ، ذات سمات خاصة ، وهذه العلاقات قد تكون علاقـــة تحويل أو تبديل أو تقاطعٍ أو اختراق ، أو تكرارٍ للعلاقة القديمة لتأكيدها ، ويمكن ألا نجـد في النص استدعاءً لنصٍ سابقٍ محدد ، ولكننا نتحسس جملة من النصوص السابقة قد أذيـــبت فيه .(١)

ويقرر النقاد المحدثون أن النص بناء ، وأن هذا البناء لا ينشأ من فـــراغ ، ولا يظـــهر في فراغ ، إنه يظهر في عالمٍ مليءٍ بالنصوص ، وعليه فإن في داخل النص نصوصاً ذائبة فيـــه ، وبذلك يصبح النص القديم غائباً ، وهو ما يسمونه بالإحلال والإزاحة ، فالنـــص اللاحـــق يزيح القديم ويحل محله ، ومن هنا فإن ثمة حركية ، وتفاعل جدلي بـــين النـــصّ والنصـــوص السابقة عليه .(٢)

وعلى هذا يرون أن استقلالية النصّ مغالطة ، لأن كل نص لابد وأن يكون قد أذيب فيــه نصوص سابقة عليه ، وهو ما يسمى بتداخل النصوص ، ولذا يطالبون بوضع النص في سياقه الزمني عند تقييمه ، لمعرفة السابق واللاحق (٣).

---

(١) انظر: مقالة النص والتناص ، رجاء عيد / علامات في النقد مج٥ ج١٢

(٢) راجع : مقالة التناص وإشاريات العمل الأدبي ،صبري حافظ مجلة ألف ع٤ ١٩٨٤م
تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، د. محمد مفتاح ص١١٩ وما بعدها

(٣) انظر : مقالة النص والتناص ، رجاء عيد / علامات في النقد مج٥ ج١٢

كما أن هذا يعني أن في كل نص علاقات خارجية عنه ، وداخلية ، ولكل نص عناصره ، ولكل عنصر دور محدد في خريطة العلاقات داخل النص نفسه (١).

_ ٢ _

وفي الأدب العربي القديم لاحظ بعض النقاد القدامى هذه الظاهرة (٢) ، ولكنهم أرجعوها إلى السرقات وما يتبعها ، وقسموها إلى أنواع ، منها ما هو مقبول لديهم ، ومنها ما هو مردود ، وعندهم أن " من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقا ، فإن غير بعض اللفظ كان سالخاً ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه "(٣)

ويسمون توارد الخواطر (المواردة) ، يقول ابن رشيق : " وأما المواردة فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس وطرفة (٤)، ولا أظن هذا مما يصح ، لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين ، وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلاً ، واسمه وشعره أشهر من الشمس ، فكيف يكون موارده ؟ إلا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت حتى استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف ، وإذا صح هذا كان موارده وإن لم يكونا في عصر ،

(١) انظر : مقالة التناص وإشاريات العمل الأدبي ،صبري حافظ مجلة ألف ع٤ ١٩٨٤م

(٢) انظر: العمدة ص ٢٨١ وما بعدها

(٣) العمدة في صناعة الشعر و نقده ص ٢٨١

(٤) إشارة إلى قول امرىء القيس في معلقته :

وقوفاً بها صحبي علي مطيكم يقولون لا تهلك أسىً و تجملِ

وقول طرفة :

وقوفاً بها صحبي علي مطيكم يقولون لا تهلك أسىً وتجلدِ

وسئل أبو عمرو بن العلاء : أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلقَ واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول الرجال توافت على ألسنتها ، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على الحافر " (١)

وينقل ابن رشيق في العمدة عن عبد الكريم (٢) ، قوله : " واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز ، وتركه كل معنىً سبق إليه جهل ، ولكن المختار عندي أوسط الحالات "(٣)

ولقد شغل النقاد العرب القدامى بقضية السرقات الشعرية ، وحاولوا متابعة المعاني المشتركة عند الشعراء ، وكشف ما يتستر من المعاني المسروقة ــ على حد رأيهم ــ وراء صيغ شعرية جديدة ، وكان في ذلك كثير من التحامل ضد بعض الشعراء .(٤)

ويرى الدكتور محمد مندور ، في كتابه النقد المنهجي عند العرب ، " أنه من الواجب أن نميز بين أشياء ، فهناك :

١ــ الاستيحاء : وهو أن يأتي الشاعر أو الكاتب بمعانٍ جديدة تستدعيها مطالعاته فيما كتب الغير.

٢ــ استعارة الهياكل : كأن يأخذ الشاعر أو الكاتب موضوع قصيدته أو قصته عن أسطورة شعبية أو خبر تاريخي وينفث الحياة في هذا الهيكل حتى ليكاد يخلقه من العدم .

٣ــ التأثر : وهو أن يأخذ شاعر أو كاتب بمذهب غيره في الفن أو الأسلوب ، ولقد يكون

---

(١) العمدة ص ٢٨٩

(٢) هو عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الشاعر ، نقل عنه ابن رشيق في العمدة كثيراً ، ولم أقع له على ترجمة ، انظر العمدة ص ٢٤

(٣) العمدة ص ٢٨١

(٤) انظر النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور ص ٣٥٧ وما بعدها

هذا التأثر تتلمذاً ، كما قد يكون عن غير وعي ، وإنما النقد هو الذي يكشف عنه .
٤ـ وأخيراً هناك السرقات ، وهذه لا تطلق اليوم إلا على أخذ جملٍ أو أفكـارٍ وانتحالها بنصها دون الإشارة إلى مأخذها ، وهذا قليل الحدوث في العصر الحديث وبخاصة في البلاد المستنيرة " (١).

والواقع أن التناص يعني الأنواع الثلاثة الأولى التي تحدث عنها الدكتور مندور ، الاستيحاء والتأثر واستعارة الهيكل ، بل هو أشمل إذ يمكن أن يدخل فيه ما أطلق عليه البلاغيون (التضمين) ، بالإضافة إلى الاستفادة من النصوص الشعرية السابقة والحكم والأمثال وغير ذلك .

ـ ٣ ـ

وإذا عدنا إلى ابن الأبار ــ موضوع دراستنا ــ فإنه بطبيعة الحال لا يمكننا استقصاء كل ما في ديوانه من تناص ، ولذلك سنكتفي بعرضٍ لنماذج نتبين من خلالها ، ما استفاده ابن الأبار من النصوص السابقة له .

لقد كان ابن الأبار ــ كما أسلفنا ــ فقيهاً ومحدثاً بل عالماً من علماء الحديث ، وأديباً مثقفاً ، مطلعاً على التراث ، ومؤرخاً ، صنف العديد من الكتب والمصنفات ، في التاريخ ، وتراجم الرجال ، والأدب ، وهو مع ذلك شاعر له ديوان شعرٍ ضخم (٢).

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٥٩
(٢) راجع مقدمة البحث والمدخل

وكما عرف من سيرته ، فقد كان يحفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث ، والمتون ، فضلاً عن دواوين الشعر ، والكتب والمصنفات ، التي أجازه فيها أكثر من عالمٍ من علماء الأندلس .

ولا غرابة بعد ذلك أن ينتقل شيءٌ كثير مما يحفظ إلى شعره ، سواءً قصد هو إلى ذلك أم لم يقصد ، وهذا هو التناص بعينه ، الذي يتحدث عنه الأدباء والنقاد المحدثون ، وهو أشمل مما كان يسميه القدماء السرقات الشعرية ، وما يتبعها ، كالاقتباس والتضمين والعقد والتلميح والتورية بمصطلحات العلوم ، وغيرها (١).

وفي الصفحات التالية سنحاول دراسة التناص في شعر ابن الأبار ، من خلال المحوريين التاليين :

أولاً ـــ *التناص في البناء العام* :

القارئ المتأمل لديوان ابن الأبار ، يجده مغرماً بمعارضة النماذج المشتهرة لكبار الشعراء ، ولقد بنى كثيراً من قصائده على هياكل شعريةٍ جاهزة (٢)، ومن ذلك معارضته لقصيدة أبي فراس الحمداني :

أراك عصـي الدمـعِ شيمتك الصـبر أما للهـوى نـهيٌ عليك ولا أمـرُ(٣).

(١) اختلف في تقسيمها القدماء كالبغدادي في خزانة الأدب ، والأنباري في اللمعة في صنعة الشعر وغيرهما

(٢) راجع المعارضات الشعرية ، د. عبد الرحمن السماعيل دراسة تاريخية ونقدية ص ٣٤ وما بعدها

(٣) ديوان أبي فراس ص ١٥٧

بقصيدة في مدح السلطان أبي زكريا ، يفتتحها بقوله :

تــهاب السيوف البيض والأسل السمر وأقــتل مــنهن الغلائل والخُــمر (١)

والقصيدتان متفقتان في الوزن والروي ، فهما من بحر الطويل ، ورويهما حـــرف الــراء المشبعة بحركة الضم ، غير أنهما مختلفتان قليلاً في الغرض ، فالغرض الرئيس في قصيـــدة أبي فراس الفخر ، ويفتتحها بالغزل ، بينما الغرض في قصيدة ابن الأبار المديــح ، ويفـــتتحها بالغزل أيضاً ، ويأتي غرض الفخر ممتزجاً بالمديح في نهاية القصيدة .

ومما يؤكد التقاء النصين التقاربُ في عدد الأبيات ، إذ يبلغ عدد الأبيـــات في نــص أبي فراس (٥٤) بيتاً ، وعدد أبيات نص ابن الأبار (٤٧) بيتاً ، والقصيدة مبتورة من آخرها كما يشير محقق الديوان .

ويؤكد التقاء النصين أيضاً اتفاق بعض ألفاظ القافية ، مثل : (خَمرُ ، نــكرُ ، الصـــبرُ ، بدرُ ، مــرُ ، قبرّ ، وفر ، ذكر ، نسر ، عذر ، بحر ، كثر) ، والتشابه بين بعض الأبيــات ، فبينما يقول أبو فراس :

وما حاجــتي بالــمال أبغي وفوره إذا لم أفر عرضــي فلا وفر الوفــر (٢)

يقول ابن الأبار :

فمن ضامــه دهرٌ وألــوى بوفــره فمنــي له نصرٌ ، وعندي له وفر (٣)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢١٥

(٢)ديوان أبي فراس ص ١٦٠

(٣)ديوان ابن الأبار ص ٢١٨

والظاهر أن تعمد المعارضة مقصود ، حتى ولو لم يشر ابن الأبار إلى ذلك ، فالشواهد التي سقناها تؤكد تعمد المعارضة ، وهو ما يسميه النقاد بالمعارضة الصريحة .

وعارض أيضاً قصيدة للمتنبي ، يمدح ويشكر سيف الدولة ، بعد أن أقطعه إقطاعاً بناحية معرة النعمان ، مطلعها :

أيا رامياً يصمي فؤاد مرامه　　تربي عداه ريشها لسهامه
أسيرُ إلى إقطاعه في ثيابه　　على طرفه من داره بحسامه (١)

ويقول ابن الأبار في مدح السلطان أبي زكريا و شكره بعد العفو عنه :

هنيئاً له عادى أعادي إمامه　　مكاثرةً وقع الحيا من غمامه (٢)

ويلاحظ أن القصيدتين متفقتان في الغرض والوزن والروي ، فغرضهما الشكر والمدح ، وكلاهما من بحر الطويل ، ورويهما الميم المشبعة بحركة الكسر ، وهاء الوصل(٣).

ومما يؤكد التقاء النصين وتعمد المعارضة ، أن ابن الأبار يختم قصيدته بتضمينها بيتاً كاملاً للمتنبي ، يقول :

أرى منه بدر الملك دون سراره　　وأبصر بحر الجود غير غرامه
حبا وحمى في عسرةٍ ومخافةٍ　　فها أنا ذا في كله واحترامه
(أسير إلى إقطاعه في ثيابه　　على طرفه من داره بحسامه) (٤)

---

(١) ديوان المتنبي ص ٤٠٤
(٢) ديوان ابن الأبار ص ٢٦٦
(٣) انظر أهدى سبيل إلى علمي الخليل ص ١١٩ (٤) ديوان ابن الأبار ٢٦٧

ومن المعارضات أيضاً ، معارضته لقصيدة أبي تمام في رثاء المعتصم ، وتهنئة ابنه الواثق ، والتي مطلعها :

ما للدموع تروم كل مرامِ   والجفن ثاكل هجعةٍ ومنامِ (١)

فقد عارضها ابن الأبار ، عندما رثى السلطان أبا زكريا ، وهنأ ابنه المستنصر بالخلافة ، والنصان يلتقيان في الوزن والروي والغرض ، فكلاهما من بحر الكامل ، ورويهما الميم المشبعة بحركة الكسر ، وغرضهما الرثاء ، يقول ابن الأبار :

بيني ثلاثاً سلوة الأيامِ   أودى الحمام بناصر الإسلامِ (٢)

ويشير ابن الأبار في نهايتها ، إلى سبق أبي تمام له بخلط التهنئة مع التعزية ، بل ويضمن قصيدته بيتاً كاملاً من قصيدة أبي تمام ، يختم به القصيدة ، ليؤكد تعمد المعارضة وصراحتها :

يا خجلتي للفكر أقعده الأسى   عن نهضةٍ بحقوقها وقيامِ

كنتُ المطيل مهناً ومعزياً   لكن كفانيها أبو تمامِ

(تلك الرزية لا رزية مثلها   والقسم ليس كسائر الأقسامِ) (٣)

ومن القصائد التي عارضها ابن الأبار ، قصيدة الحصري القيرواني الضرير (٤)، الشهيرة ، (ياليل : الصبّ متى غده ؟) وهي من عيون الشعر العربي ، ذاعت شهرتها في أندية الأدب ، ومجالسه ، وتناقلها الناس جيلاً بعد جيل ، وعارضها كثير من الشعراء ، حتى في عصرنا الحديث .

---

(١) شرح ديوان أبي تمام ص ٢٦٠   (٢) ديوان ابن الأبار ص ٢٦٢

(٣) السابق ص ٢٦٥   (٤) انظر : ياليل الصب ومعارضاتها ، محمد المرزوقي ص ١٢ ، علي الحصري دراسة ومختارات ص ١٧٣

والقصيدة من بحر المتدارك ، وغرضها الغزل ، ونسج ابن الأبار على منوالها في مدح السلطان أبي زكريا ، وافتتحها بالغزل ، يقول :

مرقوم الخد مورده   يكسوني السقم مجرده
شفاف الدر له جسد   بأبي ما أودع مجسده (١)

وملاحظٌ تلاقي النصين في الوزن والتقفية ، كما أن ابن الأبار يحاول في غزله أن يقترب من القصيدة المعارضة ، فتأتي ألفاظه رقيقة ، وتسير في معانيها على غرار سابقتها ، من حديثٍ عن صدود الحبيب ، وفناء المحب ، وجناية العين ، وحمرة الخد ، وغير ذلك من المعاني التي يجدها القارئ في قصيدة الحصري .

ومن خلال هذه النماذج السابقة يمكن القول ، إن ابن الأبار يستغل الهياكل الجاهزة ، ويصوغ فيها تجاربه الشعرية ، ويبدع أحياناً في ذلك ، لما يمتلكه من أدواتٍ لغوية ، وشاعرية وخيال ، تمكنه من الاقتراب كثيراً من أساليب النصوص التي عارضها ، وقد يتفوق عليها أحياناً ، كما نجد في قصيدته التي يرثي فيها السلطان أبا زكريا :

بيني ثلاثاً سلوة الأيام   أودى الحمام بناصر الإسلامِ
ودعا دعامته إلى تعويضها   تأسيسه بالترب دار مقامِ
ودهى الورى من ثكل هاديهم بما   أعيا على الأفهام والأوهامِ (٢)

والقصيدة رائعة ، تعبر عن مدى حزن ابن الأُبار على فقد ذلك السلطان .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١٥٤
(٢) السابق ص ٢٦٢

ثانياً ــ التناص في اللفظ والعبارة والتركيب والمعنى :

ويمكن أن ندخل في هذا النوع من التناص ، ما يلي :

١ــ الاقتباس من القرآن الكريم .

٢ــ = = الحديث الشريف .

٣ــ الإيداع أو التضمين من الشعر .

٤ــ توظيف الأمثال والحكم .

٥ــ التلميح ، والإشارات التاريخية .

٦ــ التورية بمصطلحات العلوم .

١ــ الاقتباس من القرآن الكريم :

وفي شعر ابن الأبار يظهر بوضوح تأثره بالقرآن الكريم ، بل وبالألفاظ الإسلامية عامة ، وأحياناً يورد جزءاً من الآية بنصها ، مثل قوله في مدح أمراء الموحدين :

(انظرونا نقتبس من نوركم) وادرؤوا عنّا شجىً قد وشجا (١)

و قد اقتبسه من قوله تعالى : { يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ... الآية } الحديد ١٣ ، وهو في هذا الاقتباس يتابع عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ، الذي مدح إدريس بن حمود ، بنونيته المشهورة :

ألبرقٍ لائحٍ من أندرين ذرفت عيناك بالماء المعين (٢)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١٠٨

(٢) نفح الطيب مج ١ ص ٢١٤ ، وقد ختمها بقوله :

انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور رب العالمين

ومثل ذلك قوله :

هتفتُ بــكم : قلبي لديكم فعرجوا أودعــه إذ خبَّ المطيُ بكم وبــي
وإلا فــردوه عــليّ فإنـــه (متاعٌ قليلٌ) بــعد قــلبي تقلبــي (١)

وهو مقتبس من قوله تعالى : { متاعٌ قليلٌ ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد } آل عمران ١٩٧

وأحياناً يقتبس ابن الأبار عبارات من القرآن الكريم ، فيقدم ويؤخر فيها لتتساوق مــع الوزن ، يقول :

لو ترانا بالهوى نشكو الجوى والمطايا تحتنــا تشــكو الوجا
ذهــبت نفسك ، والله على ما لقيــنا حسراتٍ وشــجى (٢)

وقد اقتبسها من قوله تعالى : { فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ... الآية } فاطر ٨ .

ومثل ذلك قوله :

وتــمد نور الشمس منه غرةٌ يرتد عنها الطرف وهو حسير(٣)

وهو ينظر هنا إلى قوله تعالى : { ثم ارجع البصر كرتين ينقلبْ إليك البصر خاســئاً وهــو حسير } الملك ٤.

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٥٨

(٢) السابق ص ١٠٩

(٣) السابق ص ٢٠٤

ومن ذلك أيضاً قوله :

قضى صادق الآثار في أمرك الأرضى   بأن تملك الدنيا وأن ترث الأرضا (١)

أفاده من قوله تعالى : { إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده } الأعراف ١٢٨

ونحو ذلك قوله :

نُقصتْ بأهل الشرك من أطـــرافها   فاستحفـــظوا بالمؤمنين بقاءهـــا (٢)

أخذه من قوله تعالى : { أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ... } الرعد ٤١

....

وإذا كان القرآن الكريم يستخدم أسلوب التبشير للذين كفروا ، على سبيل الســــخرية منهم ، والتوعد لهم ، مثل قوله تعالى : { بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً } التوبــة ١٣٨ ، وقوله جل ذكره : { وبشر الذين كفروا بعذابٍ أليم } التوبة ٣ ، فقد استخدم ابن الأبـــار ذلك الأسلوب القرآني ، في مثل قوله :

بشـــر زناتـــة بالهيجـــاء مسفرةً   عن كـــل ذي قدرٍ لا حول يدرؤه (٣)

....

(١) ديوان ابن الأبار ص ٣٤٥

(٢) السابق ص ٣٦

(٣) السابق ص ٤٤

ويرد كثيراً بعضُ الألفاظ القرآنية ، في ثنايا شعر ابن الأبار ، يقـــول في معـــرض مدحـــه للسلطان :

واطلعَ بأفـــق الناصرية باهـــرًا   يأفـــل أمامـــك كلُّ باغٍ هاربا (١)

أفاده من قوله تعالى : { فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قـال لا أحب الآفلين } الأنعام ٧٦

ومثله قوله :

إمامـــته ألـــوت بكـــل إمامةٍ   وبالصـــبح وضـــاحاً جلاء الغياهبِ
هي العروة الوثقى ومن يعتصم بها   فـــليس يـــبالي ناجياً بالـــمعاطبِ (٢)

اقتبسه من قوله تعالى : { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطـاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم } البقرة ٢٥٦

وقوله يندب حظه :

وللحظ لحظٌ كلَّ دونـــي خاسئا   كأني وإياه شعاعٌ وأرمد (٣)

نظر فيه إلى قوله تعالى : { خاسئاً وهو حسير } الملك ٤ .

---

(١) الديوان ص ٧١

(٢) السابق ص ٨٢

(٣) السابق ص ١٧٢

ومن الألفاظ القرآنية ، قوله :

ولم يـــك في حسابي أن تجـــوروا كما جـــرتم عليّ وأن تميلوا (١)

أخذه من قوله تعالى : { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كـــل الميل فتذروها كالمعلقة ... الآية } النساء ١٢٩

ومنه قوله :

تواصوا بصبرهـــم في الجـــلاد وأودوا بخصمهم في الجدالِ (٢)

نظر فيه إلى قوله تعالى : { إلا الذين آمنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر ٣

وقريب منه قوله :

لقد صبروا فيها كراماً وصابروا فلا غرو أن فازوا بطيب المكارمِ (٣)

أفاده من قوله جل ذكره : { يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطـــوا واتقـــوا الله لعلكم تفلحون } آل عمران ٢٠٠

ومثل ذلك كثير وظاهر في كثيرٍ من القصائد .

....

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢٢٦

(٢) السابق ص ٢٢٩

(٣) السابق ص ٢٧٧

٢ـ *الاقتباس من الحديث الشريف :*

واقتبس ابن الأبار عباراتٍ وألفاظاً من الحديث، في شعره ، فمن العبارات قوله :

(هم القوم لا يشقى جليسهم بهم)   وحسبي أن يغشى مجالسهم قلبي (١)

وقد أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم ، من حديثٍ قدسي طويل (... هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) (٢)

ومن اقتباس الألفاظ قوله ، من قصيدة ألقاها بين يدي السلطان أبي زكريا ، عند التجائه لتونس ، بعد سقوط بلنسية ، وفيها يصف حاله وحال بناته ، وضعفهم :

قواريرُ لم يربأ بها البحر سابقاً   ولا ذاد عنها البر حمل الفوادح (٣)

وواضح أن إطلاقه لفظ قوارير ، كنايةً عن بناته ، قد اقتبسه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، من حديثٍ طويل : (يا أنجشة رويدك سوقاً بالعوازم أو بالقوارير) (٤)

ومثل ذلك أيضاً قوله :

هلا أبحتِ من الرضى ممنوعه   إن الحسان مظنة الإحسانِ (٥)

وقد استفاده من قوله صلى الله عليه وسلم : (اطلبوا الخير من حسان الوجوه)(٦)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٩١

(٢) الأحاديث القدسية ج ١ ص ١٨

(٣) ديوان ابن الأبار ص ١٢٥   (٤) غريب الحديث ج/١ ص ٥٢٥

(٥) ديوان ابن الأبار ص ٢٩٤   (٦) المقاصد الحسنة ص ١٢١

ومثل ذلك أيضا ، قوله من قصيدة يمدح بها أبا زكريا :

غزهم جيوش الرعب قبل جيوشه فإن أخذوا هوناً فقد وقذوا وهنا (١)

وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) (٢)

٣_ الإيداع أو *التضمين من الشعر :*

مصطلح التضمين عند أهل العروض والقافية ، يعني " تعليق البيت بصدر البيت الذي بعده " (٣)

وعند أهل البديع ، يعنون به : أن يودع الشاعر أو يضمن كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير ، سواءً كان بيتاً كاملاً ، أو جزءاً من بيت ، ويجوز للشاعر أن يتصرف فيما ضمن تصرفاً يسيراً .

ويهدف المبدع من التضمين ، توثيق دلالة ما ، أو تأكيد موقف ، أو ترسيخ معنى ، أو نفي فكرة ، أو رفض مقولة . (٤)

وفي نماذج المعارضات السابقة ، رأينا كيف كان ابن الأبار يضمن معارضاته بعضاً من أبيات القصائد التي عارضها .

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٢٩٦

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مج/١ ص ٤٣٦

(٣) انظر : أهدى سبيل إلى علمي الخليل ص ١٣٣

(٤) انظر : مقالة النص والتناص ، رجاء عيد / علامات في النقد مج٥ ج ١٢

وأحياناً يضمن أبياته ألفاظاً وصيغاً من بعض القصائد الشهيرة ، يقول موجهاً الخطـــاب للأعداء ، من قصيدةٍ قالــها بمناسبة إنجاد السلطان أبي زكريا لبلنسية :

تعالوا إنـــها أسدٌ خماصٌ بأيدها لــكم أسلٌ ظماءُ (١)

أفاده من قول حسان رضي الله عنه :

يبارين الأسنة مصغياتٍ على أكتافها أسلٌ ظماءُ (٢)

ومثله قوله :

فإن متُّ شوقاً أو فنيتُ صبابةً خذا بدمي ذاك البنانِ المخضبا (٣)

وقد أخذه من قول يزيد بن معاوية :

خذوا بدمي ذات الوشاح فإنني رأيت بعيني في أناملها دمي (٤)

....

ومن تضمين الألفاظ ، قوله :

نمتها الصيد من مضرٍ وفيها البيت والعـــدد

وربتها القصور البيـــ ــض لا العلياء والسند(٥)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٤٧

(٢) سيرة ابن هشام مج ٤ ص ٤٤ ، ديوان حسان بن ثابت ص ٦٠

(٣) ديوان ابن الأبار ص ٩٧ (٤) الأغاني ج/٧ ص١٠

(٥) ديوان ابن الأبار ص ١٣٥

وظاهر أنه أخذ لفظي العلياء والسند ، من معلقة النابغة الذبياني :

يا دار مية بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأمد (١)

ومثل ذلك قوله :

وحن القلب أعشاراً إليها   حنين الواهات من العشارِ (٢)

وقد أفاده من قول امرئ القيس :

وماذرفت عيناكِ إلا لتقدحي بسهميك   في أعشار قلبٍ مقتلِ (٣)

ومثله أيضاً ، قوله :

يذكر فيها الشمس والبدر كلما   رميت بلحظي طلعة الشمس والبدر (٤)

ولعله نظر فيه إلى قول الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخراً   وأذكره لكل غروب شمس (٥)

ومثل ذلك قوله :

ملك يدعو نداه الجفلى   حين لا تدعوا الملوك النقرا (٦)

---

(١)المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، أحمد الأمين الشنقيطي ص ١٣٥

ديوان النابغة الذبياني ص ١٤

(٢) ديوان ابن الأبار ص ١٩٩ (٣)ديوان امرئ القيس ص ١١٤

(٤)ديوان ابن الأبار ص ٢٠٩

(٥) ديوان الخنساء ص ٦٨ (٦) ديوان ابن الأبار ص ١٨٧

أخذه من قول طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الآدب فينا ينتقر (١)

....

ويضمن أحياناً أبياته بعض المعاني والأفكار ، يستفيدها من شعرٍ سابق ، مـــع تغـــــيير في اللفظ ، ومن ذلك قوله :

وما علمت أنا قنائص لحظها   ورب مهاةٍ تقنص الليث أغلبا (٢)

أخذه من قول يزيد بن معاوية :

قد خلفتني طريحاً وهي قائلةٌ   تأملوا كيف فعل الظبي بالأسدِ (٣)

ومثل ذلك قوله :

ولقد نظرت فلم أجد أقوى على   غصب النهى من فاتر الأجفانِ (٤)

ولعله أفاده من قول جرير :

إن العـــيون التي فـــي طرفها مرضٌ   قـــتلننا ثـــم لم يـــحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا صراع به   وهن أضعف خلق اللـــه أركانا (٥)

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٥٥

(٢) ديوان ابن الأبار ص ٩٦

(٣) الأغاني ج ١٧ ص ١٠٨

(٤) ديوان ابن الأبار ص ٢٩٤

(٥) شرح ديوان جرير ص ٥٩٥

ومثل ذلك قوله :

فكل تمامٍ ليس يؤمن نقصه   وهذا تمامٌ باهر يأمن النقصا (١)

وربما استفاده من قول أبي البقاء الرندي :

لكل شيءٍ إذا ماتم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان (٢)

و مثل ذلك قوله في الرثاء :

لهفي عليه مودعاً لا يقتضى   لذهابه حتى الحساب رجوع (٣)

وربما أخذه من قول صاحب العقد الفريد ، في رثاء ولده :

يا غائباً لا يرتجى لإيابه   ولقائه دون القيامة موعدا (٤)

وأحياناً يغير في بعض الألفاظ ، لتتساوق العبارة مع الوزن ، يقول :

لقحت حربهم عن حيالٍ   أنسوا إلحاقهم باللقاح (٥)

والحيال انـعدام الحمل عند الأنثى ، ومنه حالت الناقة ، والمعنى لم يستفيدوا من الحـرب ، و منه قول الحارث بن عباد :

قربـا مربط النعامة مني   لقحت حرب وائلٍ عن حيال (٦)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ٣٤٢   (٢) نفح الطيب مج/ ٤ ص ٤٨٧

(٣) ديوان ابن الأبار ص ٣٥٨   (٤) العقد الفريد مج/٢ ج/ ٣ ص ١٨٢

(٥)ديوان ابن الأبار ص ١١٩

(٦) انظر : الأصمعيات ص ٧١

ومثل ذلك قول ،الشريف الرضي :

أي طودٍ دك من أي جبالٍ   لقحت أرض به بعد حيالِ (١)

و قول أبي تمام :

وهضبتي أبرشتويم ودروذٍ   لقحت لقاح النصر بعد حيال (٢)

و الكناية عن السهر برعي النجوم يكثر في الشعر العربي ، وقد توارد عليه الشـــعراء ، ومن ذلك قول الأعشى :

نام الخلي وبت الليل مرتفقاً أرعى النجوم عميداً مثبتاً أرقا (٣)

وقول الخنساء :

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها   وتارةً أتغشى فضل أطماري (٤)

وقول عمر بن أبي ربيعة :

فبت أرعى النجوم مرتفقاً   من حبها والحب في تعبِ (٥)

وقوله أيضاً :

نام الخلي وبت غير موسدٍ أرعى النجوم بها كفعل الأرمدِ (٦)

---

(١) ديوان الشريف الرضي مج/٢ ص ١٩٧

(٢) شرح ديوان أبي تمام ص ٢١٥

(٣)ديوان الأعشى ص ١٢٤   (٤) ديوان الخنساء ص ٥١

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٦١   (٦) السابق ص ١٠٥

وقول ابن المعتز :

ياليلة بت فيها دائم السهر   أرعى النجوم حليف الهم والفكر (١)

وقول الشريف الرضي :

مغفلٌ عن همومي في بلنهيةٍ   أرعى النجوم وطرفاه قريران (٢)

وقول جرير :

أرعى النجوم وقد مضت غورية   عصب النجوم كأنهن صوار (٣)

ويكني ابن الأبار عن السهر برعي النجوم ، أو رعي الكواكب ، على طريقة سابقيه ، يقول :

قضى ربها رعي الكواكب إنني   متى سمت كانت لي قضايا منجمِ (٤)

ويقول :

لا أرتضي غدر ساجي الطرف غادرني   أرعى النجوم إذا الليل البهيم سجا (٥)

ومثل هذا كثيرٌ في ثنايا الديوان .

---

(١) ديوان ابن المعتز ص ١٨٦

(٢) ديوان الشريف الرضي مج/٢ ص ٤٧٥

(٣) شرح ديوان جرير ص ٢٠٠ ، والصوار قطيع بقر الوحش

(٤) ديوان ابن الأبار ص ٢٨٩

(٥) السابق ص ١٠٤

ونوح الحمام في الشعر العربي ، معنىً أكثر منه الشعراء ، للتعبير عن الحزن والبكـــاء ، ومن ذلك ، قول عبيد بن الأبرص :

وقفت بها أبكي بكاء حمامةٍ أراكية تدعو حماماً أواركا (١)

ومن ذلك قول الخنساء :

أبكي لصخرٍ إذا ناحت مطوقة حمامة شجوها ورقاء بالوادي (٢)

ومنه قول ابن خفاجة الأندلسي :

خفاقة ما بين نوح حمامة هتفت ودمع غمامةٍ مهراقِ(٣)

ومنه قول أبي فراس :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟ (٤)

ونجد ابن الأبار يقترب من هذا المعنى ، فيقول :

وحمامةٌ ناحت فنحتُ إزاءها فلو استمعت لقلت هذا المأتم (٥)

ومثل هذا كثير في ديوان ابن الأبار .

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٠٠ (٢)ديوان الخنساء ص ٣٦

(٣) ديوان ابن خفاجة ص ١٠٥

(٤) ديوان أبي فراس ص ٢٣٨

(٥) ديوان ابن الأبار ص ٢٨٤

٤ـ توظيف الأمثال والحكم :

وتوظيف الأمثال والحكم في الشعر العربي قديم ، وهو على أنواع ، منها :

أ ــ جلب المثل كاملاً دون تحوير .

ب ــ توظيف المثل في السياق بالإلماح ، مع حذف أو تغيير عبارات المثل .

ج ــ اختراع المثل بالبناء على مثلٍ قديم ، وهو أرقى الأنواع ، فبه يثبت الشاعر علو كعبه في استخدام الموروث الحكمي .

ومن نماذج النوع الأول ،قول ابن الأبار :

عود حالاتي منافٍ بدئها ليت شعري ما عدا عما بدا (١)

وقــوله (ما عدا عما بدا) أي ما منعك من كذا إلى كذا ؟ تعبير يجري مجرى المثل ، وقائله ، يوم الجمل ، علي بن أبي طالب لطلحة رضي الله عنهما .(٢)

ومن ذلك ، قوله :

سلم الأملاك لمـــا علموا أن (كل الصيد في جوف الفرا) (٣)

وقوله (كل الصيد في جوف الفراء) مثل مشهور .

ومن نماذج النوع الثاني ، قوله :

وقلتُ أخيفها لتكف عني فقالت : لي يقعقع بالشنانِ (٤)

---

(١) ديوان ابن الأبار ص ١٥٩

(٢) انظر: هامش الديوان ص ١٥٩

(٣) ديوان ابن الأبار ص ١٨٦

(٤) السابق ص ٣٢٣

وقوله (يقعقع بالشنان) ، أخذه من المثل (لا يقعقع له بالشنان) ، والمعنى لا يخدع ولا يروع ، وأصله من تحريك الشنان ، وهو الجلد اليابس للبعير ليفزع (١).

ومن ذلك قوله :

زخرفة العذل في هواها جعجعةٌ لا تفيد طحنا (٢)

و أخذه من المثل المشهور : (أسمع جعجعةً ولا أرى طحنا)

ومن التعبيرات المشهورة ، التي تجري مجرى المثل قولهم (قلب له ظهر المجن) ، والمعنى تغير عليه ، وقد استعمل ابن الأبار هذا التعبير ، فقال :

لقد قلبت للقلب ظهر مجنها ولا ذنب إلا أن أطاع فما يعصي (٣)

٥ـــ *التلميح ، و الإشارات التاريخية :*

والتلميح عند أهل البديع ، هو الإشارة إلى شعر مشهور ، أو قصة تاريخية ، أو مـــا أشـــبه ذلك ، ومن نماذج الإشارات التاريخية في شعر ابن الأبار ، قوله في القصيدة التي رثـــى بهـــا شيخه ، أبا الربيع ابن سالم :

يطالـــبني فيك الوفـــاء بغايةٍ سموت لها حفظاً لتلك المواسمِ
وأبكي لشلوٍ بالعراء كما بكى زياد لقبرٍ بين بصر وجاســـمِ
وأعبد أن يـــمتاز دوني عبدة بعلياء في تأبين قيس بن عاصم (٤)

(١) انظر هامش الديوان ص ٣٢٣
(٢) ديوان ابن الأبار ص ٣٠١
(٣) السابق ص ٣٣٠ (٤) السابق ص ٢٨٣

وزياد هو النابغة الذبياني ، وقوله قبر بين بصرى وجاسمٍ ، إشارة إلى قول النابغة في رثاء النعمان بن الحارث الغساني :

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسمِ بغيثٍ من الوسمي قطرٍ ووابلِ

وقوله (وأعبَدُ) أي آنف ، وعبدة ، هو عبدة بن طبيب ، شاعر جاهلي ، الذي رثى قيس بن عاصم ، بقوله :

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدما (١)

والتأثر بالشخصيات التاريخية ، قديم في الشعر العربي ، وبعضه يجري مجرى المثل ، ومن ذلك قول أبي تمام :

إقدام عمروٍ في سماحة حاتمٍ في حلم أحنف في ذكاء إياسِ(٢)

ومثل هذا يكثر في شعر ابن الأبار ، فهو مؤرخ مطلع على التاريخ وشخصياته ، يقول في مدح أبي زكريا :

ينسى بإقدامه عمروٌ ومذحجةٌ وحاتمٌ بأياديه وطيئه (٣)

ويقول متغزلاً :

لها ملك نعمانٍ وعزة تبعٍ وصولة بسطامٍ وحكمة أكثمِ

ولي وجد خنساءٍ ورقة عروةٍ وهيام غيلانٍ وحزن متممِ (٤)

---

(١) انظر : هامش الديوان ص ٢٨٣

(٢) شرح ديوان أبي تمام ص ٢١١

(٣) ديوان ابن الأبار ص ٤٣

(٤) السابق ص ٢٨٨

٦ـ التورية بمصطلحات العلوم :

وهو يكثر أيضاً في شعر ابن الأبار ، فمن التورية بعلم العروض والقافية ، قوله :

وأصبح دائراً مغناه لا سبب ولا وتـــد (١)

ومن التورية بعلم النحو ، قوله :

جر الكتائب رافعاً راياته فتكافأ المجرور والمرفــوع (٢)

ومن التورية بمصطلحات علوم القرآن ، قوله :

أتى شارعاً في الحبِّ ما شاء (ناسخاً) على رغم أبناء الغرامِ و (محكما)(٣)

ومن التورية بعلوم الحديث ، قوله :

وحديث سلواني متى أُسمعته فاحكم عليه بأنه (موضوع) (٤)

ومن التورية بعلوم الفقه ، قوله :

خلافــته ألوت بكل خلافــةٍ كذلك بطلان القياس مع النصِّ (٥)

ومثل ذلك ظاهرٌ في ثنايا الديوان .

---

(١) السابق ص ١٤٦

(٢) السابق ص ٢٠٢

(٣) السابق ص ٢٦٨

(٤) السابق ص ٣٥٨

(٥) السابق ص ٣٣٦

الخاتـــــمة

****

نتائج البحث ومعطياته

من خلال دراسة مضامين الخطاب في شعر ابن الأبار يتضح أنه كان شاعراً مكثراً من شعراء عصر الموحدين ، عاش الغربة واقعاً وشعراً ، وكان لتنافسه مع أقرانه من أدباء وشعراء عصره ، صدى واضحاً في أدبه ، وربما كان أيضاً من أهم أسباب رقي شعره ، الذي جاء تجسيداً لصراعه مع الغربة ، ومع أقرانه ولداته ، ومع الظروف الصعبة التي عاشها ، في ظل دولة الموحدين .

ولقد كان لحياته في كنف السلاطين والملوك والأمراء ، من حكام عصره ، الانعكاس الواضح على شعره وشخصيته ، فكثر في قصائده المديح ، والاعتذار ، والشكر على العفو ، وكان خوفه من فقد المركز الاجتماعي الذي حققه ، وراء كثير من مشاكله ومتاعبه ، التي انتهت بمقتله .

ومن جانب آخر فإن شعره كان رصداً وتوثيقاً لكثير من المواقف التاريخية ، التي مرت بالدولة الموحدية ، إبان حكم السلطان المرتضى وابنه المستنصر .

كما عكس لنا شعره مذهبه العقدي ، وأسلوبه في الحياة ، وطريقة تعايشه ، مع أصدقائه ومحبيه ، وشانئيه ، و برز واضحاً ، أنه كان سني المذهب ، غير أنه محب لآل البيت حباً شرعياً ، وله من الأصدقاء والمحبين في عصره ، ما يؤكد حقيقة أنه لم يكن بذاك الفظ الذي ينفر منه ، بل على العكس ، كان مثقفاً سوياً متزناً ، غير أن

الحساد والمنافسين ، رسموا له صورة في أذهان بعض دارسي تراثه ، من أنه كان يلقب بالفأر ، وأنه سمي بالأبار ، لأنه كان شديد الهجاء (١).

ومن خلال دراسة مكونات متنه الشعري ، ظهر أنه كان مقلداً لسابقيه ، يسير على منهج القصيدة القديم ، ولا يحاول تجاوزه ، أو تخطيه ، من حيث البناء الهيكلي ، حتى أنه لم يحاول الكتابة في الموشحات أو الزجل ، مع أنه أندلسي ، ومع أنهما فنان جديدان في عصره .

ولعل هذا كان سبباً رئيساً في التقاء كثير من نصوصه بنصوص سابقة ، هذا بالإضافة إلى ثقافته الواسعة ، وقوة حفظه وتأثره بكل ما هضم واستوعب ، من مطالعاته وقراءاته .

وانعكس هذا التقليد والتأثر على صوره الشعرية ، التي استمد كثيراً منها ، من الصور التراثية ، التي في ذاكرته ، ومن الكون ومحتوياته ، والطبيعة من حوله .

و كان لهذا أيضاً دوره حتى في بناء قصيدته الإيقاعي ، إذ نجده يلتزم بقواعد القافية والوزن ، ويتابع السابقين في ذلك ، ولا يحاول الخروج عنه ، فيبني نسبة كبيرة من قصائده على ما شاع استعماله من بحور الشعر ، عند القدماء ، كالطويل والبسيط والكامل والوافر ، ويختار من حروف الروي ، الحروف التي كثر ورودها روياً عندهم .

---

(١) راجع مقدمة تحقيق المقتضب

الملاحق

****

يبين هذا الملحق كل قصائد ابن الأبار الـــواردة في ديوانـــه ، بحســـب أرقامها ، وطالعها ، وقافيتها ، ورويهـــا ، وعدد أبياها ، وأرقام صفحاهـــا وغرضها .

الرقم		القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة	الغرض
	حرف الهمزة					
١	نادتك أندلس فلب نداءها	فداءها	الكامل	٩٠	٣٣	استنجاد ومديح ٦٣٥هـ
٢	غزو على النصر والتمكين منشؤه	مبدؤه	البسيط	٥٠	٤١	مديح ٦٤٠هـ
٣	ظهيراك التوكل والمضاء	انقضاء	الوافر	٤٠	٤٦	مديح أثناء حصار بلنسية
٤	نفوس العالمين لك الفداء	اشتكاء	الوافر	٢٦	٥٠	مديح وتهنئة بالشفاء ٦٤٦هـ
٥	لا تطلبوا بدمي سوى إدماء	تيماء	الكامل	٨	٥٢	غزل في صباه
٦	هل لمعاني الهوى دواء	فداء	مخلع البسيط	٨	٥٣	غزل في صباه
٧	ألم تر للخسوف وكيف أودى	الضياء	الوافر	٢	٥٤	وصف للخسوف
٨	حملت براحتها شبيهة خدها	الصهباء	الكامل	٣	٥٤	غزل
٩	قالوا الخروج لأرض الروم منقصة	باء	البسيط	٣	٥٥	اعتذار عن لجوئه لملك أرجونة ٦٢٦هـ
	حرف الباء					
١٠	أحن إلى ترب ثوى سكناً به	التربا	الطويل	٦	٥٧	يرثي عزيزا عليه
١١	إذا رحل الركب العراقي سحرةً	فالمحصب	الطويل	٣	٥٨	غزل
١٢	إن ضاع قلبي فأين أطلبه	موجبه	المنسرح	٣	٥٩	غزل
١٣	ما للهوى إلا الرصافة مأرب	مشرب	الكامل	٤٧	٥٩	غزل وتشوق لبلنسية
١٤	ورافضةٍ من مائها في هوائها	النواصب	الطويل	١٤	٦٣	وصف دولاب
١٥	يا حبذا بحديقةٍ دولاب	الألباب	الكامل	٦	٦٥	وصف دولاب

١٦	ناولتني العناب أنمل خود	العناب	الخفيف	٣	٦٥	في وصف عناب
١٧	أما بعد حب العامرية من عتبي	والكتبا	الطويل	١٠	٦٦	غزل
١٨	يقر بعيني أن أزور مغانيا	ونلعب	الطويل	٤	٦٦	غزل
١٩	لك الخير أمتعني بخيري روضةٍ	هبوب	الطويل	٤	٦٧	غزل
٢٠	أهلاً بمن أهلة وكواكبا	مواكبا	الكامل	٦٠	٦٧	مديح وغزل ٦٣٨هـ
٢١	دع ما يريب إلى ما ليس بالريب	الرتب	البسيط	٢	٧٢	الثقة بالله
٢٢	دارت السراء فيه قهوة	الأعذبا	الرمل	٣	٧٢	مقدمة مديح
٢٣	لا أعصر الخمر بل لا أغرس العنبا	و الشنبا	البسيط	٤٥	٧٣	غزل و مديح
٢٤	عذلوه في تشبيبه ونسيبه	لحبيبه	الكامل	٤٥	٧٧	غزل ومديح ٦٤٥هـ
٢٥	ألم ترها تسمو لأشرف غاية	الشوازب	الطويل	٣٩	٨٠	مديح وتهنئة بمبايعة ٦٤١هـ
٢٦	هنيئاً لوفد الغرب من صفوة العرب	الرعب	الطويل	٤٦	٨٣	مديح للمرتضى ٦٤٧هـ
٢٧	دانت بهجر الدنا لله وازدلفت	القرب	البسيط	٦	٨٨	يرثي بعض الحرم الحفصيات
٢٨	هنئت يا بدر الكمال أهلةً	وماب	الكامل	٤	٨٨	تهنئة لأحد الشخصيات بمناسبة ولادة توائم
٢٩	لقد تربت يميني من شخيصٍ	الترائب	الوافر	٢	٨٩	رثاء لصغير
٣٠	ياحسنها سوسنات أطلعت عجبا	الذهبا	البسيط	٢	٨٩	يصف السوسن
٣١	تحية الله على معشرٍ	الشباب	السريع	٣	٩٠	يتحسر على شيوخه
٣٢	لم يبق رسم للأدب	وذهب	مجزوء الرجز	٢	٩٠	يتحسر على فقد الأدب
٣٣	أحن لأرباب المعارف بالترب	بالرب	الطويل	١١	٩٠	يتشوق إلى مجالس العلم ببلنسية

٣٤	حسي التقريظ حلاك وما	الحسب	المتدارك	١٤	٩٢	مديح
٣٥	عشنا لموت إمامنا	ذهب	مجزوء الكامل	٢	٩٤	مرتجلا في رثاء المرتضى
٣٦	لله نهر كالحباب	الحباب	مجزوء الكامل	٧	٩٤	يصف نهراً
٣٧	أبا الحسن إلا أن تعز وتغلبا	تغلبا	الطويل	٣٦	٩٥	غزل وفيها تحسر على الشباب
٣٨	أناس من التوحيد صيغت نفوسهم	مركبا	الطويل	٢	٩٨	يمدح الحفصيين
٣٩	أحقاً طربت إلى الربرب	تطرب	المتقارب	٥١	٩٨	غزل ومديح ووصف حفلة سيرك
٤٠	**حرف التاء** لا أرتضي الباخل خلاً وإن	ذروته	السريع	٢	١٠٢	في ذم البخل
٤١	**حرف الثاء** لولا قديم من عفاف تالدٍ	حديث	الطويل	٢	١٠٢	تعفف
٤٢	**حرف الجيم** ذكرت بلجاء بالإصباح منبلجا	أرجا	البسيط	٤٠	١٠٣	يمدح المستنصر بمناسبة إعذار ولده
٤٣	أحسنوا العطف عليها مهجا	منهجا	الرمل	٤٨	١٠٦	غزل ويبدو أنها مقدمة مدح
٤٤	من لي بصبر خلي والفؤاد شج	والفلج	البسيط	٥	١٠٩	غزل
٤٥	وصفراء في لون المحب وحاله	الدجى	الطويل	٤	١٠٩	في وصف شمعة
٤٦	شاق من روض الأماني أرجه	مدرجه	الرمل	٦	١١٠	في الاتكال على الله
٤٧	نضوت سحابة غطت نجوما	زجاج	الوافر	٣	١١١	مراجعة لمهدي زهر في طبق زجاج

٤٨	حرف الحاء نور الهداية ما أضاء ولاحا	الملاحا	الكامل	٤٠	١١٣	يمدح عند لجونه للحفصيين ٦٣٦هـ
٤٩	طلعت عليك مع المساء صباحا	وباحا	الكامل	٤٣	١١٦	يمدح المرتضى بمناسبة شفائه وعيد الأضحى
٥٠	أذنت أرض العدا بالفتاح	الصباح	المديد	٥٠	١١٩	يمدح المرتضى ٦٤٦هـ
٥١	أحد لسان الشكر جلب المنائح	المدائح	الطويل	٦٨	١٢٣	يمدح المرتضى ٦٣٧هـ
٥٢	بشرى بإسفار صباح النجاح	الجناح	السريع	١٤	١٢٨	يعتذر ويتشفع أيام الغضب عليه ٦٤٦هـ
٥٣	تشح بوصلها ذات الوشاح	الجراح	الوافر	٣	١٢٩	غزل
٥٤	سيد أيد رئيس بئيس	الصباح	الخفيف	٣	١٢٩	مديح لسعيد بن حكم القرشي حاكم منورقة
٥٥	ياإهلّ وِدي لم أروم تدانيا	وتترح	الكامل	٥	١٣٠	تشوق وحنين
٥٦	أسوسنة أم عيبة لسلاح	ورماح	الوافر	٢	١٣٠	في السوسن
٥٧	ملكت جوارحه عليه جراحه	وسراحه	الكامل	٨	١٣١	يندب بلنسية
٥٨	حرف الدال أشدو بها وسط الندي الحاشد	المراشد	الرجز	٥٥	١٣٣	يمدح أبا يحيى بولاية العهد له ٦٣٨هـ
٥٩	ما العيد بعدك بالأماني عائد	شاهد	الكامل	١٥	١٣٧	رثاء عزيز
٦٠	لم أدر والسوسان قد أوفى على	أغيد	الكامل	٢	١٣٨	في وصف السوسن
٦١	لله سوسن روض	أغيد	المجتث	٢	١٣٨	في السوسن أيضاً
٦٢	سما بأمرك إسعاد وإنجاد	وأعياد	البسيط	٥٣	١٣٩	يمدح المرتضى ٦٤٠هـ
٦٣	نأت ومزارها صدد	يد	مجزوء الوافر	٦٥	١٤٣	يمدح المرتضى ويصف البستان المسمى أبو فهر

٦٤	إلى وعدها أصبو وهل ينجز الوعد	بعد	الطويل	٥٥	١٤٧	وصف أبي فهر ووصف مأدبة فيه
٦٥	وعلى حفصية فهرية	أدد	الرمل	٣٢	١٥١	يمدح المرتضى ويحرضه على إنجاد الأندلس
٦٦	مرقوم الخد مورده	مجرده	المتدارك	٧٦	١٥٤	يمدح أبي زكريا المرتضى وولديه
٦٧	أسرف الدهر فهلا قصدا	الصدا	الرمل	٣٤	١٥٩	يمدح المرتضى ويستعطفه أيام الغضب عليه
٦٨	تخيرت مختار الخليفة للعهد	كالعهد	الطويل	٤٥	١٦٢	يهني المستنصر بولاية العهد ويمدح المرتضى
٦٩	إن إمام الحق لا يسأم أن	ويوردا	الرجز	١٣	١٦٦	يمدح المستنصر ويهنيه بولاية العهد بعد أخيه
٧٠	من كل رقراق الفرند كأنه	جردا	الكامل	٢٣	١٦٧	نفس الغرض السابق
٧١	قابلت نعماك بالسجود	وجود	مخلع البسيط	١٤	١٦٩	يشكر المرتضى بعد العفو عنه ٦٤٦هـ
٧٢	أجار من الخطب الأمير محمد	وأحمد	الطويل	١٤	١٧١	شكر لشفاعة المستنصر لما عفا عنه المرتضى
٧٣	مولاي دانت لك السعود	لا أعود	مخلع البسيط	٤	١٧٣	يتشفع بالأمير محمد المستنصر
٧٤	سلام كما افتر الربيع عن الورد	الورد	الطويل	٥	١٧٣	تحية إلى صديق ، هو حازم القرطاجني
٧٥	ما حال من جثمانه وفؤاده	وجواده	الكامل	١٤	١٧٤	غزل في صباه
٧٦	أتهم بي في الهوى وأنجد	القد	مخلع البسيط	٦	١٧٥	غزل وهو ابن خمس عشرة سنة
٧٧	لا تصدوا فربما مات صدا	ما تصدى	الخفيف	١٤	١٧٥	في ندب بلنسية
٧٨	إلى أوطانه حن العميد	يميد	الوافر	٣	١٧٧	حنين لبلنسية
٧٩	وخافت الحس ماله جسد	ولا جلد	المنسرح	٣	١٧٧	غزل
٨٠	الحمد لله لاأهل ولا ولد	ولا جلد	البسيط	٢	١٧٨	مما قاله وهو ببلاد الروم
٨١	لا يضع مني لوني عندكم	وزاد	الرمل	٤	١٧٨	يصف مشط آبنوس

٨٢	حرمت الرشاد لأبي سفاها	أعبد	المتدارك	٢	١٧٨	يتحسر على خدمة السلاطين
٨٣	قصاراك جهلاً في حياة قصيرة	تتزود	الطويل	٤	١٧٩	تأمل وحكمة
٨٤	حرف الذال ماذا يروم العذل مني ماذا	وجذاذا	الكامل	٤٢	١٨١	يمدح المرتضى لتولية العهد لابنه أبي يحيى٦٣٨هـ
٨٥	حرف الراء عبر البحر يؤم الأبحرا	يصدرا	الرمل	٧٩	١٨٥	يمدح أبي يحي ابن المرتضى أمير بجاية لما وصل إليها قادماً وتاركا بلده ٦٣٦هـ
٨٦	أمبتسم الأضحى ومطلع الفطر	البشر	الطويل	٤٩	١٩٠	يهني المرتضى بالعيد وقدوم ولده أبي يحيى عليه
٨٧	أعد نظراً إلى الزمن النضير	نظير	الوافر	٨٥	١٩٣	نفس الغرض السابق
٨٨	لذنا منِ امطر المنهل بالمطر	وزر	البسيط	٢	١٩٩	يمدح
٨٩	إلى الإلفين من أهل ودار	وادكاري	الوافر	٤	١٩٩	حنين وتشوق
٩٠	وكيف يقر صب مستهام	القرار	الوافر	٥	٢٠٠	غزل
٩١	بعيشك عاطني أنباء دار	المدار	الوافر	٦	٢٠٠	حنين وتشوق
٩٢	أعمى البصيرة من تقدمه الهوى	بصير	الكامل	٤٦	٢٠٢	يمدح المرتضى بمناسبة عيد الفطر
٩٣	يقر بعيني أن قلبي ما قرا	سرا	الطويل	٥٢	٢٠٥	يمدح المرتضى ويحثه على استرداد الأندلس ٦٤٠
٩٤	رويد الليالي كم تصر على الغدر	تدري	الطويل	١٩	٢٠٩	يرثي قريبة له إما زوجه أو ابنته
٩٥	أوائل فتح ما لهن أواخر	مواخر	الطويل	٤٧	٢١١	يمدح المرتضى أبا زكريا
٩٦	تبرأ مني ويحي النظم والنثر	الشعر	الطويل	٢	٢١٥	خاطرة
٩٧	تهاب السيوف البيض والأسل السمر	والخمر	الطويل	٤٧	٢١٥	يمدح أ[زكريا ويفتخر بقضاعة قومهما

٩٨	**حرف الكاف** فتح البسيطة عنكم محكي	محك	الكامل	١٢	٢١٩	يمدح أبا زكريا المرتضى
٩٩	أنت يا شغل خاطري نصب عيني	أراك	الخفيف	٢	٢٢٠	غزل
١٠٠	يا قرة العين إن العين تهواك	مرآك	البسيط	١٨	٢٢٠	غزل
١٠١	مهلا أمامة كم تطول نواك	سواك	الكامل	١٢	٢٢٢	غزل
١٠٢	**حرف اللام** قبلتم ما تقوله العذول	الرسول	الوافر	١٤	٢٢٣	غزل
١٠٣	تمكن من مسامعها العذول	يقول	الوافر	١٧	٢٢٥	غزل
١٠٤	كأن كتائب الباغين حزن	الشمال	الوافر	٦	٢٢٦	يمدح المرتضى
١٠٥	حشاشة مهجوركم لانفصال	بالوصال	المتقارب	٥٤	٢٢٧	يمدح المرتضى
١٠٦	ونت من دون غايتك العقول	المقول	الوافر	٣٨	٢٣٠	يمدح المرتضى
١٠٧	لم يخن في الحب تأويلي	تأوي لي	المديد	٥٥	٢٣٢	يمدح المرتضى ويصف إعانته للأندلس
١٠٨	تحلت بعلياك الليالي العواطل	الهواطل	الطويل	٤٨	٢٣٥	يمدح المرتضى إثر العفو عنه
١٠٩	ضن السماح عليه بالترحال	الحال	الكامل	٢٠	٢٣٩	يمدح المرتضى ويسترضيه أيام الغضب عليه
١١٠	بشراك نصر الله مقتبل	والجبل	الكامل	٤٢	٢٤٠	يمدح المرتضى ويتشفع بابنه المستنصر
١١١	طلت نجيعي أطلاء وأطلال	وإحلال	البسيط	٧٧	٢٤٣	يمدح المرتضى وأبناءه
١١٢	أيا بشراي قد وضح القبول	وسول	الوافر	٨	٢٤٩	يمدح المرتضى ويشكره على العفو عنه
١١٣	بشراي هذا مبدأ الإقبال	استقبال	الكامل	٣١	٢٤٩	يمدح أبا الحسين يحيى الخزرجي حاكم شاطبة

١١٤	تناولت المرآة وهي صقيلة	الصقل	الطويل	٣	٢٥١	غزل
١١٥	دنياك للأخرى سبيل سابل	عامل	الكامل	٢٧	٢٥٢	في الزهد والنصح
١١٦	آب بدراً وقد ألم هلالاً	كمالاً	الخفيف	٢٢	٢٥٤	مدح لأبي يحيى ابن المرتضى
١١٧	**حرف الميم** أمتك أبكار الفتوح إماماً	لماما	الكامل	٦	٢٥٧	يمدح المرتضى
١١٨	أسلم للمقدور ثم أسلم	مخيم	الطويل	٣٠	٢٥٨	يتوسل بولي العهد محمد المستنصر
١١٩	كفاني الحر منتجع الغمام	للإمام	الوافر	٣١	٢٦٠	شكر على العفو ومدح للمرتضى
١٢٠	بيني ثلاثاً سلوة الأيام	الإسلام	الكامل	٥٨	٢٦٢	يرثي أبا زكريا المرتضى
١٢١	هنيئاً له عادى أعادي إمامه	غمامه	الطويل	٢٠	٢٦٦	يمح المرتضى بعد العفو عنه
١٢٢	أرقت أريق الدمع يستتبع الدما	عندما	الطويل	٧١	٢٦٧	يمدح المرتضى ويحرضه على إنقاذ الأندلس
١٢٣	لمبشري برضاك أن يتحكما	الدما	الكامل	١٨	٢٧٤	بعد العفو شكر ومدح
١٢٤	ألما بأشلاء العلا والمكارم	والصوارم	الطويل	١٠١	٢٧٥	في رثاء شيخه أبي الربيع ٦٣٤هـ
١٢٥	ورب حديقة برزت عروسا	الغمام	الوافر	٢	٢٨٤	يصف جدولاً في روضة
١٢٦	يا حاملاً في قماط الغمد مكتهلا	الظلم	البسيط	٢	٢٨٤	في وصف سيف
١٢٧	وحمامة ناحت فنحت إزاءها	المأتم	الكامل	٤	٢٨٤	يصف حاله لما رأى حمامة
١٢٨	ياريم قصرٍ به أهيم	هيم	مخلع البسيط	٧	٢٨٥	غزل وحنين
١٢٩	لعل قسيم الفضل من آل قاسم	مقاسم	الطويل	٢٧	٢٨٥	يرثي أم أبي عبد الله بن قاسم ويعزيه
١٣٠	تقدم يحي المرتضى كل من مضى	للمتقدم	الطويل	٦	٢٨٨	يمدح المرتضى

١٣١	يفندني في العامرية لومي	المرجم	الطويل	١٧	٢٨٩	مقدمة غزلية لمدح
١٣٢	إن البشائر كلها جمعت	وللأمم	الكامل	٢	٢٩٠	في برء الخليفة وبيعة الحرم ٦٥٧هـ
١٣٣	صرفت صرفا سوى مدح	الكلم	المديد	٥	٢٩١	بعثها لحازم القرطاجني مع هدية
١٣٤	ونهر كما ذابت سبائك فضةٍ	الأراقم	الطويل	٥	٢٩١	يصف نهراً
١٣٥	لام المحبون الفراق ولمته	أسأم	الكامل	٥	٢٩٢	يبكي وطنه لما لجأ مع أبي زيد إلى النصارى
	حرف النون					
١٣٦	وعصابة قطفت رؤوسهم الظبى	البستان	الكامل	٤	٢٩٣	يصف مقتل يعقوب الهرغي لما خرج على المرتضى
١٣٧	كرت سوافح عبرتي أشجاني	جناني	الكامل	٢٣	٢٩٤	مقدمة غزلية لقصيدة مدح
١٣٨	رق مولانا لعبدٍ زمن	مدمن	الرمل	١٢	٢٩٥	بعد العفو عنه شكر ومدح
١٣٩	رأى الله ما أرضاه من سعيه الأسنى	الحسنى	الطويل	٥٣	٢٩٦	تهنئة للمستنصر بولاية العهد
١٤٠	ثلاثة حيتك في الأربعين	مبين	السريع	٥	٣٠٠	يمدح المرتضى ٦٤٠ بعد انتصاره على يغمراسن
١٤١	لئن خاض المنايا للأماني	العوان	الوافر	٢	٣٠١	يمدحه أيضا
١٤٢	لله سوسان تراكب نوره	الحسبان	الكامل	٤	٣٠١	في سوسن
١٤٣	لبانة المستهام لبنى	تمنى	مخلع البسيط	٥١	٣٠١	يمدح المرتضى ويهنئه بمولوده عثمان
١٤٤	حسب الوجود على التأييد برهانا	ما هانا	البسيط	٩٠	٣٠٤	يمدح المرتضى ويهجو السعيد خصمه
١٤٥	زار الحيا بمزاره البستانا	ألوانا	الكامل	٤٦	٣١٢	يمدح أبا زكريا ويصف حدائق أبي فهر
١٤٦	أما إنه الأقصى ومنزله الأدنى	أنى	الطويل	٤٥	٣١٥	يرثي شخصا اسمه محمد
١٤٧	أبستان الرصافة لا	بستانا	مجزوء الوافر	٥	٣١٩	يصف مذانب تصب في غدير

١٤٨	لما بكت من غير دمع جرى	المزن	السريع	٢	٣١٩	في حمامة مبلولة
١٤٩	وطن على الدائبين الدمع والشجن	والوطن	البسيط	٢٣	٣٢٠	يبكي وطنه بلنسية
١٥٠	وساحر الدل والتثني	ثاني	مخلع البسيط	٢	٣٢٢	غزل
١٥١	حيث المغاني حبيب زادني شجنا	سكنا	البسيط	٣	٣٢٢	غزل
١٥٢	جناني عامر بهوى جناني	حناني	الوافر	٤١	٣٢٣	يمدح حاكم شاطبة ويتشوق إلى وطنه
١٥٣	كأننا لم نصل تلك الأصائل في	والفطن	البسيط	٤	٣٢٥	يتشوق لبلده
١٥٤	نظرت في البدر عند الخسوف	الأزين	المتقارب	٢	٣٢٦	في خسوف القمر ليلة البدر
١٥٥	الجود ينفع في الوجود ولن ترى	الإنسان	الكامل	٢	٣٢٦	في وصف الكرم والجود
١٥٦	ياسيداً غمر الوجود بجوده	لسان	الكامل	٥	٣٢٦	يمدح إحدى الشخصيات
١٥٧	. نموت علىَ الدنيا فنحيا بلا دين	ولتوهين	الطويل	٣	٣٢٧	تفكر في الدنيا والآخَرة
١٥٨	غلبت علي لبعدكم أشجاني	أجفاني	الكامل	٧	٣٢٧	يشكو غربته ولعله قالها ببلاد النصارى
١٥٩	**حرف الصاد** أتجحد قتلي ربة الشنف والخرص	الرخص	الطويل	٧٧	٣٢٩	يتغزل ويمدح أبا زكريا
١٦٠	هو الفتح أدنى حوزه المغرب الأقصى	يستقصى	الطويل	٥٠	٣٣٨	يمدح أبا زكريا ويهجو السعيد
١٦١	لأندلس البشرى وحضلاتها حمص	القمص	الطويل	٥	٣٤٣	يمدح أبا زكريا المرتضى
١٦٢	**حرف الضاد** قضى صادق الآثار في أمرك الأرضى	الأرضا	الطويل	٤٢	٣٤٥	يمدح المرتضى ويصف حوادث مهمة
١٦٣	سقى الله ورداً شاقني زهره الغض	يبيض	الطويل	٤	٣٥٠	في ورد أبيض

١٦٤	حرف العين جلدا خليلي ما لنفسك تجزع	المفزع	الكامل	٥٦	٣٥١	يسترضي المرتضى متشفعاً بولده محمد المستنصر
١٦٥	الله عن تلك المناقب دافع	مانع	الكامل	٤٤	٣٥٥	تهنئة للمرتضى بإبلال من المرض ٦٥٧هـ
١٦٦	عندي نزاع ليس عنه نزوع	طلوع	الكامل	٢٢	٣٥٧	في رثاء أبي زكريا وابنه أبي يحيى
١٦٧	يا ربة المقل المراض فتورها	القاطع	الطويل	٤	٣٥٩	غزل
١٦٨	تناضل عن دين الهدى وتدافع	مدافع	الطويل	٤٢	٣٥٩	يمدح زيان بن مدافع بن مردنيش أميربلنسية
١٦٩	نادى المشيب إلى الحسنى به ودعا	ما صدعا	البسيط	٢٩	٣٦٢	في الزهد نظمها بتونس ٦٤٥هـ
١٧٠	أبين واشتياق وارتياع ؟	يستطاع	الوافر	١٢	٣٦٤	يبكي نكبته مع أبي زكريا وقد تأخر العفو عنه
١٧١	أيا أسفتي على عدم الهجوع	والربوع	الوافر	٩	٣٦٥	يبكي وطنه
١٧٢	حرف الغين هو الفتح بعد الفتح يأتي مسوغا	الوغى	الطويل	٣٠	٣٦٧	يمدح المرتضى بمناسبة بيعة ألمرية ٦٤٣هـ
١٧٣	لرأيك كانت الأزمان تصغي	يبغي	الوافر	٢٢	٣٦٩	يمدح أبا زكريا
١٧٤	بأنفسنا للموت شغل وقبضها	وفراغ	الطويل	٧	٣٧١	زهد وتأمل
١٧٥	حرف الفاء طنب قبابك هذا العز والشرف	ولا خرف	البسيط	٧٤	٣٧٣	يمدح المرتضى ويصف أبا فهر
١٧٦	حرف القاف كفى بكفك يا يحيى حياً غدقا	صدقا	البسيط	٣	٣٧٩	يمدح المرتضى

١٧٧	لمن وقعة بالغرب ضعضعت الشرقا	يرقا	الطويل	٧٨	٣٧٩	يمدح أبا زكريا ٦٤٠هـ
١٧٨	مهج تساق إلى الردى لتشاق	العشاق	الكامل	٤١	٣٨٦	يمدح أبا زكريا
١٧٩	من الملك الحبا في الرواق	الطباق	الوافر	٤٥	٣٨٩	يمدح المرتضى ويسترضيه لما نفي ببجاية
١٨٠	يا حسنها سوسنة	الحدق	مجزوء الرجز	٣	٣٩١	في السوسن
١٨١	يا سقى الله شادنا بات يسقي	عتيقا	الخفيف	٢	٣٩٢	غزل في صباه
١٨٢	حملت نفسي ماتنوء به كما	ممزق	الكامل	٢	٣٩٢	غزل
١٨٣	أنوح حماما كلما ذكر الشرق	البرق	الطويل	٢	٣٩٢	يحن ويشتاق لوطنه
١٨٤	ومنبع سلسال حباه بطيبه	سابق	الطويل	٢	٣٩٣	وصف لماء
	حرف السين					
١٨٥	أدرك بخيلك خيل الله أندلسا	درسا	البسيط	٦٧	٣٩٥	استنجاد ووصف لحال بلنسيَة المحاصرة
١٨٦	بلنسية يا عذبة الماء والجنى	الرواجس	الطويل	٣	٤٠٠	ندب بلنسية
١٨٧	إني وإن كنت آبنوسي	وسوسي	مخلع البسيط	٤	٤٠١	في وصف مشط آبنوس
١٨٨	أراني كلما ذكرت أنسي	أنسا	الوافر	٢	٤٠١	قنوط ويأس
	حرف الشين					
١٨٩	حفت بحضرتك الفتوح جيوشا	عروشا	الكامل	٣١	٤٠٣	يمدح المرتضى مشيراً إلى مبايعة مدن المغرب له
	حرف الهاء					
١٩٠	أعيا على الأعداء نيل نجاتها	مهجاتها	الكامل	٧	٤٠٧	يمدح المرتضى
١٩١	أما الكثيب فما يطار حماه	دماه	الوافر	٤٥	٤٠٨	يمدح ويشكر المرتضى على العفو عنه ٦٤٦هـ

١٩٢	وسوسنات أرت من حسنها بدعا	بدعه	البسيط	٤	٤١٠	في وصف السوسن
١٩٣	فواتح الفتح تنبي عن تواليه	واليه	البسيط	٤٦	٤١١	يمدح المرتضى ٦٤٠
١٩٤	لله عهد بالرصافة سالف	ريعانها	الكامل	٤	٤١٤	يتحسر على بلنسية رصافة الأندلس
١٩٥	انظر إلى الدبران فوق المشتري	أسفله	الكامل	٢	٤١٤	يصف بعض النجوم
١٩٦	سوسنة مزقت غلائلها	أناملها	المنسرح	٣	٤١٤	في وصف السوسن
١٩٧	بنفسي من أومأت مقلتاها	نفسها	المتقارب	٣	٤١٥	غزل
١٩٨	أما التي أهوى فلي شطر اسمها	إلا لها	الكامل	٢	٤١٥	لغز باسم جارية
١٩٩	جارمن أهوى على لبنى	مسمى	مجزوء الرمل	٢	٤١٥	لغز باسم جارية
٢٠٠	عاج له دهره فعاجله	عرفه	المنسرح	٢	٤١٦	تمني الحج
	حرف الواو					
٢٠١	أبقت لصحوي من علاقتها نشوى	أشوى	الطويل	٧٤	٤١٧	يمدح أبا زكريا وولي عهده أبا يحيى ٦٤٠
	حرف الياء					
٢٠٢	ولي العهد أم عهد الولي	كالآتي	الوافر	٧١	٤٢٥	يمدح ولي العهد
٢٠٣	أشد بالقوافي ذكر علوة أو عليا	بالعليا	الطويل	٥٣	٤٢٩	يمدح أبا زكريا وولده أبا يحي
٢٠٤	بد المشتري بالأفق للبدر تاليا	الدنيا	الطويل	٢	٤٣٣	يمدح أبا يحي وابنه يحيى

الملحق الأول

١	حرف الباء تجافت عن مضاجعها جنوب	ينوب	الوافر	١٢	٤٣٧	في وصف النساك
٢	لا تعيبوا السواد فهو مناكم	وحواجب	الخفيف	٦	٤٣٨	في تفضيل السواد
٣	حرف الثاء أمير المؤمنين لنا غياث	الغيوث	الوافر	٢	٤٣٩	مدح مرتجل للمستنصر
٤	حرف الجيم ويرتاح للروحاء قلبي وفجها	أو فجا	الطويل	١	٤٣٩	في التشوق للأراضي الحجازية
٥	حرف الدال أشاد به الداعي المهيب إلى الرشد	بالخلد	الطويل	١٤	٤٤٠	يمدح المرتضى بمناسبة تولية العهد لابنه أبي يحيى٦٣٨
٦	نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى	عمودا	الكامل	١	٤٤١	يمدح الحفصيين
٧	مرحبا مرحبا بأسمى وليد	الوليد	الخفيف	١	٤٤١	يهنئ أبا المطرف بن عميرة بازدياد ولد
٨	حرف الراء لله قلعة بيران وعزها	الأعاصير	البسيط	٧	٤٤٢	يمدح أبا زيد عند انقياد أهل بيران٦٢٢هـ
٩	بنفسي مثلجات للصدور	ونور	الوافر	٦	٤٤٣	في وصف المجنات
١٠	لمثال نعل المصطفى أصفي الهوى	تغفرا	الكامل	٨	٤٤٣	في مدح نعل الرسول صلى الله عليه وسلم

١١	لو عن لي عون من المقدار	داري	الكامل	١٠	٤٤٤	في التشوق إلى ضريح المصطفى عليه السلام
١٢	أمري عجيب في الأمور	والظهور	مجزوء الكامل	٢	٤٤٥	إهماله في مجلس السلطان
١٣	قل لابن شلبون مقال تنزه	فجار	الكامل	٢	٤٤٥	مهاجاةبينه وبين ابن شلبون المعافري
١٤	ألا اسمع في الأمير ما قال صدق	الأميرا	الوافر	٢	٤٤٦	مدح
١٥	وقالوا : ألفت الكرى نطفة	للكرى	المتقارب	٣	٤٤٦	شرح لكثرة السهر والقلق
١٦	تراءى له أفق البحيرة والبحر	النحر	الطويل	٩	٤٤٧	حنين وتشوق
١٧	بشراي باشرت الهدى والنورا	المنصورا	الكامل	٢	٤٤٧	مدح للمستنصر بعد العفو عنه ٦٥٧هـ
١٨	**حرف الضاد** علت سني وقدري في انخفاض	ماضِ	الوافر	٢	٤٤٨	علو سنه وانخفاض قدره
١٩	**حرف الطاء** إلام في حل وفي ربط	خبط	الرجز	٣	٤٤٩	في الزهد والاتكال على الله سبحانه
٢٠	أما إنه قد خط في اللوح ما خطا	قسطا	الطويل	٢	٤٤٩	التسليم للقدر
٢١	لقد غضبت حتى على السمط نخوةً	سمطا	الطويل	٢	٢٥٠	غزل
٢٢	**حرف الغين** جمعت للناس بين الري والشبع	ومرتبع	البسيط	٦	٤٥١	مديح لسلطان تونس
٢٣	**حرف الفاء** طغا بتونس خلف	خليفة	المجتث	١	٤٥٢	هجاء للسلطان

٢٤	**حرف القاف** حديقة ياسمين لا	الحدق	مجزوء الوافر	٣	٤٥٣	وصف ياسمين
٢٥	أمولاي حق العبد تقرير عذره	بلائق	الطويل	٨	٤٥٣	يجيب والي جيان على هدية وشعر
٢٦	لمن كلمٌ كاللؤلؤ المتناسق	البواسق	الطويل	٣١	٤٥٤	يمدح والي جيان ويستمنحه
٢٧	**حرف اللام** من عاذري من بابلي طرفه	بابلا	الكامل	٢	٤٥٦	غزل
٢٨	سجام لعمري أدمع وسجال	مثال	الطويل	٩	٤٥٦	في نعل الرسول عليه الصلاة والسلام
٢٩	سقيا لمن ردته رأد الضحى	البلبلا	الكامل	٦	٤٥٧	غزل
٣٠	**حرف الميم** لقد حسنت بك الأوقات حتى	ابتسام	الوافر	١	٤٥٨	في مدح المستنصر ارتجالاً
٣١	إن شئت يا دهر حارب	سالم	المجتث	٢	٤٥٨	في مدح شيخه أبي الربيع ابن سالم
٣٢	إن سعيد بن حكم	الكرم	مجزوء الرجز	٨	٤٥٩	في مدح سعيد بن حكم القرشي حاكم منورقة
٣٣	**حرف النون** تحيف حالاتي حيف الزمان	الأماني	الوافر	٨	٤٦٠	يشكو الزمان
٣٤	يعيرني قوم بجفوة سلطاني	أوطاني	الطويل	٤	٤٦٠	يرد على من عيرة بجفوة السلطان له
٣٥	أيها الصاحب الصفي مباح	الرواية	الخفيف	٤	٤٦١	يجيب أبا اسحاق التجاني الذي استجازه
٣٦	رجوت الله في اللأواء لما	ولاهي	الطويل	٢	٤٦١	زهد وانصراف إلى الله

٣٧	فما لشعري على الأشعار يحفظه	حافظه	البسيط	١	٤٦١	يمدح المستنصر على البديهة
٣٨	تلك الجزيرة أقبلت تنويها	تنويها	الكامل	١٣	٤٦٢	يجيب سعيد بن الحكم
٣٩	عصى أباه وجفا أمه	عمه	السريع	١	٤٦٢	يهجو
١	الملحق الثاني حرف الدال ولا أودعوا يوم النوى حارة الحمى	دعد	الطويل	٨٠	٤٦٥	هذه القصيدة كأنها غريبة عن الديوان ، وقد شك فيها المحقق ، وقال عنه إنها مبتورة مما يدل على ضياع صفحة أو أكثر منها وفيها يأس وقنوط
٢	عديني بوصلٍ و امطلي بنجازه	المطل	الطويل	١٣	٤٦٩	غزل

المصادر و المراجع

****

المصادر والمراجع

****

= الأحاديث القدسية ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .

= الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د. حكمت علي الألوسي ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة .

= الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د. أحمد هيكل ، الطبعة السابعة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٩م .

= الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت .

= الأدب وفنونه ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

= أدبية النص ، د. صلاح رزق ، الناشر : دار الثقافة العربية ، القاهرة الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .

= أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقّري ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة ، الربلط ١٩٧٨م.

= الأصمعيات ، اختيار الأصمعي ، ، ديوان العرب ٢ ، تحقيق وشرح : د. أحمد محمد شاكر ، و د. عبد السلام هارون ، بيروت ، الطبعة الخامسة .

= الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦١م .

= إعتاب الكتاب ، ابن الأبار ، حققه وقدم له د. صالح الأشتر ١٩٦١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

= الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .

= الأغاني ، لأبي فرج الأصفاني ، دار الفكر .

= أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، محمود مصطفى ، الطبعة ١٢ (١٩٩٣) مطبعة محمد علي صبيح ، مصر .

= ابن الأبار حياته وكتبه ، د. عبد العزيز عبد المجيد ١٩٥٤م ، المطبعة الحسنية ، تطـــوان المغرب .
= تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، د. إحسان عباس ، دار الثقافـــة ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨١م .
= تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، دار المعارف .
= تحفة القادم ، لابن الأبار ، أعـــاد بناءه وعلق عليه د . إحســـان عبـــاس ، دار الغـــرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .
= التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ط ٦
= التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار ، عني بنشره عزت العطار الحسيني ج/٢ ١٩٥٦م
= الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، عصر المرابطين والموحدين ط١ ١٩٨٠ الناشـــو الخانجي ، مصـــــر .
= الحلة السيراء ، ابن الأبار ، تحقيق د.حسين مؤنس نشر الشركة العربية للطباعة والنشـــو ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٣م .
= الحلة السيراء لابن الأبار ، حققه وعلق عليه وترجم لمؤلفه وقدم له عبدالله أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٦٢م .
= الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، شكيب أرسلان ، منشورات دار مكتبـــة الحياة ، لبنان .
= الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، د. محمد إبراهيم حـــور ، دار القلم دبي ، ط ٢ ، ١٩٨٩م .
= الحياة العلمية في مدينة بلنسية ، كريم عجيل حسين ، مؤسسة الرسالة : بيروت ط١
= خزانة الأدب ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، مكتبة الخـــانجي ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨١م .
= دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، مج/ ١ ، دار المعرفة بيروت .
= دائرة المعارف ، فؤاد أفرام البستاني مج/٢ ، دار المعرفة ، بيروت .

= دراسات في الشعر الجاهلي ، د. يوسف خليف ، مكتبة غريب ، القاهرة
= درر السمط في خبر السبط ، لابن الأبار ، تحقيق وتقديم ، د. عبد السلام الهراس ، وسعيد أحمد أغراب ، تطوان ، ١٩٧٢م .
= ديوان أبي العتاهية ، دار صادر ، ودار بيروت ، ١٩٦٤م
= ديوان أبي فراس ، رواية الحسين بن خالويه ، دار صادر ، بيروت
= ديوان ابن الأبار ، قراءة وتعليق د. عبد السلام الهراس ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٥م.
= ديوان ابن المعتز ،شرح وتقديم ، ميشيل نعمان ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت الناشر دار صعب ، ١٩٦٩م.
= ديوان ابن خفاجة ، دار صادر ، بيروت .
= ديوان الأعشى ، دار صادر ، بيروت .
= ديوان البحتري ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م .
= ديوان الخنساء ، المكتبة الثقافية ، بيروت ط١ .
= ديوان الشريف الرضي ، دار صادر ، و دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦١م .
= ديوان المتنبي ، دار صادر بيروت .
= ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٢ مصر .
= ديوان امرئ القيس ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت
= ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ، صححه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٦م .
= ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م
= ديوان طرفة بن العبد ، دار صادر ، بيروت .
= ديوان عبيد بن الأبرص ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م .
= ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ، بيروت .

= الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، القسم الثاني مج/١ ، تحقيق د. لطفي عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م .

= الذيل والتكملة ، لابن عبد الملك المراكشي ، السفر السادس ، تحقيق د. إحسان عباس ، ط ١ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣م .

= الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد عبد المنعم الحميري ، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤.

= سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، شرح وتصحيح محمد عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة .

= سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن هشام ، مراجعة وتحقيق محمد محي الدين عبد عبد الحميد ، دار الفكر ، القاهرة .

= شرح ديوان أبي تمام شرحه وضبطه : شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .

= شرح ديوان جرير ، تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ج/١ دار الأندلس ، بيروت .

= الشعر الجاهلي ، د. محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

= الشعر العربي بين الجمود والتطور ، د. محمد عبد العزيز الكفراوي ، ط٢ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

= الشعر في عصر المرابطين والموحدين ، د. محمد مجيد السعيد ط ١ ، دار الثقافة ، بغداد .

= الشعر في عهد الموحدين ، د. فوزي سعد عيسى ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٧٩م .

= الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، حققه وضبطه ، مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م .

= صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي ، ط١ ، دار الفكر ١٩٨٧م .

= الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار الفكر العربي .
= الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، د. بشرى موسى ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ١٩٩٤م .
= الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، بيروت ، والدار البيضاء ، ١٩٩٢م .
=الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي ، د. أشرف علي دعرور ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة .
= الصورة في الشعر العربي ، د. علي البطل ، دار الأندلس ، ط١ ، ١٩٨٠م .
= طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
= عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، محمد عبد الله عنان ط١ القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤م .
= العقد الفريد ، لابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر .
= علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٤م
= علي الحصري ، دراسة ومختارات ، محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط ٢ .
= العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، حققه وفصله ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م .
= عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، أبو العباس الغبريني ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩م .
= عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق طه الحاجري ، ومحمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية ١٩٥٦م .

= الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، د. فاطمة طحطح ، نشر كلية الآداب بالرباط ، ط١ ، ١٩٩٣م .

= غريب الحديث ، للإمام الخطابي البستي ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، إصدار جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، ١٩٨٢م .

= فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، أشرف على طبعه ، محب الدين الخطيب ، دار الفكر ، المكتبة السلفية .

= فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، ج/٢.

= في الأدب الأندلسي ، جودت الركابي ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٠م .

= في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ط ٥

= القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري ، الظواهر والقضايا والأبنية ، د. عبد الحميد الهرامة ، ط١ ، ١٩٩٦م . المغرب .

= قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ٥ ، ١٩٧٨م .

= كتاب البديع ، تصنيف عبد الله بن المعتز ، المتوفى سنة ٢٩٦هـ ، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس ، إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة ٣ ، ١٩٨٢م.

= اللمعة في صنعة الشعر ، لأبي البركات عبد الرحمن ابن أبي سعيد الأنباري ، تحقيق د. صلاح الدين محمد الهادي ، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي ، ط١ ، ١٩٩٣م .

= المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر ، د. ممدوح عبد الرحمن ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤م .

= المعارضات الشعرية ، دراسة تاريخية و نقدية ، د. عبد الرحمن السماعيل ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود .

= المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، محيي الدين المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣م .

= المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصفدي ، لابن الأبار ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
= المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، تحقيق أحمد الأمين الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
= المُغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد الأندلسي ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
= المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تأليف العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دراسة وتحقيق ، محمد عثمان الخشت ، الناشر دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٩٨٥م .
= المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبار ، اختيار وتقييد أبي إسحاق البلفيقي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، نشر دار الكتاب المصري ، ودار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢م .
= من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، ط٦ مكتبة الأنجلو المصرية .
= منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، ١٩٦٤م .
= منهج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق ، د. أحمد عمر هاشم ، ط ٢ ، إصدار النادي الأدبي الثقافي ، بجدة ، ١٩٩٢م .
= موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ١٩٨١م ط ٥ .
= موسيقى الشعر العربي ، شكري عياد ، دار المعرفة ط٢ ١٩٧٨م القاهرة .
= موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د. صابر عبد الدائم ، ط ٣ مكتبة الخانجي مصر ، ١٩٩٣م .
= الموشح للمرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
= نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٦٨م .

= النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣م .
= النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
= النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري ، د. حماد حسن أبو شاويش ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م .
= نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٩م .
= النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
= نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، محمد عبد الله عنان ط ٣ القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م .
= الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدي ، ط٢ ، باعتناء س. ديدرينغ ، نشر فرانز شتايز بفيسبادن ، ١٩٧٤م .
= وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ،دكتورة حياة جاسم محمد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٨٦م .
= يا ليل الصب ومعارضاتها ، محمد المرزوقي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٧٦م

****

****

***

الدوريات

=======

= علامات في النقد ، إصدار نادي جدة الثقافي والأدبي ، مج ٥ ج ١٢ رجب ١٤١٦ هـ.
= = = = = = = = = = ، مج ٦ ج ٢١ جمادى الأولى ١٤١٧هـ
= مجلة البلاغة المقارنة (ألف) إصدار الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، العدد الرابع ، ١٩٨٤م

****

******

**

الفـــــهرس

****

الفهرس

تـــــــمّ

والحمد لله الذي

تتم

بنعـــــمه الصالـــحات